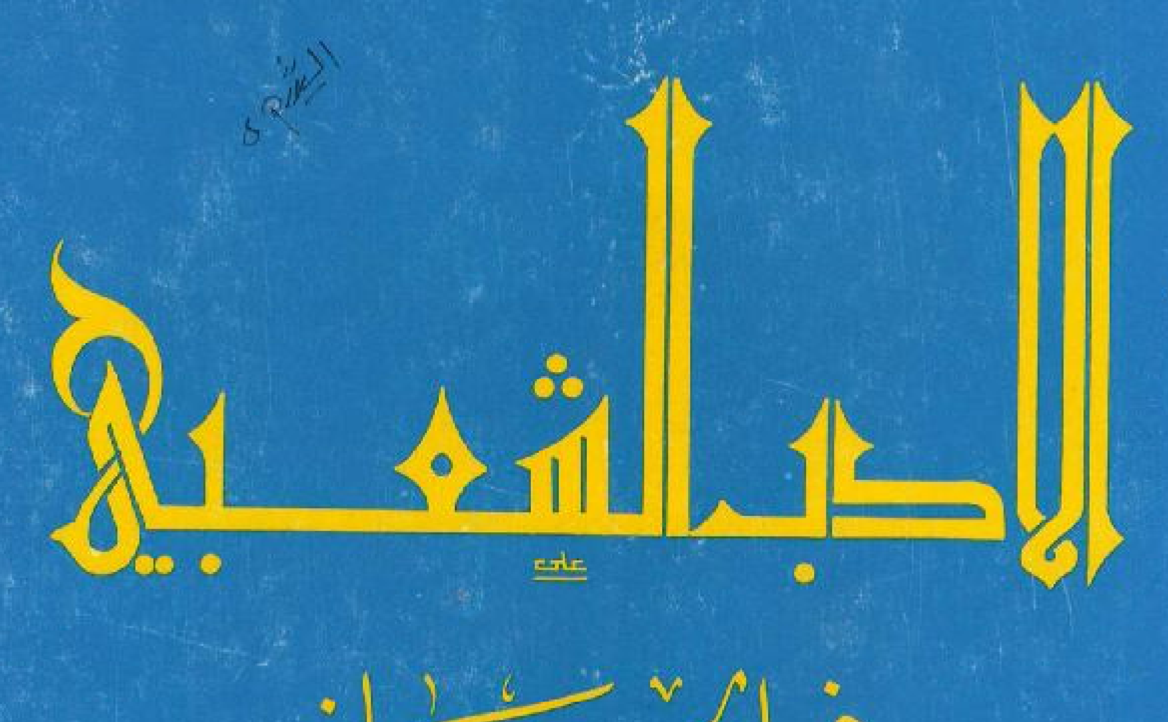


تأليف

عاتق بن غيث البلادي

دار مكة
للطباعة والنشر والتوزيع

الأدب الشعبي

في الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب الشعبي

في الحجاز

تأليف

عاتق بن غيث البلادي

دار مكة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

مصححة ومنقحة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار مكة
للطباعة والنشر والتوزيع
مكة المكرمة - ساحة إسلام
هاتف: ٥٤٢٧٤٦٨
ص.ب: ٢٩٩٢
برقيا: دار مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

والحمد لله الحق المبين ، أحمده حمداً أبغي به رضاه ، وأسأله السداد والتوفيق

وأصلي وأسلم على سيد الأنبياء والمرسلين ، وإمام البلغاء والمتكلمين ، سيدنا وسيد العرب والعجم ، محمد بن عبد الله العربي الهاشمي ، وعلى اله وتابعيه ، ومن اهتدى بهديه ، الى يوم يرث الله الأرض وتجد كل نفس ما قدمت محضرا ٠

أما بعد : فان الأدب الشعبي يحتوي على فنون جميلة بليغة ممتعة ، تشتمل على كل فنون الأدب العربي الفصيح ، من شعر وقصة ومثل وأحجية ٠٠٠ الخ ولا تختلف عن جذرها الفصيح الا بلحن في الكلم يمكن تفصيحه اذا أردت، غير أن الفاظها بلهجة أهلها أعذب ، ومعانيها أبلغ وأصوب٠

والأدب الشعبي صنو الأدب العربي الفصيح ، فيه ما فيه من خصائص وفنون ، وفيه ما فيه من بلاغة وحسن تعبير وإصابة المعنى ، وله ــ شعره ونثره ــ عشاق ومتذوقون من الخاصة والعامة ٠

الشعر

والشعر الشعبي تصوير ناطق لما يعتلج في النفوس فتجيش به الأحاسيس ، وأنصعه وأدقه تعبيراً شعر البادية ٠

والشعر ــ عامة ــ من الفنون الجميلة التي لا غنى عنها لأية أمة حية نبيلة العواطف ، رقيقة الوجدان مهذبة الأخلاق ٠

والشعر شعور ، فاذا اهتزت خلجات نفس الشاعر بمناسبة فرح أو ترح انبعث من داخله قول موزون مؤثر ذو نمط خاص يميزه عن الكلام العادي ٠

وهنا تتحكم البيئة وعمق الهزة والثقافة والموهبة ، كل هذه عوامل تدخل في تلك البوتقة لتخرج شعراً مصبوغاً بها ٠

والشعر الشعبي أقوى تاثرا بهذه العوامل ، وخاصة عامل البيئة والثقافة، ولذا جاء لكل اقليم شعره الخاص ، بمميزاته وأوزانه وطرق تعبيره ٠ والحجاز الذي تخرج فيه أرق الشعراء شعوراً، وأصدقهم تعبيراً وأجرأهم على الصراحة في مجال النسيب ككُثيِّر عزّة ، وجميل بثينة ،وعمر بن أبي ربيعة ، ظل يحتضن هذا النوع من الشعر مع تغيير في الأساليب بسبب تغيرات الزمن ، ورغم تهذيب الاسلام وزجره للتشبيب وذكر أعراض الناس ، فلا زلنا نجد من يموت كمداً على حبيبته ، مخلداً تلك الحادثة في شعر يصور الحالة النفسية التي وصل اليها العاشق ، منبعثاً ــ ذلك الشعر ــ من أعماق تئن تحت طبقة صلبة من قوانين البيئة والمحافظة على تقاليد وعادات مرعية ٠

وهذا (دخيل الله) الملقب بالدجيماء يخر صريعاً بعد ان هجم على محبوبته أمام الناس وأخذ منها قبلة ! فوقع على الأرض وهو يقول :

على الحفائرْ جدّدْوا لي جدائرْ ... والحول دائرْ حطوا البيرميرادْ
والقبر لي حطوه بيعانْ وملدودْ ... وابنوه في صير الحبيِّب ليا قاد(١)

وهي صورة من صور ما زلنا نراها أو نسمع بها هنا وهناك ٠

---

(١) في صير : في انتظار مرور الحبيب ٠

أقسام الشعر الشعبي

والشعر الشعبي له أقسام وألحان تشبه ـ في توزيعها وتقطيعها ـ الشعر الفصيح ، فقصائده موزونة مقفاة على قافيتين ، ولو غيرت القافية لرد عليك أبسط الناس بقوله : كسرت القاف • أو القاف مكسور •

وكذلك لو أردت ادخال بيت من قصيدة في أخرى ، اعترض عليك بقوله : ليس هذا من لحنها • أو ليس من عاجها • وقد يسمون اللحن طرقاً ، فيقولون : قصيدة فلان من طرق كذا ، واذا جاء الشعر خالياً من المعاني السامية قالوا : مقاوفة • أي مجرد التزام بالقافية •

القصـــة

والقصة في الأدب الشعبي لها أهداف واضحــة ونهــج مقصود ، ومن أهدافها : تهذيب النشء ، وتعليمه ، وإعطاء العظة من حوادث معينة ، ثم يأتي دور الترفيه البريء •

ولهم قصص طريفة ، وحكايات ذات مغاز متعددة ، يروونها في أساليب أدبية رفيعة تفيض عذوبة ورقة ، وتؤدي الغرض المقصوصة من أجله من أيسر الطرق وأحسنها ، بأسلوب مقبول حتى في حالات النقد اللاذع •

و أمثــالهم

وفي أمثالهم جزالة اللفظ وبلوغ المعنى بأقصر الجمل وأيسر الوقت ، وهي نفس أمثال الفصحى مع لحن طفيف في القول يمكن تفصيحه بكل سهولة •

هذا الكتاب

وهذا الكتاب عرض للأدب الشعبي في الحجاز ، قدمته لك كما عرفته ، وأوردت الشعر والقصة والمثل باختصار دونما إحصاء ولا استقصاء ، ولا أدعي

قدرتي على ذلك ، غير أنني لو أوردت ما وصل إلي من شعر في هذا الكتاب لاحتجت الى مجلدات ضخام ، أما الأمثال والطرائف ـ وهي اقاصيص لطيفة ـ فقد أفردت لها مؤلفاً خاصاً قد طبع بعنوان «طرائف وامثال شعبية»وما أوردته هنا ـ وإن كان فيه بعض التكرار ـ فانما أملته المناسبة وسياق البحث ٠

أما العادات والتقاليد والألعاب الشعبية فقد بذلت جهدي في تقديمها لك في الصورة الصحيحة ، ولكن ما يقوله الناس ويتعامل به البشر لا يحصيه إلا من أعطاهم القدرة على ذلك ، فقد ظهر لي بعد ختم الكتاب ان هناك زوايا لم أحط بها ٠

الثروة اللغوية

والأدب الشعبي مليء بكنوز دفينة وثروات لغوية طائلة ، فلهم مفردات لا يمكن أن تكون أجنبية ، كما لا يمكن ان تكون من نحت المتاخرين ، ولا تجدها في المعاجم ، وكل من له دراية بلغة أهل الجزيرة العربية ودرس المعاجم اللغوية يدرك أن تلك المعاجم لم تحط بلغة العرب ، ولا لوم على مؤلفيها لأنهم إنما دونوا ما وصل الى أسماعهم وبلغ علمهم ، وفاتهم كثير ٠

ولهم قدرة على النحت والاشتقاق لا شك انه متوارث متصل ، ولهم قدرة على تطويع الكلمات لمقتضى الحال ، فهـم يصغرون المصغر ، مثـل : صُغَيْرُور ، تصغير « صُغَيِّر » وكُبَيِر وُر تصغـير « كُبَيِّر » وقليلول ٠ الـخ ٠

العلوم الشعبية

ومن العلوم الشعبية قدمت فصلا عن الفلك والطب الشائعين عند عامة أهل الحجاز ، فبالأول يستطيع كثير من الناس أن يخبرك ـ مثلا ـ متى يينع الرطب إذا عرف وقت طلعه ، ويخبرك اي نوع من الزرع يصلح لفصل معين من الزمن ، ولهم في ذلك قصص عجيبة أتيت على ما تيسر لي منها في موضعه ٠

وبالطب المتوارث ، المزاد بتجارب اللاحقين ، يعالجون ما يعجز عنه أطباء كبار ، ويدركون مالا يدركه الا المتقدمون في الطب والعلاج ، وقد نبغوا في ذلك حتى صار يتعالج على أيديهم بعض الأطباء أنفسهم !

فصل عن اللهجات

ثم ختمت الكتاب بفصل عن لهجات الحجازيين ، وهي لهجات لا تختلف عن الفصحى في مفرداتها ، وليس بها من الدخيل على لغة العرب سوى كليمات معدودة • وكان مفروضاً ان يكون هـذا الفصل كتاباً مستقلا حاوياً قـدر المستطاع تلك اللهجات والمصطلحات ، غير ان هذا النوع لم يعد له قراء اليوم ، زد على ذلك تكاليف الطبع ومشاكل النشر وعدم الاستقرار ، ويكفي للتدليل على عدم الاستقرار أنني بدات هذا الكتاب في مكة ، وانجزت جله في تبوك ، ثم اكملته في رابغ !

اعتـــــذار

ويؤسفني أنني – لأسباب يعرفها أهل الأدب – أحجمت عن التوسع في لونين من الأدب محببين الى القارىء ، هما الشعر الغزلي ، والقصص الاجتماعية الطريفة ، وهي الوان من الأدب فيها المتعة والبلاغة وحسن التورية ، مما يدل على ذكاء العربي وتوقد ذهنه ، ومقدرته على صوغ البلاغة ، وامتلاك ناصية التعبير في البيان •

وهذه بدوية جاء خطيبها ليبني بها فصده أبوها معتذراً بصغر سنها ، فارادت أن تخبره أن الأمر ليس كذلك ، فقالت :

يامَرْسَلِي قُلْ لهُ تقُلْ لَكَ فلانه　　　وَجَدِي على لاماكْ ياهَنْ ابن هَنْ

وادي حَجَرْ يذكرْ تعدّى صفينَه　　　وانْ الودايا في حَجَر ساع اقْتَنْ

فهي تقول : فلانة ، لئلا يعرف اسمها • وتقـول : هن ، ووادي حجر ،

وصفينة ، والودايا . وكلها كنايات عن مسميات حساسة . وفي ثنايا هذا الكتاب أمثلة بالغة الدلالة ، وصور ناصعة وضاءة .

وبعد : فالذي أستطيع قوله هنا : إن هذا الكتاب يقدم لك صورة عن الآداب الشعبية والعادات والتقاليد في الحجاز ، ولا شك أن هذا الباب ما زال مفتوحاً لمن يستطيع أن يساهم بالبحث والتأليف وإبراز تراث قومه وعاداتهم التي هي منبع جل عوائد العرب اليوم ، فلا زالت كنوزه دفينة وتبره مبعثراً في مضارب البادية ، وحاجته ماسة الى الصناع الحذقة المخلصين لتراث امتهم ، الأمة العربية الخالدة ، وان في احياء قومنا معائن لا تنضب من التراث المحبب الى كل عربي ، وسلسبيلا صافياً رقراقاً فيه الرواء ، ويستأهل النهل والمعاودة .

وهذا هو جهدي ، وأعترف أنه جهد المقل ، فان أصبت فلي الأجر — إن شاء الله — وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بذلت جهداً ورمت محاولة ، وكما قالوا : « ما للفتى بعد الاجتهاد لائم » .

والحمد لله حمد الشاكرين . المؤلف

أنواع الشِّعْرِ الشعبيّ

١ ـ القصـيد :

هو غناء جماعي ، يجتمع القوم في صفين متقابلين ــ وغالباً ما يكون ذلك ليلا ـ ثم يبــدأ من يحفظ القصيد ــ ويسمونه المروي « الراوي » ـ فيلقي على الصف الذي هو فيــه صدر أول بيت من القصيدة ، فيأخذونه في غناء جماعي ، فاذا أكملوه أخذه الصف المقابل ، وأثناء غناء الصف المقابل يشتغل الصف الثاني بصفق وردك بالاقدام ، بايقاع انسجامي بديع متناسق ، فاذا كرروا ذلك مرات ، ألقى عليهم الراوي عجز البيت •

وهكذا حتى تنتهي القصيدة **فيطالبونه** بأخرى ، أو يقوم غيره ويفعل مثل ما فعل الاول •

ومن ألحان القصيد

قول السُّلَمي :

أنا هَـيَّضْ علي أمثالْ جَتْنَا ما كما هِنَّــهْ

بدعهـا واحــد في قريتــهْ يتبـــعْ ســوانيها

مريّــح في الغريفْ ولا بِــدا في عاليْ القُنّهْ

ولا وايقْ مخافهْ مع ســبور القــومْ باديهـا

ولا شاف الجهام اللي صلاة الصبح لـه رَنّـه
كما رَنّـة منى ليتك موايـق ثـم توحيهـا

ولا شاف الكسارَى في النعوش اللي لهم وَنّه
كما ونّـة حمـام في القصور مهوجـر فيهـا

ولا شاف الذئاب ملاحِمَه يـوم يتَعاوَنّه(1)
يزوع الراقـد اللي في منـامه من تعاويها(2)

ولا شاف النسور من السمـا يـوم يتَهاوَنّه
يموج القلب من بـين العطائف من تهاويهـا(3)

ولا شـاف لبكار اللي مع الماسوق له حَنّـه(4)
تلد خلافهـا والضـرب في أو لهـا وتاليهـا

ولا شاف الصبايا اللـي نَصنّ الركب يبكنّه
ولا شـافَنْ ذلولـه لا تقـاد ولا يباريهـا

ولا عانق جهـاجيـل الركائب يوم يسرِنّه
سرت من ليلهـا ما تصبـح الا عنـد أهاليهـا

---

(1) ملاحمة : ضارية باللحم وحادلة به .
(2) يزوع : ينهض فزعاً .
(3) العطائف : الضلوع .
(4) الماسوق : الغنـائم .

ولا شاف الفتيــل اللي مع الظفران له بَـنّـه°[1]

كمــا بَنّة عطاير تاجــر ســاق الذهب فيهــا

واضح أنه كان يصف غزوة كثر فيها القتل والجرح حتى تعاوت ذئابها وحامت نسورها ، وأن ذلك الحضري المقيم على سوانيه في الغريف لم يحضرها • وهي أيضاً رد على قصيدة لذلك الفريفي التي لم تصلنا •

ومن هذا اللحن أيضاً قول الربعي من بني عبد الله من مطير في غزوة لهم على البلادية ، يقول :

أنــا هيض علّيــه° طرقــة جت لي مــع الغزوان°

مطــير اللــي يــزورون الأعــــادي في مشاحيها

نبي نجزي زَحَمْ° في عــدوة جت له على الربعــان°

نبــي نجــزاه في مفعــوله اللي عَـقّبـه فيهــا[2]

تليمنــا ثــلاث ميــه وهيفنــا عــــدا القريان°[3]

وثمــره يــوم جينــا بالركــائب ضــاق واديهــا

---

(1) الفتيل : نوع كان يشاربه البارود في بنادق خاصة تسمى المفتّل أو أم فتيل ، والبنّه : الرائحة الذكية •

(2) زحم : من شجعان البلادية ، قبيــلة من حرب ، وعن حرب انظر كتابي « نسب حرب » •

(3) جمع قرى ، وهو ظهر الحرّة •

وقَلَّطْنا السـبور وواعـدنا قاعـة الضلعـانْ

ديـــار ما عَرِفهـــا يا ربوعـي حتـى أسميها

وقال الشيخ : بكرهْ عند حِمْرَهْ ينقر النيشان(١)

عيـال يـوم حـالوا دونهـا تسـمع عزاويها

وشـدوا من تمايه يـوم سمعوا طـاري النفضانْ

وحـلوا في حيـا ليـلة عَشْرْ مـدري حراويها(٢)

وجيناهم شُرَيْق الشمس يـوم المـال في المرحانْ

وزفينـا أمهـات الباب مع ضـين يباريهـا(٣)

ولحقونا البلاديّـهْ كمـا ثعـل من الأمـزانْ

لكـن آلاد عَبّـاد الديـاقي مـن يواليها(٤)

فرد عليه البلادي :

مشينا للمواسم يـوم عانيها على الربعـانْ(٥)

لها سـتين ليلة غـير حوليـهْ تباريهـا

---

(١) حمرة : الابل الحمر ، والنيشان : حبة التسديد في البندق .

(٢) عن جميع الأماكن الواردة هنا انظر كتابي « معجم معالم الحجاز » .

(٣) الباب : وسم ابل البلادية .

(٤) آلاد عباد : بنو عبد الله من مطير .

(٥) شيوخ بني عبد الله .

وحنا لو درينـا أنّ ما سـد الوجيـه° أمـان°

يبلنـا فـي المخـافه يا محمـد ما نخليها

ألا يـا الله يـا ربـي تخلصنا مـن البوقـان°

تخلصنا من اللي بوقها جـا في عوانيهـا

وكانت هذه الغزوة في شهر الحج ، وكان للبلادية عاني على الربعان أمراء بني عبد الله والعاني – في عرفهم – هدنة حربية مدتها سنة وشهران ، فأما تجدد او تثار الحرب بعد انتهائها ، واذا اعتدت قبيلة في مدة العاني اعتبر ذلك مكراً وعاراً وعليها العقل • وتلاحظ هنا أن الرد يكون من نفس الوزن واللحن والقافية •

ومن نفس هـذا اللحن أو البحر قصيـدة غيث بن زوير البلادي والد المؤلف :

أنا هَيَّض عَليَّه° يـوم أنا في المرقب العـالي

موايـق في حجـا القنعـا لعـل الغيث يسقيها(١)

أرد القـاف من بالـي سـواة العيسـل الحـالي

كمـا ذوب العسل جني الزغيبه° من مجانيها

وأنـا ما هـو طرب غَنَّيت° مير مهمّني حـالي

نزلنـا في ديـار القـوم واكتفت عوانيهـا

---

(١) هضبة بين الخوار وستارة شرق رابغ •

والا يا مرسـلي في وسـق شقرانيهـا كـالي(١)

ومرسولي عطيَّة° فوق فـَر°حـَه مفتري فيها(٢)

ليـا مالت مـع الـدار الخلـّيـه° صـابها جفـالي

كما العفري ليـا مـاذا يرت والريـح غاشـيها

عليهـا من ثيـاب البيض ملبوس يجـي غالي(٣)

عـدد من حـج بيت الله وصلى في مراضيهـا

وخَبـِّرهم تري يمَّت° حـَليق مسـور منزالي

عـلى رايـة فتيـّـل من ربـوع زين طاريهـا(٤)

من قصيدة طويلة ، وترى ان مفرداتها سليمة فصيحة .

وأغار قوم من مطير على حي من الروقة من عتيبة ، فأنشد محمد بن مبارك المحقني الروقي :

يقوله° من تهيض يوم عـَد°ى عالـي المزبان°(٥)

مـُو يقاً في علو الحيـد من فرع النـّعـَم بادي°(٦)

---

(١) كالي : متراكم ، والني ، الشحم .

(٢) عطية : ابن الشاعر ، وفرحة : ذلولة .

(٣) البيض : كقولهم ، بيض وجه فلان .

(٤) فتيل : رجل من سليم .

(٥) تهيض: فاضت قريحته بالشعر، عدّى: رقى، والمزبان: الجبل المنيف الذي يزين وقت الروع أو يشرف من عليه .

(٦) مويقاً : باد ، والحيد : الجبل المنيف ، من فرع : مشرف من عل ، النعم : غدير ماء في ديار الروقة .

يقولهْ ما بلاه من الهوى اللي طــارق جابانْ(١)

ولا مَـيْدهْ طروق الودّ مع مركوز الأنهاديْ(٢)

بلاه من الخيـَالْ اللى على الحرشا وله رُبـَّانْ(٣)

نهــار فيــهْ لاقونــا رمــاة آلاد عبـَّـاديْ(٤)

وحنا ما درينــا لـَينْ منهــم صاحوا الرعيانْ(٥)

فزعنا للمصيـِّح نحسب انه بوشــنا غاديْ(٦)

ألِـنّهْ قــد بثر فينا خبيث المعرفــه خونــانْ(٧)

يقسم جـَمْعتهْ قدامنا ويحط الأقعاديْ(٨)

ورمانا بالهدوم اللي علينا والتبسنا أكفــانْ(٩)

وبعنــا الروحْ يــوم أنـّه يبايعناه ويفاديْ(١٠)

---

(١) ما بلاه : ليس سببه الهوى ، طارق جابان : مصيب جبان ·

(٢) ميده : قصده ، مركوز الأنهاد : الفتاة الناهد ·

(٣) الخيال : السحاب ، وهنا كناية عن جمع الاعداء ، الحرشاء : هضبة قرب النعم المتقدم، الربان: المزن الذي ترىشعوف الجبال تعلوه، وهو الجون·

(٤) آلاد عباد : بنو عبد الله من مطير ·

(٥) لين : بامالة الياء : الى أن ·

(٦) فزعنا : أغرنا منجدين ، بوشنا : انعامنا ·

(٧) ألنه : توكيد بمعنى فاذا هو قد فعل كذا ·

(٨) جمعته : قومه ، يحط الأقعاد : يضع الكمائن ·

(٩) أي رمينا ثيابنا واستعدينا للموت في سبيل الدفاع عن المال ·

(١٠) رخصت الأرواح لدينا كما فعل العدو ·

واخذنا في سدد عائش عبيد مقــدي الأظعان°(١)

وفي حامد ذبحنا عــائد اللى يرمي الأوعادي°(٢)

وأخذنا غير زَوْد اثنين علم حافظة ضُمّان°(٣)

وأخذنا في هلوْل الخامس اللى طاح بالوادي°(٤)

وبلحن آخر قصيدة منها :

هاض بالــي يــوم أحلّي ناقــة لي
راحت ايديهــا مــن المسرى نحايف

يــوم تقفــي كنهــا الصقر المقلّى
سابح الجنحــان أبو الريش الخفــايف

خصرها مثــل الْهليّل يــوم أحلّــي
يا كمــا خصــر الفتــاة من الترايــف

منــوة اللى من ديــار القــوم جلــي
يمتنيهــا اللى من العربــان° خــايف

(١) قتلنا في عائش عبيداً الذي يقود الاظعان .

(٢) وقتلنا بحامد عائداً الذي يواعدنا ويوعدنا .

(٣) وقتلنا غير من تقدم اثنين وعلى ذلك شهود .

(٤) وقتلنا بهلول رجلا آخر وقع في الوادي ، وهلول : امرأة من المحاقنة دخلت المعركة فقتلت .

ومن لحنهـا :

هاض بالـي يـوم دنينـا الرحيـلى
يـوم سَبْر اصحابنا يبرى ظعنـّا

يـوم فالح وايـق الحيـد الزبيني
يستخيـل المـال وحـلال تبنـّى

كـم صبي من الموارك ما يميـل[1]
والدّمي تبـراه وشـداده محنـّى

يوم شـاف الطرح في تالي الشـليل[2]
قـال للحـواش رد المـال عنـا

ولحن آخر أو بحر ، يقول منه هندى الزبيدى الحربي :

نهـار من الأيـام وقت الغرابات[3]
عصير ابعـد ما هَيّف المـال عنّي

اعذّل على قلب من الهم ما بات
يراعـي نجوم الليـل لين اصبحنّ

---

(١) الموارك : ردوف الركاب .

(٢) الشليل : الغارة .

(٣) الغرابات : أجبل سود صغار قرب بدر مما يلي ينبع .

به الودّ والاّ ما شنوهْ القراباتْ

هو جــادل بين الضلوع استكنّْ(١)

ولما ان الشعر الشعبي يعتمد على الرواية فان قصائده كما ترى تصلنا على شكل نتف قصيرة وقد أخـذ الحفظ يضمحـل ونسي الناس تلك الملاعب التي يحتاجون فيها الى حفظه وروايته التي كانوا يتفاخرون بها ، ومعظم الشباب اليوم يتبارون في حفظ الأغاني المذاعة من المذياع والتلفاز .

وهذه القصيدة يتيمة في لحنها وثقيــلة في أدائهــا ، وهــم يحفظون هذه الأبيات منها للتدليل على تعدد الألحان .

ولحن آخر لرجل من لحيان يقول :

يقوله من بدا حيدٍ تعلاهْ مهبٌّ للصبا وهيَهْ شــمالِ

يرد القاف من بالٍ تروّاهْ كمادر الخواوير المتالي(٢)

خواوير تند القفر ترعاهْ رعت في واديٍ من عقب سالِ

ومن لحنها ، قول المعبدي من حرب :

نطشنا الضلع أبو نســعهْ وعفناهْ

وعوّدنــا نميــل من المهــادِ

---

(١) الجادل : المرأة الجميلة التي جدلت شعرها .

(٢) الخواوير : نوع من الابل في الحجاز ، والمتــالي :التي تلد في آخر الشتاء أو أول الربيع .

وخلينـا الفحـلْ في رأس مفـلاهْ

وخلينـا مـن القـارح وغـادي(١)

ونأتي الى اللحـن الخامس فيقـول العطاوي من سليم في وقعة بينهم وبين زبيد من حرب :

أنا اللي هاضني وأطرى على بالـي

نهارٍ في مقـارنْ مسر يطرونهْ(٢)

نهـار زبيـد جـونا جمـع هيّالي

على الركبـانْ والمزري يشيلونهْ(٣)

وأنـا خيلت في الزبـدانْ بخيـالي

خيـال يا محمـد ما يحقّونـهْ

فرد عليه الزبيدي :

تمـدّحْ يا الطـوير بـردّ الأمثـالِ

نسـيتوا يـوم سـابركم تخـلونـهْ(٤)

عَطيّه في اللّصَيّب روس الأقـذال

وفـاهد في الحريرة كيف تنسـونهْ(٥)

---

(١) القارح : من اسنان الغنم ، كالناب في الابل .
(٢) مسر : واد جنوب شرقي رابغ .
(٣) المزري : التعب .
(٤) السابر : مانسميه المراقب أو نقطة الملاحظة في الاصطلاح العسكري .
(٥) عطيه وفاهد : رجلان من سليم ،والاقذال : القنن أو القمم من الجبال.

النشيد

والنشيدة عندهم يغنيها شخص واحـد منفرد ، فيرفـع عقيرته بالغناء فتسمعه من مسافات بعيدة ، ولكن اذا غنى قبيح الصوت تهكموا منـه وأخـذوا يعلقون عليـه قائلين : طاح القمري على راسك ! ٠

أي أن الحمام البري لشدة طربه بهذا اللحن صار يتهاوى على رأس المغني ، وهذا هو نفس ما نقوله نحن في الحاضرة لمن لا يعجبنا غناه ٠

وللنشيد أقسام تشبه البحور مثل القصيد ، الا أنه أقل تنوعاً وتعقيداً ، ومنه اليماني ، ومن اليماني النشيدة التالية للاستاذ عبد الرحيم الاحمدي وهي من روائع هذا اللون :

* * *

الرنـد والراك

يا سِـنْدرْ يا سـنْدرْ وِش قال الحبيِّب لا تعـلاّك
لا لـــديم الشـمال وحـــارت الـــدمعـة وغنّى

هــو جـاب يا ســدر ســيرهْ للهـوى في عامنــا ذاك
والاّ ذكــر غــيرنا وأيــام ما كانت وكنــا

محري بها جوس قلبـهْ يشـغله لا ما تخطـاك
لو هُوْ نسينا .. وطال البعـدْ والمنزاح منــا

يطري عليه الهوى ، ذاك الهوى ما احلاكْ ما احلاكْ !
أحلي من الشهد كِنّ القلب نايل ما تمنـى[1]

يا ما جرينا وقطَفْنَا مِنَ البشامهْ خُوط مسواكْ
أعذب من الخوط رِيْق اللي كما البَان يتثنّى

ما انساك ما انساك يا عهد مضى ما انساك ما انساك
لـو ساعف الوقت واسـتأنست وارتاح المعنـى

ودي يعود الهوى يا سـدر بين الرنـد والراك
ونشـوف راع الثمـان البيض والـكف المحنـى

---

(١) كن : كأن ، وسدر المخاطب هنا : جبل قرب الجموم .

رد على لسان الجبل

يا بادع القيــل قلبك لا يتــأتم في حناياك

اللي تــود"ه° على عهده° وبعدك ما تهنــا

ما عاد شفنا المحل من يــوم ودعنا حلاياك°

نبت الزهر في ربوعي من دموع اللي يتثنى

يا ما بكى وانتحب واثنى عليك ليا تحلاك

ويقــول ظني بخلي ما تخلي العمر عنــا

ومن نوع آخر هذه القصيدة كما أرسلها لنا الشيخ أمير النماص مطلق بن مخيمر السَّليمي من بني سالم من حرب ، ومقدمتها بلفظه وخطه ٠

هذه الأبيات قالها مخيمر بن ذاعر المطلق أمير قبيلة ولد سَلِيم حرب بذلك الوقت عندما نصوه ضيوف وفي ذلك الوقت لم يكن بقربه أغنام وكانت سنين جدب ٠ وكان عنده مزرعة يسقيها على ناقتين احداهما له والأخرى بالأجرة فقــرر أن يذبح ناقته لضيوفه غير مبال باتلاف مزرعته التي تبلغ نصف عمرها عندما ذبح سانيتها التي تسقيها فكثر عليه اللوم من بعض قبيلته فقال هذه الأبيات ٠

قــم يا نديبــي شب" نار الدلالــي

واجــدع عليها من جــلال الوقودي

والى صفالك جمرها باشتعالي
قلط عليها صافيات الخدودي

البن في محماسهن ما يكالي
والرزق عند اللي ينشيء الرعودي

البن لصفاق الهوى ما يوالي
شرهن على ما قال مسلط وزودي

شرهن على اللي عارف كل حالي
عارف منا قيد العرب والفقودي

يجذب لمحماسه على جال صالي
لا ماتبش بلونها للقعودي

الى فصخت من لبسها باجتوالي
صبه بنجر يقعد اللي رقودي

واعطه ثلاث مع ثلاث توالي[1]
وقلب شقاوي عقبهن ما ينودي[2]

مع يا نديبي سولي شف بالي
فنجال يبري عن ضميري لهودي

---

(١) ثلاث ضربات بالنجر ليسمع .
(٢) ينود : ينعس .

هيله كثير ولو في السوق غالي
مع زعفران حمرته به تزودي
ان ساعفت لطابها بالنعالي
قبل تبيع وتشتري بي سنودي
وان عاضبت ضيفي في البيت غالي(1)
حيي بهم واجدع لضيفي وجودي
تحياية بالضيف حق يقالي
عند القرى واللي يغز العمودي
لو كثروبي الهروج الاهالي
يزول الجبل وطبوع قلبي ترودي
كل وليه اللي على الناس عالي
واللي بذر زرع لحصده يعودي
يا الله لا ترضى لنا سوحالي
بيت الغني يخاف فقر قنودي
يا الله يا منشي ثقيل الخيالي(2)
اللي بفضله عاش كل الجنودي

---

(1) عاضبت : عاسرت .
(2) المزن .

وسط الجماعة كان بيتـي لحالي
كــنّي ورى الشنبل وانا يا عضودي

أهـــل بيـوت شـيدت بالســهالي
ببيوتهـم للضيف مثـل الورودي

يـا الله يا لمطـلوب تسـتر حوالـي
تستر علـي لـين تبنـي لحـودي

* * *

قصيدة عبد الواحد الصبي « ولد الجارية »

تزوج رجل من حرب جارية سوداء أو هو تسررها ، فأنجبت له ابنا سماه عبد الواحد ، ولما توفي الرجل حجر أخوه المال وحرم عبد الواحد من ارث أبيه ، فنازع عبد الواحد عمه الى قضاة العرف في الديار فلم ينل ما يبغي ، فقتل عمه وجلا الى ينبع فنزل على بني فهم هناك ، وكانت عادة القبائل أن تختبر ذكاء ورجولة اللاجىء قبل اعلان حمايته ، فصبوا لعبد الواحد فنجان قهوة فملؤوه ، وقالوا : كيف تعمل حرب بالزائدة اذا جاءتها ؟ فقال : نعمل بها كذا وكذا ، وأمال الفنجان يميناً وشمالا حتى لم يبق فيه من القهوة سوى ما هو مقرر في عرفهم ، ذلك انه عندهم من العيوب ملء الفنجان من القهوة .

عندها الجاوه وأعلنوا حمايتهم له ، فقال :

قال العناوي يوم حَظه العنا
أمسيت أنا من مفرق الرأس شايبْ

ولا بدَعنْتْ القيل من زائد الطربْ
ولا قُوْل قَوْل الا بعزم العصايبْ

يلومني الأنذال عسى الله يلومهم
يقولون منزاحك من الدار خايبْ

وأخيـل مجهـولات ما أحـد يخيلهـا

يخيلونهـا صـمّ القـلوب اللبائب

وأخيـل ممشاهم وما في عقولهـم

لا خيـلوا برقـاً بعيـد السحـائب

وجبت المداوي لعلتي قال ..

واثـره يتّبعهـا يـدوّر غليلها

سـم اللّمس اللـي جرت له جرائب

وان كـان لا هـذا ولا ذي ولا الـذي

خـلك على طـرق الذراعين شايب

وتلاحظ أن هذه القصيدة شاذة عن قواعد الشعر الشعبي وذلك لعدم المحافظة على القافية في الصدر .

ومن عيون الشعر الشعبي قصيدة عبـد لعنزة ، دارت حرب في القرن الحادي عشر الهجري بين قبيلتي حرب وعنزة ، جلت على أثرهـا قبيـلة عنزة من نواحـي المدينـة المنـورة والحناكية(١) ، وكان هذا العبد متزوّجاً في حرب فقالت زوجته ان غنمنا معزاً ولا تألف تلك الديار التي جلت اليهـا عنزة فدعنا نبقـى في الحناكية . فوافقها على ذلك ، وبعدما خلت الأرض من أسياده تذكرهم وحن اليهم ، فقال :

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتاب « نسب حرب » .

عَدَّيت آنـا ياعـمّ في رأسْ ملمـومْ

في رأس مبـري غطـاه العسـامي(١)

ما واقْ فيه الكَنْدَرَه هِيّ والبـومْ(٢)

الاّ يقـــع صـقرٍ عقيـل قطـامي

أبكي هَلـي يا ناسْ ماني بمليـومْ

وأظن من يبكـي هَـلَه ما يلامـي

ومن طاوع الثنتين يصبر على اللـومْ(٣)

يصبر عـلى فرقـا الأهـل والعمـامي(٤)

هـذي مرابط خيلهم دائـم الـدومْ

وهـذي مرابـع بيت شـيخ الجهامي(٥)

وهـذا مشب النـار والحَفْر مثلومْ

أهـــل دلال مكرمـاتٍ شـوامي(٦)

عهدي بهم زاعوا مع الوادي أبـو دَوْمْ

مسـتجنبين مطـيرات العســامي(٧)

---

(١) مبري : مذروب الرأس ، والعسامي : العسام ،والياء للاشباع
(٢) الكندرة : نوع من الطيور الحقيرة عندهم .
(٣) المرأة والغنم .
(٤) الاسياد .
(٥) الجهام : الربع الكثير .
(٦) نسبة الى الشام .
(٧) الخيل .

راحوا كما طيرٍ ضرب رأسه الحوم[1]
متوه ما حسدٍ درى وين حامي[2]

يذكر لهم وادٍ به العشب كيهوم[3]
نبت الزبيدي فوق جاله زوامي[4]

أدنى منازلهم شذاذه وللوم
وأقصى منازلهم دحي النعام[5]

وليا وصلتوا ديرة اصحاب من قوم
علّم ترى حمض الرجال العلامي

ومن الأشعار التي جاءتنا على بيت وبيتين ، ولها معنى ومغزى •

قول بعض العيارين لمحبوبته :

يا سيدي ما أعرف غيا من نفيسه !
ما اعرف مريّخ من مسيل آم حبلين!

---

(1) مرض كالصور •
(2) متوه : تائه •
(3) كيهوم : متراكم •
(4) الزبيدي : نوع من الكمأة ، ويسمى في نجد الفقع •
(5) ويروي هذا البيت :

أدنى منازلهم شثاثة وللوم واقصى منازلهم ودي النعامي

فعدله الجاسر الى الصيغة السابقة ، في مجلة العرب ، وودي النعام : بين تيماء وتبوك ، ودحي النعام : النفود ،وشثاثا مكان من طف العراق •

وهذه الأسماء لأودية في الخشاش قرب جدة،ولكن الشاعر يكني بها لامور أخرى .

وقول آخـــر :

يا راكب اللـــي مردفتهـــا تحتهـــا
ركابها دوبـــه ينوش الوطـــا نوشْ

في مصلحـــة حـــالـــهْ وفي مصلحتهـــا
والكل منهم عذّب الـــروح مدهوش

وتزوجت امـــرأة في قبيلة غير قبيلتها ، وكـــان أخوهـــا يرودها فتخبره بغرة القوم ، وجاء ليلة قرب الحي الذي فيـــه أخته فعوى كما يعوي الذئب ، فقالت أخته تخبره بمكان ابل القوم :

يا ذيـــب لا تبعـــدك عنـــا المخـــافة
وتطرّد الغزلانْ في القفـــر يا ذيبْ

البـــل تراها يَمْ قصر الخرابـــهْ
ما عندها الاّ لاعب الحـــل يا ذيب(١)

فسمعتها عجوز في الحي فظنت أنه صاحب لها تواعده ، فقالت :

---

(١) لاعب الحل : البنات ، والحل نوع من اللعب بالحصى او بعر الابل

الذيب لا يعلق صوابهْ بنـابهْ
ترى صواب الذيب ماله تطابيبْ(١)

فردت المرأة :

حيـاة أبـوي ما بـدا من شـبابهْ
اني عَذُيه ما دخل جيبي العيب
وانـي كما عـد عـذيّ شرابـهْ
ماداهَلهْ بالقيظ عوج العراقِيبْ(٢)

★ ★ ★

(١) صوابه : عضته ·
(٢) داهله : تردد عليه وألفه ، وعوج العراقيب الابل ، لانها اذا ترددت على عد تلوث مياهه بالبول والدمن ·

المجالسيّ

نوع من الشعر يغنيه القوم وهم جلوس ، ولذا أطلقوا عليه المجالسي ، أي شعر المجالس ، يتكون البيت فيه من أربعة أشطر ، الثلاثة الاولى على قافية واحـدة والرابع هو قافيـة القصيدة ، فيبـدأ الراوي بالقـاء الثـلاثة الاشطر الأولى فاذا وصل الرابع شاركه الحاضرون في جر آخره على شكل أنّة طويلة .

ومن قديم ما وصلنا من هذا النوع تلك القصيدة التي تغنّى في جميع مجالس البادية في الحجاز ، ومنها :

يا راكبٍ من عنـدنا فـوقْ ضـامرْ

حرّة وسيع الجيبْ والخصْرْ شامِرْ

عَيْنه كما القنديل في الليـل سامِرْ

وأعيـان مثـل الجمر بعد المواشاهْ

لا ياخـوالي يـا خـوال اللزومـي

الفـوا على رَبْعِي وسَوّوا علومـي

غـدت بـي الدنيـا كما غصن يومـي

واليـوم مالـي غيركـم وأترجـاهْ

ومن ألطف وأطول ما وصلنا من هذا النوع قصيدة محمد ابن عاتق بن عبيد الحازمي المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ نوردها لما فيها من صورة مشرقة لمجاهدة المسلم نفسه والانتصار عليها في النهاية للفوز بما هو أحسن وأفضل في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . يقول فيها :

قـال المغنّي حَجّنا العامْ قد شافْ
يا قبلة الاسلامْ من بعض الأسلافْ

يا شفت مخلوقٍ يسمّى بزحّاف
بالمون انا يا الربع ما شفت حلياه°(١)

لا هُوْ طويلْ ولا بعُنْقُهْ قصير
ناعم يشادي للقطنْ والحرير

لو خيروني ملك والا استخير
لاختار هذا الشخص والملك لله

كامل مكمّلْ من جميع اللبوسِ
نصيح جسمه ما مضت له حسوسِ(٢)

مرتاحْ قلبهْ ما تجيه الهجوسِ
عاقلْ في مشيهْ ما دِبَهْ زين ممشاه°

(١) بالمون : صيغة قسم .
(٢) حسوس : أمراض .

سـبعة معـاني شفتهنْ حَيَّرنّـي

احتارْ عقلي واندهَشْ وادهشنّي

سبحـان خـالقهنْ على كـل فـنٌ

ما ينحسد بالعون من ربّـه أعطاهْ

جعـود تبـري أنامـله للماشي(١)

سـادت عيوني ظلمـةٍ بنعـاسِ

منشـورْ فوقـهْ وردْ مثـل الرشاشِ

يا ونّتـي وَنّيتها قلت لـه آه (٢)

حواجبـه تَشدَى سـواة الهلالِ(٣)

هـلال وحـدة يـوم ماشي خيـالِ

واللـي خلقهن كامـلات التحـالي

خط القـلم بالرأي واحنـا كتبناهْ

عيونْ دعجٍ طرفهـا يـوم تبديـهْ

سهم القضا ويصيبُ من هو نظر فيهْ

---

(١) جعود : جدائل شعر الرأس ، والبيت مختل الوزن .

(٢) معظم المفردات المحرفة وضحتها في آخر فصل عن اللهجات .

(٣) تشدى : تشبه .

داء القلوب وصار كل الدوا فيـــه
عشر مع أربـــع عمرها ما يتعدّاه[1]

خدود زيّ الجوهره يـــوم أحلـّي
شارب ربيـــع وزاده الصيف عَـــلّ[2]

فيهن اشـــارة ست غرسات فـــلّ[3]
الله يهنّي من دخل كان في حجَاه

الأنـــف ســـل السيف حـــد المنـــايا
ينقـــاد لا منّه وَصـــل للشفايا

ويســـابقه لا مـــن شـــرب للروايـــا
هـــذي تحالي فيـــه لَمَّن ظلمناه

حـــرف الشفايا زي ورد البساتين
أبـــو ثمـــانٍ صف لؤلؤ من الصين

لا غرب ولا مشرق ولا شـــام تيقـــين
ظني من الميمن من الهنـــد مجنـــاه[4]

---

(1) عمر الفتاة .

(2) سقى من مطر الصيف بعد مطر الربيع .

(3) أثر الوشم .

(4) أي أنها فتاة هندية الاصل .

السابعه° ما شفتها دونهـا سـتور°ا(١)

لـكن هـذا شـيء مضمون مشـهور°

تفـاح° مـع رمـان° تحقيق° محكور°

عنهـا ما ينقص كبرها(٢) ما يتعد°اه°

هـذا الـذي عانيت° والكـل وافي

غـير الذي يبقـى وفي الجسم خافي !

نطقـه° يشادي للعسل ذوب صـافي

لبيك° سِيدِي° ، جـابته° يـوم ناداه°

قَـفَـىّ وحليتـه° لظبي التهـامي

والخصر ضبّه° خَـمْـسْ مال السلامِ(٣)

قعـدت لـه عنـد الصف لين جـاني(٤)

قـال المطـوف كيف يا المودمـاني(٥)

أحذر يا مسلمْ تـرى العـُمـْر فـاني

واحذر° من الشيطان° دربـه° مغاواه°

---

(١) النهود ٠

(٢) حجمها ٠

(٣) مال السلام : دعاء لها بالسلامة ٠

(٤) حذف بيت قبل هذا .

(٥) المودماني : ابن آدم ٠

رديت لـه والله أنا من قَصِي البـال°

وقلت° : أنا والروح° في غيِّ وقتال°(١)

من لا مني يُبْلَى بحـالٍ من أحوال°

واللي في قلبي° يظهره° ثـم يبـلاه°(٢)

قـال المطوف° : ما نلـوم الشبابِ

هـذا الـذي عاينت° عَلَّق صـوابي

تسعين ليـلة ضـائعٍ بـي حسابي

مالي وحـالي كلهـا من فدايـاه° !

أنا نهيتـك° كل أبُوهـا صيـانه°(٣)

من خـوف تطريهم معـك في خيـانه°

أموت قهـر وهـي معـك لي أمـانه°

تـروح عنـا لا تعقّـب مشاجـاه°(٤)

لكن روح° وشوف° ميعـادك البيت

بعد العشاء لا منك(٥) الفرض صليت !

---

(١) في منازعة بين الخير والشر .

(٢) اي لعل الله ينزع ما في قلب الشاعر ثم يبتلي به اللائم .

(٣) كل أبوها : كلها .

(٤) مشاجاه : مشاجرة .

(٥) لامنّك : اذا انت .

وان كانزل(١) الوقت والياك(٢)ما جيت

مالك علينا حــق وتقول بقناك !

وجيت على المعيــاد طقيت في الباب

وقالوا تفضــل يا صحيب من أصحاب

أهــلا وســهلا ثــم أهــلا بالاحبــاب

من قلب صــافي لك ... مصفاه

ولقيتهــم في أنس غايــة مناهــم

العــود عدني(٣) والكمانه معاهم(٤)

صحتُوا قضــاة الانس والله عطاهم

بالصوت والمعنى على كل مجهاه(٥)

ودقت بأناملهــا على العــود بالدور

وصاحت وقالت : آه ، لا وين مهجور ؟

قرب الصباح وقرب الفجــر والنــور

لاوين راع الخط(٦) ما يقوم يقراه ؟!

---

(١) مضى الوقت .
(٢) فاذا لم تأت .
(٣) نسبة الى عدن .
(٤) معهم .
(٥) كل جهة .
(٦) الى متى يفض صاحب الكتاب كتابه .

من بعـد ماجتني واخـذتْ السموحِ
من مبسم ريحـهْ كمسكِ يفـوحِ

خـاطر خطـر لـي وانتبهت لروحـي
والعبـد لا مـا حَبّـهْ الله ينهـاهْ(١)

طريوا عَلَيَّـهْ كاتبين الحسـابِ(٢)
اللـي على متونـي جلوس جنـابي(٣)

وش حيلتي نهـار يفتـح كتـابي
الكذبْ ما ينفعْ ولا فيـهْ منجاهْ

وابعـدت عنهـا ثـم قلت : اسمعيني
أبـا أدعـي لله ثـم اتبعينـي

توبَـهْ يا ربّـي توبـه من يقينـي
يا رب تمحـي كـلّ ذنبِ جنيناهْ

قالت : صدقتْ ، وحق هذا الصوابِ
دليتنـا يا شـيخ(٤) درب المتـابِ

---

(١) اذا أحبه الله ينهاه ٠
(٢) ذكرت الملكين اللذين معي يكتبان ماأفعل وأقول ٠
(٣) جنابي : بجنبي ٠
(٤) ياشيخ تقال حتى للشباب ، وهي اجلال او افتتاح الكلام كقولـك : ياأخي او ياسيد ٠

الله جـزاكْ الخـير كـــل الثـــوابِ

في جنــة الفردوسْ ان كنت تبغاهْ(١)

وقمنا على الاسلام والسدْ(٢) ما انباحْ

والكــل متشكرْ وممنــونْ الأربــاحْ

اللي قهرنا النفسْ عن درب الأقباحْ

أحمــدك يا ربــي على اللــي حفظناهْ

يا رب عفــوك ثــم تشفقْ لحــالي

عــاتق بن عبيــد جــدي وخالي

. . . .

من الحوازم نســبة الســاس مجناهْ(٣)

واختــمْ جوابي بالنبــي والصحابهْ(٤)

عداد ما خط القــلم من كتــابهْ

وعــداد مزن قد نشا من سحابهْ

على النبي صــلوا كما قــالهْ اللهْ

---

(١) تبغيها .

(٢) السد : السر .

(٣) الشطر الأول من هذا البيت فات الراوي .

(٤) أي بالصلاة على النبي والترضي على اصحابه .

المبـــادع

مساجلات شعرية حضورية، يبدأ القوم في صفين متقابلين مثل القصيد ، فيبدأ أحد الشاعرين فيقول بيت من الشعر ، وكثيراً ما يبدأ هذا النوع بالسلام ، كقولهم : سلام يا أهل الملعبه° والحاضرين° ، أو كما قال أحدهم :

ياسلام° الله عليكم ردة ٍمثنية   ردة ٍمـِثل َالعسل°والمر°في تاليها

وغالباً ما يكون المبادع الحضوري مثنيات ·

فاذا قال الشاعر الاول ما عنده أخذه القوم في غناء وصفق وردح بالأقدام تماماً كما وصفنا في القصيد ، فاذا أتموا ذلك رفع الشاعر الآخر يده أو عصاه الى أعلى منبهاً لحضور ثم يقول : معكم · فيبـدأ يملي رده على قبيله ، ويكون بنفس المعنى أي جواباً على ما قال ذاك ، وعلى نفس القافية · فاذا غلط الشاعر أثناء القائه شعره قالوا له : عَـلـيـْتَ° · رفعـاً لمعنويته ، وقد يقولها منافسوه تهكماً منه لخفض معنويته ·

فاذا استمرت القافية طويلا حتى عجز أحدهما عن الاتيان بشيء عليها قالوا : شاب القاف · فبدلوا قافية أخرى ، وهكذا يستمر اللعب حتى يغلب أحدهما أو يطلع الفجر · واذا عجز أحدهما سرى مهزوماً ، وقالوا : سرى فلان فلانا ·

ثم يبقى المنتصر يجول في اللعب متحديا ، وقد يخرج له آخر فيستمر اللعب حتى يسري أحدهما ٠ وهو غالبا يقام في الليالي المقمرة وفي الفضاء الطلق ، ما عدا المناسبات كالأعياد والزواجات ٠

* * *

حساب الفلك والشياطين

ولبعضهم حسابات فلكية يسمونها النجم ، فيحسبون ذلك فيضعون شاعرهم بحيث يكون ذلك النجم على قفاه ، وفي وجه قبيله ، وهم يقولون : انهم بذلك يغلقون أبواب الشعر على المنافس فيرتج عليه فيسري •

ويقولون : ان الشعر تتنزل به الشياطين ، وان الشاعر الأقوى شيطاناً أو الاكثر شياطين هو الشاعر الفحل ، وكانوا يحاولون تعلم هذا الشعر خاصة بوسائل يظنون انها مجدية كتبييت الحليب مكشوفاً في العراء وشربه عند الفجر ، وغير ذلك • ولما أن هذه الأشعار تظل مروية من الذاكرة فلم يصلنا الا ما يتغنى بها الناس وهي مع ذلك مقطعة ناقصة ، غير أنها صالحة للدراسة •

واذا عجز الشاعر عن مقابلة خصمه قد يلجأ الى قافية عسرة لا يستطيع أحد أن يجاريه فيها ، وكان عبد في ملعبة فغلب فسرى ، فصاح به الناس سرى العباد سرى العباد ! فعاد ودخل الملعبة وهو يقول :

حَلَفْتْ ما أقفّي والضَّرْبْ في دَفّي بائنْ ومتَخفّي
خافي وبُرّاني

فلم يستطع أحد أن يبدع عليها فسرى القوم ، وظل العبد يردح وحده ويغني ! نكاية فيهم وتشفياً منهم •

ويستعملون الألغاز لتعجيز الشاعر :

وكثيراً ما يلجأ الشاعر الى الألغاز ، ويسمونها غبوة ، فيقول : بنشـدك عن بنت ... ، وهـو يقصد البندقيـة أو الشمس أو النخلة مثلا .

أو يقول : بنشدك عن رجال .. وهكذا .

فيظل ذلك الشاعر المسؤول يبحث في فكره وتجاربه عن حل هذا اللغز . ويقولون : المعنى في بطن الشاعر ، أي أنه يعرفـه .

وقد يكون المبادع على شكل مساجلات شعريـة على غـير الصفة التي ذكرناها ، مثل ذلك ما دار بـين صِمَد بن نما الروقي وزوجته منيرة .

قال صمد :

تكفـينْ يا بنت الأجاويدْ تكفينْ(1)

تـعَيَّني للعـَـوْدْ عنـد وسـادهْ

العـَوْدْ وَدّهْ بالتطرف نهـارين

لـو انهـا ما هـي بللعـود عـادهْ

---

(1) تكفين : نخوة لطلب النجدة ومثلها : أغـد أو فـلان ياصـديقي او ياأخي .

والا اكتبيها في رقبتـي تجـي دَيْن

لين ان يأتينا ربيـعْ وسعادهْ(1)

فقالت له :

العامْ تبغى لكْ من البيض ثنتين(2)

أيضـاً وتبغي لكْ عليهنْ زيـادهْ

العَوْدْ لا منه وصـل سن ستين(3)

يروحْ مُخّهْ مثل مُخّ الجرادهْ

لا يقضي الحاجـة ولا يقضي الدين

ولا عـاد تقبـل منـه حتى الشهادهْ

وهـذه مساجلة بين الأختين جوزاء وسمرة بنتي محمد العضيلي المطيري كانت لأبيهما ابل بنواحي المهد فنزلتا جدة ، فتذكرت جوزاء مرابع الصبا والحياة السابقة فقالت :

يا بوي ووجدي على الصّبْحْ مطلاع(4)

وجـد الظوامي اللي على المـا حيامي(5)

---

(1) نوع من المزح أي ان العود « الشيخ »أصبح عاجزا عن بعض الواجبات، فامهليه الى أن يأتي الربيع فيكثر الخير فيسترد قوته ! ٠

(2) البيض : البنات ٠

(3) اذ بلغ الستين ٠

(4) أي على الخروج من جدة غدا صباحا ٠

(5) تحوم على الماء فلا تجد من يسقيها ٠

داجـنْ وراجـنْ ثـُمّ راحنّ للقـاعْ

ما قَدْمِهنْ غـير الدركْوالمظـامي(١)

فجاوبتها سَمْرَة :

يا بنت حطي فـوق شاهيك نعنـاع

كبي البداوهْ والبلشْ والزيامي(٢)

ترى البداوهْ ما تجي لك في الاسناع

عسرة ولا تبنـي لاهلهـا سنامي(٣)

رحتي تجيبين الحطب والبهم ضـاع

وليا الحمير مـلاوذهْ في الظـلامي

وليا رجعتي للعربْ عقب مفزاع

وليـا ضيوفـك مشتهين الطعامي(٤)

* * *

(١) الدرك : الهلاك .
(٢) البلش والزيام : كثرة النزاع والمشاكل ،وكبي : اتركي .
(٣) الاسناع : ماينبغي ، وليس فيها خير .
(٤) العرب : الحي .

الزّومـــالة

نشـيدة قصيرة حضورية تقـال في مناسبات الأعيـاد والزواجـات والزيارات • يأتــي المدعوون فيقفـون في صف مقابل بيوت المضيفين فينظم شاعرهم زومالة فيأخذها قومه في غناء جماعي ، فيخرج المضيفون في صف مقابل صف الزوار، فاذا فرغ الضيوف من غنائهم خـرج منهم سربة من الشـباب والمتصابين يحملون البنادق بين يديهم وهم يقفزون في خطوات منتظمة معروفة فيمرون أمام صف المضيفين فيطلقون النار في الهواء ، ثم يعودون الى أماكنهم •

في هذه الأثناء يكون شاعر المعازيب « المضيفين » قد نظم زومـالة على نفس لحن زومالة الضيوف وقافيتهـا ، فيأخذها الرجال ، ويجري ما يجري في سابقتها ، فاذا تم ذلك قام كبير المضيفين وقال للضيوف : « تفضلوا حيّاكم الله » •

ولسرعة الوقت التـي يتم فيه ذلك تكـون الزومالة من أحرج مواقف شعرائهم ، وقد كنت في زيارة لقومي وشاهدت هذا فاذا شاعرهم يتفصّد عرقاً خوف الفشل ، أما أنا فكنت أتفصّد عرقاً عندما أقاموني في الصف وطلبوا مني مجاراتهم في اللحن ! •

والزومال لا يتبعه صفق ولا ردح ، ويكون على أربعة أشطر أو ثلاثة والشطر الاخير هو قافية القصيد التي غالباً ما تكون من بيتين مؤلفين من ثمانية اشطر ، مثل :

سلام يا ربع يحْفظون العْهـود°

كسابة النوماس° من عهد الجدود°

عسى لياليكم سعد° يتبـع سـعود°

يا ربعةٍ دايم° لها في العز ساس°

وهي لرجل سلمي · وقال الجهني :

سـلام يا ربـعٍ يذرّينـا حجاها

يا ربعـة بفعالها كادت عداِهـا

فكاكة العاني ليـا أدرج رحـاها

يامَز°بَن الجار وياعون النّسيب(١)

وقـد تشـذ شواذ في الشعر الشعبي عن قواعـده فـلا يعترضون عليهـا ، ولكنهم يعتبرونها ضعفاً ،ومما شـذ عن القاعدة السابقة قول الاحمدي :

فيصل° وعبد اللهْ وزيـد°(٢) كـم ديـرةٍ هدّوا بنـاها

خـلوا منـازلهـا خليّة الطائف واللـي من وراهـا

---

(١) النسيب : الرحيم ·

(٢) أبناء الحسين بن علي ، واكبر منهم علي بن الحسين بن علي ·

فهذه الزومالة من شطرين •

وقول ابن عاتق السلمي :

واهيلتي من ذا الزمـــان الجنـــي

قاضى وديعه رأح عند الفِـنّي[1]

ما كن له خمسهْ ولا طلابهْ

ورد الفِـنّي على ذلك بقوله :

يا أهل الركاب اللي بـــرا تستنٌ

قولوا لابـــن عاتق يحـــوّل عنـــي

وسليم ما هي للخطايا بابه[2]

فهاتان القطعتان ثلاثيتان •

* * *

---

(١) الفني : بكسر الفاء والنون ، والفنانية شيوخ سليم في زمن متقدم ، اشتهر منهم عيد الفني •

(٢) بابه : باب •

العرضة

لا يختلف شعر العرضة ولحنها عن الزومال والهزج ، فشعرها لمناسبات الأفراح أو عرض قوة القبيلة واظهار عددها وما تملك من سلاح ومهارة في استعماله ٠

ويبدأ القوم في صف طويل وهم يهزجون ، وبنادقهم في أيديهم معبأة بالعتاد ويجعلون علامة في مكان قرب الصَّف وعلى يساره ، ويجعل كل من وصلها أطلق بندقيته فيها ، ثم يأخذ الناس شكل دائرة تكون تلك العلامة مركزها ، وفي هذا خطر ، اذ كثيراً ما يخمر بعضهم الطرب وصوت لعلعة السلاح فيختل توازنه فيطلق بندقيته متجاوزة تلك العلامة محدثة القتل في الطرف المقابل من الدائرة، وقد حضرت عرضة مرة في عرس فكان لأحدهم بندقية من نوع قديم تحشى بالبارود حشياً في سبطانتها تسمى « مُقَمَّع » فحشاها بالبارود ثم نسي فعاد فحشاها مرة ثانية ، وعندما أطلقها انفجرت فبترت يده وأحدثت خسائر في الآخرين ٠ومن طريف ما شاهدته من رماة ثقيف وهذيل وفهم أن أحدهم يأخذ البندقية معبأة بالبارود ثم يلف حول نفسه كالمروحة ثم يركع فجأة في لمح البصر واضعاً فوهة السبطانة بين أصبعي رجله السبابه والوسطى ، وبنفس

السرعة يضغط على الزناد ومع طلقة البارود يندفع الى أعلى وكأن تلك الطلقة نسفته بشدة مما يجعلك مشدوهاً ظانا أن الرجل قد أصيب ، ولكنه لا يلبث أن يستأنف عمله من جديد !

وفي تهائم الحجاز وجنوبه قد يصحب العرضه قرع الطبول بايقاعات نظامية معروفة لديهم مما يضفي عليها منظراً بديعاً ويطرب الحاضرين طرباً شديداً .

* * *

الكسرة

الكسرة مثنيات غزلية لطيفة يتغنى بها أهل المدينة وينبع وأرض الوُسَيْط[1] • لهـا لحن طويل لا يطيـع الا أهـل الاصوات الرخيمة ، فـاذا غناها من تناسب صوتـه أحدثت شجواً وطرباً ، ومن لطيف ما روي لنا أن أحد شيوخ حرب كان يأكل وزوجته رطباً ، وكان شاب فوق رأس نخلة بعيداً عنهما فغنى كسرة فاذا الرطبة تسقط من في المرأة ! فاستشاط الشيخ غضبا فذهب الى ذلك الشاب فضربه ! •

ونساء الحجاز لهن عشق بالسماع ، كان ذلك قبل الاذاعة والتلفزيون ، وكان أهل غران يمنعون الغناء في واديهم ! فاذا مر جمّال لم يعـلم بالامر وغنى في هدأة الليـل لا يشعر الا والقُطَل[2] في ظهره !

ومن هذه الكسرات ذات اللفظ اللطيف والمعنى البليغ :

يا سـيدْ زاد الحلا نونـكْ
وِشْ ذا السوادْ الذي في العـينْ

يـوم اسـمع الناسْ يطرونـكْ
سـالتْ دموعـي عـلى الخدّينْ

---

(1) الوسيط ـ تصغير وسط ـ : الارض بين مكة والمدينة •
(2) القطل : جمع قطلة ، العصى الغليظة القصيرة •

وقول احداهن :

منــي مــداويْ ومنــي داءْ
وكم جرح لاهــل الهــوى داويتْ

وكم من َطنَيْته ْ(١) َبقْولَه ْ لا
غــير الحبيبْ الـــذي حبيتْ

وقول أحدهم :

يا حَبيبِّي لو تــرى حالي   يا ما جرى لي بعــد فرقاكْ
واللهْ مــا غبتْ عــن بالــي   ولا نسيتْ المصــافي ذاكْ

ومَرَّ أحدهم بوادي واسط قرب الصفراء فرأى فتاة جميلة ، فقال :

الله يــا شــفت لــي فلّــهْ   في وســط واســط مرابيها
فلّهْ ومــن فوقهــا ظلُلْهــا   يا ســعد من هوْ يواليهــا

فردت عليــه :

يا هَيْهْ يامطري الفــلّةْ   حذرا وروحكْ تعنّيهــا
من دونها تُرْكْ مفتلّهْ(٢)   والمــوتْ في ديــار أهاليهــا

---

(١) جعلت نياط قلبه تتقطع .

(٢) جيش من الترك منتشر : كناية عن شدة بأس من حولها .

ونظر أحدهم الى ظبية من ظباء المدينة ، فقال :

يازاهي اللونْ نَظْري فيك يغنيْ عن الحور والجنّهْ !
حلفتْ ما جيتني لا جيكْ يا عطر شامي ولهْ بَنّهْ

فردت عليه :

يا سِيدْ كُثْر النظرْ يشقيكْ
يوردكْ ناراً بلا جنّهْ

وان كان يا سِيد أنا شاقيك
سوق الذهب واتبع السنّهْ

فيقال : انه تقدم بعد ذلك لخطبتها فتزوجها .

وقال عبد الرحيم الأحمدي :

لولا العَشَم والأمل فيكم وأيام أخشى مداولها
طاوعت قلبي يجافيكم والعين عنكم أحولها

وقال عبد الرحيم أيضاً :

لولا الالم في الهوى وأحوالْ يبلى بها الود في ودّهْ
ما طقت جوركْ ليال طوالْ ابني أمل .. وانت بتهدّهْ

وقال فيحان العتيبي لعبد الرحيم الأحمدي(١) :

---

(١) روينا للاستاذ عبد الرحيم قصيدة في اول الكتاب ، وترجمت له في « نسب حرب » .

يا همزة الوصل بين الناسْ   بالطيب ومـكارم الاخـلاقْ
ودّك مـــلا القلب والأنفــاسْ   دايـــم لوصلكْ أنا مشتــاقْ

فرد عليه عبد الرحيم :

يا منبـــع الطيبْ والايناسْ   واللي رعــوا ودنا باشفاقْ
العمـــر يحلى مـــع الجلاسْ   وان افترقنا مـــع الاشواقْ

وأنت ترى هنا أن أولئك البداة السذج يخرج كلامهم أكثر رصانة وأعذب لفظاً وأبلغ معنى ، ذلك أنهم لا يعرفون تصنـــع الشعر انما يقولونه متى نبـــع من قلوبهـــم الملهوفة ولواعجهم الظمأى .

وقد أتينا على غير هذا من هذا من النوع في باب الغزل ، للمناسبة .

وفي السبعينات كنا ندرس في جرول ، ولـــم تكن هناك مدارس منظمة للبنات فكان ثلاث فتيات يدرسن في بيت مقابل القبة من الجنوب ، وعند خروجهن مر أمامهن رجل من السادة يدعى عبد الله فأخـــذ يلتفت اليهن فعثر فوقع على الأرض ! وكانت فيهن الشريفة فاطمة ، وكنت لصغر سني أختلف الى بيت أهلها ، فزرتهم في اليوم التالي فاذا هي تقول : وش قال الشاعر ؟! (١)

---

(٢) يقول ذلك الشاعر اذا اراد أن يسمعك شعره ، فتقول له : هات . أي اسمع .

قلت هات ! قالت :

الجرولي طــاحْ في القـُبـّـهْ   زاغت عيونهْ على البيهات[1]

ونسيت أنا باقي الكسرة ، وعند تدوين هذا اتصلت بها فحاولت أن تنكر القول ولكنها في النهاية رجتني ألا أذكـر ما يعرف بها ! فهل على المرأة عيب في قول الشعر ؟!

* * *

(١) البيهات ، جمع بيه : واصلها بك بالتركية ، وهي رتبة أو لقب كبار الموظفين والمخدومين ، ولذا يقولون للجميلة : يا بيه ! •

الهوبَـــلة

أقوال بسيطة قصيرة تشبه الرجز ، يستعينون بها على العمل ، وأكثر ما تسمعها على الميـــاه عند جذب الدلاء ، من الآبار ، وقد يبدؤونها بقولهم :

يا هُوْبَلـّي ، يا هوبلي ، هَها َهه ْ

واذا قالوا شعراً كان مشتقاً من المناسبة نفسها ، كقولهم على الماء :

يا هــل الــذود العطونْ   وَيْنْ أهلكم ينزلونْ ٥
نَـز لـوا في جـوف وادي   وادي داجِ الفنـــونْ

أو كما كنا نقول في الصغر عند جداد النخل :

أنت يا تمر سايهْ متى تستوي ؟
تمر َحجْر المشَـوَّك دَلَـح بالقِـني

* * *

الهَـــزج

الهزج نـوع من الغنـاء بسيط التركيب لطيف المسمع يغنّى جماعياً في مناسبات النصر والافتخار أو الأوقات التـي ليس فيها تصيد ولا ملاعب ، وقد تسمع الركب وحاديهم يرفع صوته هازجاً مفتخـراً بما حقق قومه أو بماضٍ مجيد لهم ، كقولهم :

سلام سـلام وردّ السـلامْ على بير زمزم نصبنا الخيامْ
وتحت الخيام رجـال كرامْ فيهـم واحـد فصيح الكلام
سيدنا محمدْ عليه السلام

أي فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٠

أو قولهم :

يـا ساريهْ خَبِّرِينـي عمـا جـرى خَبِّرِيني
وحبيبـي وش جـراله ويش اللي شاغلْ له بالهْ

وقولهـم :

وحمام جانا من الطائفْ عشقانْ يَبْغَـي الولايف

وان قلتهـا ماني خايفْ لَجِلْ الثـلاث الولايف(١)

وهم يبدلون الثاء المثلثة تاء مثناة، وهي لهجة الحاضرة ، وقد يكون في هذه الاهزوجة نقص .

ومن أهازيجهم :

سلامْ سلامْ يا جمـاعهْ يا هل الكرمْ والشجاعهْ

واذا غيمت السماء أخذ الاطفال يهزجون فيقولون :

يا غَيْم غَيِّمْ عنـدنا واربط حصانكْ في سلاسلْ بيتنا
والبنت ما هـي بنتنـا بنت الثريا والنجـوم المرزمات !

وهذا الشعر في مبناه قريب من الزومال، غير أن الأهازيج ليس لها لحن معين،فهي تتخذ من أي شعر يلائم المقام والمناسبة، ويصلح القاؤه فيها ، ويقولون أيضا :

المطـرْ جـانا بـلّ معزانـا سَيَّل الزبـدهْ في معشانا(٢)

ويقول أبناء الحاضرة للمطر اذا بدأ رشاشه :

يامَطَرَهْ حِطّي حُطِّي على عتبـة بنـت أختـي
بنت أختـي جابت ولـدْ سميت عبـد الصـمد

---

(١) القافية لاتتكرر في الادب الشعبي ، واعتقد انفيها تحريفا .

(٢) المعشى : المكان الذي ترعى فيه الغنم بعد الغروب حتى تعتم ، وهذه من اهازيج الاطفال .

وتلاحظ ان الشعر قليل عند الحاضرة ، واذا حدث فهو غير جزل وقد يتيه عن المعنى وتكون الركاكة فيـــه واضحة ، ذلك أن المثقفين منهم ينظمون بالفصحى ، أما عامتهم فقـــد انغمست في العاميّة ، وستلاحظ ذلك في الأمثال في بابه ·

ويقول أبناء مكة :

يا رائـــح الوادي	عطنا معك كادي[1]!
والاجريد أخضر	نضرب العسكر !

* * *

(1) الوادي اذا أطلق في مكة يعني وادي فاطمة « مرظهران » وكادي: كاذي·

شعر المناسبات

الشعر العربي الشعبي يتسع في جميع معـانيه ومبانيه وبحوره وألحانه لجميع خلجات النفس وومضات الفكر ، فتجد فيه الفخر والهجاء والحنين والمديح والغزل والرثـاء ، وغير ذلك من المعـاني السامية ، وكما قدمنـا لا يقـل في كثير من الأحيان عن صنوه الفصيح في جزالة اللفظ وسمو المعاني الا أنه ابتلي كما ابتلي أخوه في هذا العصر بمن يريدون أن يكونوا شعراء بأية وسيلة ومن أية طريقة ! فظهر لنا في بعض المجلات والصحف ما يسمونه بالشعر الشعبي الحديث ، وهي كلمات خالية من المعنى والمبنى يمج سماعها الامي قبل المثقف ٠

وقد أفردت هـذا الباب لشعر المناسبات ، لأن الأبواب السابقة كانت تصنيفاً ٠

* * *

الفَخـروالحماسَـة

كذلك هذا نورده للدراسة لا للحصر ، وما تيسر عندنا هنا من شعر المناقرة أمراء بلي الشرقيين من فخذ البركات(١) ، يقول شاعرهم معوّض التّلّفَيْه° :

سـحابـةٍ خَيّلتهـا نشوهـا زيـن
مجنوبـةٍ واقْفت عليهـا الهبـائب

تسـقي من القصّـة الى سـيل فرقين(٢)
وتسـقي على تـذرع رياضـاً عشـايب°

صَبّـه عليهـم بالضحـى صبـح الاثنين
وأول هللهـا مثـل حضـو اللهـايب(٣)

عينيـك(٤) يا تـذرع كدنك(٥) تصيحـين
جينـاك في ملـحٍ(٦) يصيـب الضرايب°

---

(١) انظر : عنهم « معجم قبائل الحجاز » .
(٢) جميـع المواضع التي ترد في هـذا الكتاب انظر عنها : « معجم معالم الحجاز » .
(٣) السحابة هنا : كناية عن غارة .
(٤) لعيونك .
(٥) ان كنت .
(٦) البارود .

الأولـة لعيـون مريوشـة العـين(١)

مدعوجـة العينـين شـقر الذوايبه

والثـانية لعيـون من تتبـع اثنين(٢)

اللـي لبنهـا نـاقـع بالهنـائب°(٣)

تسعة على مسطاح(٤) وتسـعة عطيبين(٥)

يا ذيب يا سرحان وين انت غايب°

ان ردت من لحـم النشـامى العفيفين

وان عفتهـم يا ذيب تلقـى ركـايب°

ما سـبكم يا فريـج بالهـوش ذربـين(٦)

جوكـم حرار(٧) ماضـيات الجرايب°

من قبـلكم داسـوا رجـالا شـجيعين

وضارين في حوز الجهام العَزَايب°(٨)

---

(١) غزيرة رموش العيون حتى كأنها ريش طير ·

(٢) الناقة الكريمة ترضع ولدها وآخر ظئراً ·

(٣) ناقع : لكثره ، والهنائب : قدح ·

(٤) كالنطع ، كناية عن القتل الجماعي ·

(٥) جراحهم خطرة ·

(٦) ذربين : نشامى ظفران ·

(٧) احرار ·

(٨) متعودين على غزو الاحياء البعيدة ·

من الحمى شِـدّوا على ساق مقفين

طايبْ لكم والاعلى غير طايبْ

ومن غيرها باقين عشرة ربيطين(١)

وذود العماوي جايبينه نهايبْ(٢)

وهذه القصيدة من نوع المسحوب • وكانت قد جرت وقعة بين بلي وبني عطية على جو تذرع ــ وهو الحمى ــ جلت على أثرها بنو عطية وخلا الحمى لبلي بقيادة سنيد ومسند منقرة • وغزا سنيد المنقرة الجعافرة من عنزة وكانوا مقيظين على لقط:حسي ماء قرب جبل برد في العشر الأول من هذا القرن، وكان الجعافرة بقيادة مشل العواجي، فقتل في المعركة سلمان بن سليم أخو سنيد منقرة فدفن تحت قارة هناك عرفت فيما بعد بقارة منقرة ، وقتل من الجعافرة خمسة من النمران(٣)وجرح مشلّ العواجي، وفي ذلك يقول التِّلّفَيْه :

البارحهْ جينا عليهنْ مراميسْ

وغرنا عليهم غارة هلهليهْ

---

(١) ربيطين : أسرى •

(٢) العماوي : بطن صغير من الخضرة من بني عطية •

(٣) جميع البطون الواردة في هذا الكتاب فصلنا اخبارها في « معجم قبائل الحجاز » ، فاغنى عن تكرار الكلام عنها •

غرنا على وضح تقــول البرانيس°(١)

كلش(٢) يلالي وســمها جعفريَه°(٣)

نركض وضوء الملح مثــل المقابيس°

وعــلى لِقَـطهْ يامــا دنت° من منيّــه°

سلمــان فرشــناه خمســة ملابيس°(٤)

والعصــر وســّدناه رأس العبيّــه°(٥)

خمسه° من النمران ما هم هلابِيسْ(٦)

مثــل القليب اذا انهــدم ركن طيّــه°

ياســين يا ذيــب النعــاج المعابيس(٧)

حــامي عَقَـاب الجيّــده° والرديّه°

من طــاح منا تقــل طايح من الكيس°

وليــا غــدا هــذا ظهــر ذاك زيّه°(٨)

---

(١) تقول : مثل البرانيس •

(٢) كلش : كل •

(٣) من ابل الجمافرة وسمها واضح ،وكأنه يتلألأ •

(٤) الملابيس : الرجال المرتدون لباس الحرب •

(٥) العبيّة : فرس سلمان القتيل •

(٦) هلابيس : جبناء أو ضعفاء خائرون •

(٧) ياسين : كلمة تحسر وخنين ، والمعابيس التي تحجر عبسها على عراقيبها، علامة سمنها وطيب مفلاها •

(٨) أي نعوضه بغيره ،وهذا يشبه قول السموال :

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لمــا قال الكرام فعول

لحقوا حدامي(١) ثم رجعوا مفاليس

والبل قبال العين ما هي غبيه(٢)

لا انتم غياب ولا مربط محابيس

ولا فيكم اللي غايب كون غيه(٣)

باثمانهن ياما ركزنا من الكيس(٤)

من ذود أبو عسكر حماة الونيه (٥)

معنا اللهيب حمود ومعنا فواريس(٦)

يا خلطة الرحمن ملا بليه(٧)

ومعنا القريد(٨) يعطي الهوش تدبيس

وزود على قسمه حزا له حزيه(٩)

اللي كسب واللي محصل نواميس(١٠)

غير الهطيعي مفلس قيدنيه(١١)

---

(١) حدامي : غضبي ، والحدم شدة الغيظ .
(٢) الابل أمامكم تنظرون اليها .
(٣) غيه : النساء .
(٤) اشترينا بها اكياس الطعام .
(٥) الونيّة : الهزيلة .
(٦) اللهيب : أحد شيوخ الحويطات الشجعان .
(٧) ملابليه : ياله من داهية .
(٨) القريد : شيخ من وابصة من بلي .
(٩) حزية : علاوة على قسمه مع قومه .
(١٠) النواميس : المفاخر .
(١١) شيخ حويطي هاب المركة فلم يدخل ، وقيدنية : البتة .

وغزا سنيد منقرة[1] بني رشيد ، فقال يفتخر :

لي سـابق لا حثهـا[2] العقب مزغـار
تسـبق اذا صكت عليهـا الدبيـله°[3]

قلطتهـا في نحورهـم تقـل قهـار°[4]
لمـا اعطبوها موشـعين الفتيـله°[5]

ذبحت مَقْدم قومهـم بساخن الثـار
لعيـون من وسّـع عراويج نيله°[6]

لعيون ملهوف الحشا ظبي الاقفـار[7]
من سـاس قـوم قربهـم ينعني له°[8]

---

(1) سنيد بن سليم المنقرة شيخ بلي السراة من فخذ البركات وأصلها من حرب ، بطل مغوار عاش في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وكان يعتزي أخو سندا وهي اخته ، اغار ـ كعادة القبائل في ذلك التأريخ ـ على معظم القبائل المجاورة ، بل تعداها الى ان اغار على ابن رشيد بضواحي حائل وأخذ ابله ، فغزاه ابن رشيد في بلدته جيدة فدمرها ، انظر جيدة في « معجم معالم الحجاز » .

(2) اذا حثها بعقب الرجل قفزت كالماء الزاغر .

(3) الدبيلة : غارة الناس او هربهم بلا نظام .

(4) كأنها من يقهر الناس اي يقهقرهم .

(5) مشعلين فتيل البنادق .

(6) الوشم المخطط في الوجه ، وهي عادة نساءالشمال .

(7) ضامر الحشاظبي البراري .

(8) يستحق من يسافر له .

السـود للشردان عفنـين الابصـار[١]

عيفنهـم يـا نـاقضـات الجـديله

ربعي على الشدات صلبين الاشـوار[٢]

فـكاكة الفرقـان[٣] يـوم الديـله

لا كثرت الأزوال[٤] نصله ولو صار[٥]

وقـول بـلا فعـل قليـل حصيـله

هذه القصائد الثلاث المتقدمة رواية الشيخ حَمَّاد راشد منقرة أمير بلدة العيينة التابعة لتبوك ٠

★ ★ ★

---

(١) الجبناء ٠

(٢) صعبين المراس ٠

(٣) الفرقان جمع فريق : النزل الكثير من الناس ٠

(٤) اذا كثرت ٠

(٥) مهما صار ٠

الحَنِيـــن والتَّوجُّـد

العــربي رقيق العاطفــة كثير الحنــين والتوجّــد الى الأصدقاء والديار ، يرثي ناقته اذا هلكت ويتوجد على ذلك الجار المبارح ويأسره الوفــاء حتى انــه يأنف أن يقتل ألد اعدائه اذا دخل بيته أو أكل من طعامه ، ومن يصمه بالجفاء والجلافة لا يعرف اخلاق أبناء الجزيرة وسجاياهم الفذة ٠

وهذا رجل من البلادية من حرب اضطر للاقامة في مكة فتذكر دياره ، فقال :

لا واهَـنِـي من َشدّ وأخذ الغَـزَ َازِي

وأمْسى موخر بثــر عسفان يسراهْ

وأخــذ الجَـبَيْهَـهْ والحــزوم الجــرازِ

يا لائمــي كــل مولّــعْ بمشحاه[1]

وسخرت جمال أخر بنقل الذخائر الى صـُلّـبَـة[2] اثنــاء القتال في تربة سنة ١٣٣٧ هـ فقال :

---

(١) مشحاه :ديرته ومرباه ٠

(٢) ترد في هذا الكتاب اسماء كثيرة للمواضع يصعب شرحها ، وكلها موضحة في « معجم معالم الحجاز » ٠

الليـلة أنا أمسيت باغـي نياقي°[1]

من دونها الزيمه° ومن دونها السيل°

ومن دونهـا قيمـة ثلاثـين° وادي°

يا عادل القامات° يا رافـع الميْل°[2]

وتجاور قـوم من الروقـة من عتيبـة فتحابت امرأتـان احداهما شريفـة المْتَيهِيّة من العضيان سـكان المحـاني ، والثانية من الجداعين من ذوي عطيـة ، فرحلت الجداعية الى نواحي سجا ، فحنت شريفة الى تربها ، فقالت :

يامـل قلـب كاثـراتٍ شطوُنـه°

ما غَير اسـنْدْ° من َتعَيّنه° وانحيِ°

سـواة غربٍ عَلـّقَنّه° منونـه°[3]

من فـوق ريشـي يقبـل ويقفيِ°[4]

على زعـاعة[5] حـائل ما تصونـه°

على المنازع من ضحى لين يمسيِ°

(1) أريد ابلي .

(2) معنى الجملة : ياصاحب الفرج .

(3) المنون : جبال الغرب .

(4) الريشي : دولاب السانية .

(5) الزعاعة : الشابة من الابل الغير مدربة .

واصاحبي ياهـل النضـا يذكرونه

على سـجا بالنزل واسج حالِي[1]

يا طنيف[2] أنا هاقـي انـكم تلحقونه

لكن سلم لي على الترف ياوُخَيّ

وعـز الله[3] انـي طـاوٍ الياس دونـه

لا شايفه ميت ولا شايفه حَيّ

وتغرب جمل بن مبـارك من المحاقنة من الروقـة فنزل الاردن وانقطعت أخباره ، فحنت أخته جُرَيّة بنت صويلح المحقنية فقالت :

الليـلة أمسى داخـل القلب هوجاس

هوجـاس والهوجـاس حَرّق عَلَيّه

يقوله اللـي ما مشى درب الادناس[4]

ولا قلبـوه أهـل العَمَال[5] الرديّه

(١) تذكير المؤنث اصطلاح عندهم جائز كقولهم : ياجميل ، ويازين ،وهم يقصدون المرأة .

(٢) طنيف : أخو الشاعرة .

(٣) عز الله : صيغة قسم .

(٤) الادناس : جمع دنس ، وهو في الاصل ما تنسخ منه الثياب ، وهي تقصد انها لم تقرب مايدنس شرفها .

(٥) أهل الاعمال الرديّة ، وحذف الالف لضرورة الوزن ، فهم كما قدمنا يعرفون بالسليقة ما يعوق السياق فيطوعون الكلمات للغرض .

وأجَرّ قلبي يا جمل جر الامراسْ
جر المَرَس من قاعة العيلميّهْ(١)

وأخويَهْ اللي حال من دونهْ الياسْ
ما عاد توصلنيه صفرا ثنيّهْ(٢)

أقفوا به الحكام قطاعة الراس(٣)
يا جعلها للحي ما هي بنيّهْ(٤)

وحارب روقي مع الاخوان فحن الى بلاده فقال :

وَجْدَاهْ يا حَرّة الروقهْ   من دونها شابت أعياني
حنا حربنا الى دوقهْ   وديار غامد وزهران
حرباً على شان غُرنوقهْ   واملح يَقْدَى الاظعان(٥)

واذا كان الشعر لحبيب كنوا بما يعرفه هو ولا يعرفه غيره ، وكذلك في الأمور التي يخجل من الافصاح عن اسمائها ٠

وهذه فتاة كان لها خطيب ، فكان كلما جاء الى أهلها

---

(١) العيلمية : البئر بعيدة القعر ٠

(٢) حرة من الابل ثنيّه السن لانها في عز فتوتها ٠

(٣) تشير الى أنه كان من حاشية الملك عبد الله بن الحسين ٠

(٤) ما هي بنيَّة : ما هي نهاية لايرى بعدها ٠

(٥) غرنوقة : ناقة ناصعة البياض وكذلك البنت ، والاملح الجمل المختلط لونه سواداً ببياض ٠

ليبني بها قالوا له : انها صغيرة لم تبلغ مبلغ النساء ، فأرادت أن تخبره بأن الأمر ليس كذلك ، فقالت :

يا ونتـي ونتهـا في القَنْينَـهْ
والضَّلعْ أبو الريحانْ من ونتي ونّ[1]

يا مرسلي قـل له تقـل لـك فلانـهْ
وجـدي على لاماكْ يا هن ابن هنّ[2]

اخلط لك السكر بتمـر اللبـانهْ
بضايعٍ في الســوق ما قط سيمنّ

وادي حجر يذكـر تعدّى صفينهْ
وان الودايا في حجـر ساع افانَنّ

ومر أحدهم بديار بعد غياب عنها ، فقال :

سلام يا الديرهْ اللي لي ثمان سنين ماجيتْ
واليـوم لمت بـي الطرقهْ وابا أرد السلامِ

قالت لي الديرهْ : أنا طيّبهْ واللهْ يعافيكْ
ما فاقده غير وبـل الغيث ونزول الجهـامِ

* * *

(١) اماكن في الحجاز .

(٢) فلانة وهن : كناية لمن لايراد الافصاح باسمه .

الغـــزل

لهم في الغزل أشعار لطيفة مستحسنة قليلة الاسفاف الا في حالة التندر ، ومن اجلالهم للمحبوبـة نعتهـا بنعوت مذكرة تمجيداً لها ، كقولهم : يا زيد ، يا مجمول ، يا جميل ، يا كامل الأوصاف ، يا أدعج العين ، يا أريش العين ، كناية عن غزارة هدب الرموش حتى صارت تشـبه ريش الطـير ، ويصفونها بالأوصاف المحببة كقولهم: يا ظبي ، يا غزال، يا سهيف الروح (الحشا) وأوصاف أخرى غيرها ٠

قال شاعر من بشر :

سِيدي مرابيه° من حوز الرقاب° ليا آم جرفانْ

من بير محسن ليـا الوطيه° ليـا برقـا الغميمِ

وليـا تشـامل يردنـه علـى بيـار عسفـان°

وليـا تيـامن يـرده فـج ابن عبـد الـكريم

وهو بهذا يوسع دائرة محبوبه حتـى لا يعرف فيفتضح أمـره ٠

وهذه أبيات نقلتها عن جريدة الندوة لشاعرها الشعبي محمد الناصر :

حبيب قال في سيرة حبيبهْ

الاياشِين شيٍ بالغصيبهْ

الى ما صار من تهواه راضي

مقاضي حاجتكْ عنده صعيبهْ

يصير اللي على غير الموده

على اللي يتبعه أكبر مصيبهْ

ولا تحرص على اللي ما يودكْ

قل اللي ما يبيني ويشْ ابيبهْ

أحب اللي الى من شفت زولهْ

يفز القلب فزات غريبهْ

يصير لي الغلا ولها التغلي

قطب جيبي وأنا شديت جيبهْ

وهذه قصيدة غزلية أخرى لنفس الشاعر وعن الجريدة نفسها :

يا زين يا ليت ما شفناكْ ماني عقب شوفك مريحي

يا ويلنا منك ومراعاكْ يبو عيون ذوابيحي

لو صار مندونك الشباكْ بيّن وجيه المفاليحي

الزين ما يختفي شرواكْ غاشيك للملح توشيحي

وأهل الهوى يتبعون رضاك° أهـل القلوب المجاريحي
يا عزوتي ماقويت أنساك° وأقف على الباب وأصيحي
وادي اسـلم على يمنـاك° وافرح بشمت هاك الريح
يا ليتنـي دايـم وايـاك° بين المجـي والمراويحي
مر بهـذا ومـر بذاك° ونطوّح الصوت تطويحي
وأقول أنا خاطري يهواك° ونسرح الهـم تسريحي
والحب يا زين ما يخفاك° مفهوم من غـير تصريحي

والصنعة ظاهرة في مثل هذا الشعر، وقد قلنا : ان الأميين يجيدون هذا اللون أكثر من المثقفين لعدم تكلفهم له ٠

* * *

شعر عاشقين

تجاور حيّان من الشلاوي من الحرث فتحاب شابان حباً عنيفاً ولم يبـح أحدهما للآخـر بلواعج نفسـه واضطرام أحاسيسه ، وذات يوم عزم الحيـان على التفـرق ، وأحاقت الفاجعة بالعاشقين اللذين ظلاّ يكتمان حبهما ، ولسان حالهما يقول :

وما دام النظـر مسـموح اشوفك كـل يـوم وأروح

فبيح صبر الفتاة التي ظنت أن لا تلاقي ، فمرت بقرب محبوبها فسلمت عليه كعادة البادية ، ثم أردفت : صحيح أن قومنا اليوم يفترقون ؟ قال : نعم ٠ قالت :

لي اليك كلمة • فقال : هاتي ما عندك • فقالت :

دخيلْ ما ترجيْ وشوفٍ يقديــكْ
أنا ليـا قفّيت تشــفيْ عـلـَيَّهْ ؟

فقـال :

وَحـْيـَاةْ معبودي وشــوفْ أترجاهْ
اني عليك أشــفى من أمـّــي عـَلـَيَّهْ
واني عليكْ أشفى من الوِرْعْ للديد(١)
وأشفى من الصايم لشربْ النسيَّهْ !(٢)

وتفرق الحيان ، فأصبح الشــاب لا يتكلم ولا يتحرك ، وبعد محاولات عرف أهله السبب ، فذهب خاله يخطب تلك الفتاة ، فاعتذر والدها بأنها مريضة منــذ افترق الحيــان ، فأقنعه الخاطب أن السبب هو حبها للخطيب وأن ذلك الخطيب في مثل حالها ! فوافق فتزوجا •

وساورت الشاعر مصلح بن وكيّل ـ من الشيوخ أهــل البرزة ـ نفسه عندما رأى بعض الغيد يتهادين في مكة فقال يتشكي الى صديقه محمد سعيد بن قابل الأحمدي :

---

(١) الديد : الثدي •

(٢) النسيَّة : اللبن يخلط بالماء فيشربه الصائم عند الافطــار تحاشيا لشرب الماء الصافي لأنه يلهد المعدة •

يا بو سعدْ مشتكي من حــال وابديت الشــكيّهْ
واصلْ السببْ نفسيْ اللــي عذبتني في هواها

ان شافت الجيشْ قالتْ لَيهْ ما تشري مطيّهْ(١)
وتجاكر أهــل الركاب اللي تشــوّق من منــاها

وان شافت الخيل تَبْغىَ خَيــلْ بلواهــا قويـّهْ
وان شافت أهــل المواترْ وانها تَبْغيَ سراها(٢)

ولِنْها تطلّعْ بعدْ شافت وَرَى هــذي وذِيّـهْ
نفسي َتمَنّى وعيني ســاهرهْ تبغَى رضــاها

والقلبْ تعبانْ بـينْ العَــين والنفس الشقيّهْ
ودّهْ يجــاملْ مــع الثنتــينْ ويخفّفْ عناهــا

يا بو سعــد حلهــا قــدام لا تصــعب عَلَيّــهْ
عَلّكْ موفــقْ لحــل الازمــهْ اللــي ما وراهــا

فأجابه محمد سعيد الأحمدي :

سلامْ عِدّ الرياحْ اللي تجي من كل نيّهْ
وعدّ ذِيكَ النجــومْ الثابته في أعلى سماها

---

(١) الجيش : الركاب · وليه : لِمَ ·
(٢) الموتر : السيارات ، وسراها : دورها ·

للصاحب اللي يتشكّى من احوالي خفيّه [1]
على العرب خافيه وأنا علَيّه ما كماها [2]

ويقول نفسه معذّبته وفي المطلب قويّه:
هذي سجايا الكرام نفوسها تبغى مناها !

دايم ونفس الكريم تروم لاحوالِ علِيّه
دايم تطالع أمام ولا تطالع من قفاها !

ولو كان عذّل عليها ما تعرف المعذِريّه
لاجل الهوى علّة في النفس ماحصّل دواها

لكن لازم على العاشق يفكّر في القضيّه
كما ورد في كتاب الله في ختمه قراها

لاجل التصبّر من الواجب على النفس التقيّه
ان كان يوجد شفا للنفس هذا هو شفاها [3]

وللقصيدة بقية . وسافر عبد الواحد بن عاطف الصبحي الحربي الى الساحل فوجد فتاة ترعى غنماً لها وعرفته لأنهم كانوا جيران ولكنه لم يعرفها لانها كبرت بعده ، فطلب منها

---

(1) هذا الصدر غير مستقيم الوزن .

(2) العرب : الناس ، وما كما ها : ما زائدة .

(3) عن مخطوطة للاستاذ عبد الرحيم بن مطلق الأحمدي .

فمدت القربـة له على الذلول ، فنظـر اليهـا فسقطت عصاه فناولتها اياه ثم قالت : الله يحييك انظر البيوت قدامك ، وحنا جيرانك آل فلان ، فقال :

قالت : عـَز'ومه° على الفنجال° يا راع المطيـّه°
بيوتنـا شوفهـا حـَـد ّ البراح من الجهامه°(١)

وقلت° : تبقـين يا بنت الرجـال الأصرميـه°
بيوتكم لالفاهـا الضيف في سـوق المسامه°(٢)

الله° يكافيـك° يا مطلـِق° عصاتي من يديـّـه°
والله° ما هـُو ردي فـِيـّه° ولا هــو من رفـاله°

لا غير هـَيـّض علي النـّيـل° في خد الغـَضـِيـّه°
وزمامهـا يا مـلا ما بـين سـِيـَّاله° وشـامه°(٣)

عهدي بهـا العام الاول° مير خابرها لـِقيـّه°(٤)
وربيعنا العـام حقـّــه° مـَير فـَزَّت بو ثلامه°

فنزل الشاعر على أبي الفتاة وخطبها منه فوافق الأب طالباً مهلة سنة ٠

(١) الجهامة هنا : الجبال ٠

(٢) المسامة هنا : السوم أي معروضة للضيف ٠

(٣) النيل : الوشم ، والغضية ، الغضة ويامل‍ا : ياناس أو ياما شاء الله ٠

(٤) اللقية والحقة : من أسنان البكـار من الابل ؛ أي كـانت صغيرة فنهضت بسرعة ٠

وعاد على الحول ـ بعد أن أخبرت الفتـاة بذلك ـ فلم يجد غيرها في الحي فرحبت به ، ولماكانت تعرف أن خطيبها كثير تبع الهوى ولذا فهـو يكثر السلاسل الفضية في عـدة البندقية ، فقالت له :

يا العَودْ تلبسْ حلقْ والشيب في عارضك قد لاحْ
لبس الحـلقْ ما يوافـقْ للرجـال العـاقلينِ

ما يوافقْ آلا لنا شيْ يرتعي البـارق ليا لاح ! (١)
ان عارضتْ لِهْ حلبهـا بالشمال وباليمـين !

فرد عليها :

يا عذب كيف أترك البندقْ وأنا للصيدْ ذبّاحْ ؟ (٢)
ليـا رميت الجوازي ما تصيـدْ الا السـمينِ

نلوي لهـنْ في غبـا من خـوف تصفقهن الاريـاحْ
ما نرمـي الا العَنْود اللـي نظرهـا ما يلـين !

وفي ليلة دخوله بها رفضت الانقيـاد له حتى أقسم لهـا ـ ويديه احداهما على السيف والأخرى على المصحف ـ أن يتوب ويقلع عن أعماله السابقة ، فلما رأى فكر هذه الفتاة وما وفق له على يديها قال :

---

(١) كنت بالبارق عن الجميلات من النساء .

(٢) المقصود هنا : النساء الخدرات .

نبهت في ليلةٍ غـراء بهـا مسـتد الاربـاحْ
ورميـت حبـل الشـــقايَمْ الربوع المشـتقينِ

فيهـا سفرجلْ وفـلْ وخوخْ مع كاذي وتفـاح
وترنـجْ مع هيـل وقرنفـلْ وريحـانٍ وتـينِ

وعنْـب وليمون حالي وبرْدَقـان يقيت الارواح[1]
يجـلى عن القلب وهـاج الحـرور بـكل حـينِ

مـعْ مَـوْزْ عندي تخضع كنهـا نسناس الأرياحْ
ما كنهـا الاّ بعال الطـورِ مبسمها حسـينِ[2]

وقال شاعر يدعى الزريد ، بعد أن رأى جميلة :

واقلبي اللـي في مكاني نسيتهْ
بين الغديرْ ومن ورا الضلع آبـو في

عودتْ لِـهْ من سـاعتي ما لقيتـهْ
واقلبي اللـي ضاع مني وأنا حـي

كُلّهْ سبايب ظبي شفتهْ واريتـهْ
واقف على المـورد ويسقي من الميّ

---

(١) بردقان : برتقال ·

(٢) يقصد الفتاة · والحوار من مخطوطة لعبد الرحيم الأحمدي بتصرف

يا ليت حـل النهبْ فيهم يا ليتـهْ
اشيلها وأروحْ بها ثنية الـيّ (؟)

أحطهـا في بيـت تـوي بنيتـهْ
وعسليات الروم تلوي لهـم ليّ

وقـال :

لا واسعَيْد المـزنْ مشيـهْ سريـع
لا واسعَيْد المزنْ ما اسرعْ مطاياه!

الصبـح خـرّجْ من ديـار بعيـدِ
والعصر يسقي دار جالي ثنـاياه(١)

ورأى الشاعر درويش الحساني فتاة جميلة صغيرة السن ، فقـال :

عنّيتنـي يا مثـل ظبـي سفيسيفْ
يـا مقطف النـوار روس النوامـي

ليتـك قمـيري يا حسـين التواصيف
وأنـا الصـقر شـهان ذاك القطـامـي

---

(١) من مخطوطة للاستاذ عبد الرحيم الأحمدي .

أجيك خاوي ما تقول العرب : شيف ! (١)

وأروح بـك يـم الغبـا يا غرامي !

أروح بـك راس العناقين في ديفْ(٢)

في راس ذاك الحيـد مالـي مـرامِ

أنتـَه تغرّد في العـلا في هفاهيف(٣)

وأصـيد أنـا وأجيب صـيدٍ دسامِ

وتسعف لنـا الايـام نغـدي مواليف

وهروجنـا بالعمـقْ زين الـكلامِ

ما هـو كـذا كتفنـي الشـيب تكتيـف

ما عـاد باقـي غـير بيـت الظـلامِ

وثوبٍ قضيف وفوقه اللحـد تصفيف

دانـوا عليـّهْ جلهـا والرغـامِ

وكان لأحدهم مضنونة يتسقط أخبارها فرأى ورداً فقال:

أشـوف يا هاشـم عـلى المـا ورودِ

باروحْ اشوف ورودهم وش يكونونْ

(١) لايكاد يلمحه البصر .
(٢) مكان مشف .
(٣) حيث ينشط النسيم .

عَسَى اَعرِفْ فيهم كنين السدودِ
مرتاحْ مَنْ لا لِهْ مع الحي مضنون

ومن أجمل غزلهم شعر الكسرة ، ومن ذلك قول أحدهم :

يا سيدْ زاد الحلا نونكْ
وش ذا السواد الذي في العين ؟
يوم أسمع الناس يطرونكْ
سالت دموعي على الخدينْ

وقال آخر :

يا من يبشر عن الغيابْ وبشارتهْ كيسْ بنوري
ومن الركايبْ ثمان ركابْ ومن الذهب شحنت الهوري

ومر رجل في المدينة المنورة ، فرأته احداهن فقالت :

سلامْ يا لابسْ الهندي يا اللي تمشي في ديرة حربْ
أعزمكْ بعد العشاء عندي واحذر مواطيك لا تختبْ !

فرد عليها :

حاضر ومطلوبكام شندي
واجيك لو ناركم تشتبْ

ما زاعنـــي الفـــرد يا فنـــذي
ولا سيفكم اللي عديـل الضرب

وقد قدمنا في شعر الكسرة شيئاً من هذا الشعر العذب .

وقال آخر :

الله يا حَبيِّبي ما أقســاك   وأنا على الصبر ما أقوانـــي
كم ليـلةٍ بتّ في رجــواك   سهران والنوم ما جاني

وقال آخر :

ان كــان لمخمّرهْ بتـــروح   أنــا بَرُوح الدعيجيـه
ما أقعد في هذا البلد مجروح   والناس ما تطّـلع بيّه[1]

وقالت احداهن لرجل سألها عن اسمها :

منّــي مـداوي ومنّــي داء
وكــم جرح لاهـل الهوى داويت
وكــم مــن طنيتـه بقولـة لا
غــير الحبيب الـذي حبيت[2]

وسافرت حبيبة أحدهم الى المدينة ، فقال :

---

(١) بي .
(٢) وكان اسمها نخلة .

يا هـل المدينه° نصاكم زَيْـد°
يا هـل التراحيب فوزوا لـه°[1]

تـراه يسوي قرايا قـديد°
ووادي جهينـه° عـلى طولـه°

وقال أحدهم :

فنجال شـاهي عليك° أشكي غـزال بالـسود كـاويني
وان غاب عنـي قعدت ابكي يا كاس من هـو يسـلّيني

وتغنى أحدهم ببدر والخيف ، فقال :

يا رب تسقي بَدر° والخيف والواسـطه° وام ذيـانِ
خيف الحزامي مقـر الكيف نزالتـه° كـل ديقـانِ

وهذا النوع يحضر الانسان بسرعة بديهة ، وكان رجل نزل عليه ضيوف فأطالوا المكث فانشغل بهم عن أهله ، وذات يوم نادت زوجته ابنها وقالت : رح لأبيك وقل له :

سـلام° يا للـي نسيتونا ما كنا في البلد جيران° ؟![2]

فما أن سمع الرجل هذا حتى رد بسرعة بديهة قائلا :

جـونا خطاطير° والهونـا[3] معذار°، ما هو لكم حقران°!

---

(1) الفوزة : النهوض .
(2) ما كاننا .
(3) خطاطير : جمع خاطر ، وهو الضيف .

الهجـاء

وللهجـاء نصيب في الأدب الشـبعي ، غـير أن هجـاءهم ــ عادة ــ غير مقذع ، وقد يذهبون الى التورية ولمس الموضوع لمساً خفيفا بحيث يفهم الموجه اليه الكلام أنه أتى منقوداً أو عيباً ، ولكن هذا لا يمنع أن نسمع قصـائد في طياتها اسماء صريحة وكلمات رادعـة ، من ذلك قصيدة هذيرم القرعاني الحويطي التالية ، كان في سفر وانقطع به الطريق فلم يطعم يوماً أو يومين فورد ماء يسمى النقيعة ، فوجد عليه قوماً من قومه الحويطات يسقون ابلهـم ، ومن عادة العرب انـه اذا لقاهم أحد عند ابلهـم أن يحلبوا له حليباً ، ولكن هؤلاء لـم يفعلوا ، ولما صدرت الابل ، انشد :

وردت لي مـانٍ(١) يسمى النقيعـه°

مانٍ هماجولا يتـهَـبَّـط° بالأكباد°(٢)

وردت وان الطرش(٣) غادٍ نشيعه°(٤)

وقعدت لا من(٥) آخره للصـد رقاد°

(١) مان : ماء ·
(٢) لايكاد يساغ ·
(٣) الطرش : الابل الكثيرة ، والقليلة : ذود ·
(٤) نشيعة :منتشر ·
(٥) لامن : الى أن ·

يا الله يعل(١) أذوادكم للقطيعه°

والا صداف المنقره عقب مجراد°(٢)

لَيَّم لكم(٣) أهل الكبود الوجيعه°(٤)

اللي يحطّون الشواكل على الزاد°(٥)

لو ازتبنتوا(٦) لِبن والا فريعه°

في قدرة الله° مالكم عنه مشراد°(٧)

يا مصلّحين° الذود بأول° ربيعه°(٨)

بَيْنْكم و بينه° نقضة الجزو ميعاد°(٩)

منها يقسمها ومنها يبيعه°(١٠)

ومنها يخلّيها مناثح للاجواد

---

(١) يعل : لعل ، وهو دعاء ، وليست هي ضرورة شعرية ولكنها لهجتهم

(٢) لعل يجدها المنقرة في غزوة له ٠

(٣) ليم : جمع ٠

(٤) المبغضين لكم ٠

(٥) الذين يكرمون ضيوفهم بوضع الذبائح السمينة على طعامهم ، والشاكلة : مابين الفخذ والجنب يكثر فيها الشحم الذي هو عند البدوي علامة الكرم ٠

(٦) لو صعدتم في جبل لبن أو فرعه ٠

(٧) ليس لكم عنه محيص ٠

(٨) مسمنين الابل في أول الربيع ٠

(٩) يكون ان شاء الله موعدكم أول ورد الابل الماء بعد نهاية الربيع

(١٠) حذف الألف هنا ضرورة ، وهي أيضا من لهجتهم ٠

وأظن كبّ الضيف[1] فيـكم طبيعه

معقبـهْ جـدٍ لترثـات الأولادْ[2]

ومن لطيف ما روي في هذه القصة أن الله استجاب دعوة هذا الجائع فأغار منقرة على تلك الأذواد بسفوح لِـبن ـ جبل ـ فأخذها ·

وجاور غبن القحم من الفريعات من بلـبي الطوالعة من عنزة من ولد علي ، فضافه قالط العواجي من أمراء الجعافرة من عنزة أيضاً ، فبات ورفاقه عنـد غبن وسرحـوا مصبحين فمروا بابل القحم ـ مضيفهم ـ فأخذوهـا ، فاستنجد القحم بمشل العواجي وقال : أن قالطاً تعشى عندي وأخـذ ابلي[3] · فقال مشل : هذا مباري[4] وليس لي عليه سلطة · فرجع لبلي واستنجد بالمناقرة فغزاهم سنيد وأخذ حلال قالط من اللبيدي، وهي مرابع بنواحي بيضاء نثيل ، وفي ذلك يقول التـّلـّفَـيْـهْ :

ممدنـا[5] من جيـْـدهْ اللي تخبرونْ

وعـلى اللبيـدي مطـلقين النطـيره[6]

---

(1) اظن من طبائعكم تخلية الضيف وعدم اكرامه ·

(2) وانكم وارثوه عن أجدادكم ·

(3) هو عندهم من العيوب ·

(4) المباري : الند ، وهو الذي ليس لك عليه سلطة ·

(5) ممدنا : مسيرنا أو مغزانا ·

(6) النطيرة : السابر أو المراقب ، وهو ما نسميه في الجيش بدورية استطلاع أو المراقبة ·

ساقة عقيدٍ كِنّه الذيبْ مجنون !(1)

يمدّ من ديره ويصبح بديره

نصبح على كبدا العدا تقل طاعون

في جمع كِنّه(2) لابةٍ مستديره

يا جاهلين بحربنا ما تعرفون

البل ليا(3) حلنا عليها عسيره(4)

الوضح(5) أخذناها ونمشي على هُون(6)

وعَوّد مكيش(7) وحرها في ضميره

ما هي حلايب قالط اللي تعرفون(8)

ضاف القَحَم والصبح قاد المغيره(9)

---

(1) في ساقة عقيد ، وحذف (في) ضرورة ، ولشدة حرص هذا المقيد على السير والغارة شبهه بالذئب المجنون ·

(2) كنه : كأنه ·

(3) ليا : اذا ·

(4) عسير استردادها منا ·

(5) الوضح : الابل الشعل والعفر ، وهو يقصد ابل قالط ·

(6) نمشي على مهلنا لعدم خوفنا ·

(7) عود مكيس : رجع مهيضاً منكساً رأسه ·

(8) يقصد أخذه لابل مضيفة ·

(9) الغارة ·

ما تركبــون الخيــل(١) حتــى تموتــون
والخيــل مقنــاهــا عليــكم معــيره(٢)

وتهاجى أناس من البلادية ، فقال أحدهم :

الذيب لــه مطعــوم في ألاد ضبعان(٣)
والا تــرى ولــد الزيــادي يهــابه(٤)

أكل حسن واستلحق العَوْدْ تيكان(٥)
لقــي الشحم في فقرتــه واســتنابه(٦)

وورد أحدهم على ماء فلم يحلب له أهل الابل ، فقال :

لا وابــي الا قلّلَنْ عُوجْ الارقاب(٧)
واقفنْ وأنــا ما ذقت حالي لبنهنّ

تشرب من المصنوعْ وتنــد الاهضاب
يا ربّ تخــزي كــل شيطــان عنهــنّ

---

(١) ستعافون ركوب الخيل بعد ما لقناكم من حرب وضرب لم تنفعكم فيه خيلكم ·
(٢) ما دام انكم لم تحسنوا استخدامها فقنيها عار عليكم ·
(٣) أي ولد ضبعان : فخذ من البلادية ·
(٤) والا فانه يهاب الزيادات ، وهم فخذ آخر ·
(٥) تيكان : كــلمة تهكم يطلقونهــا على الشيخ الذي يشد في مشيته لصحة بدنه بعد أن كبر ·
(٦) من الناب ·
(٧) تقلل : اذا مشى في ارتفاع ·

وهو من اللوم لأهل الابـل مع دعـائه بألاّ تصاب هـي بمكروه .

ومن مثل هذا قول الآخر :

جـيراننا جـاورهـم الله بامـانه°
من طيب الجيران° ما هم من الدون°(١)

شـدوا عـلى حمـر لهـا حندوانـه(٢)
ما قطّ للجـيران° منهـا يحلبـون°(٣)

وكان الشاعر علي العيادي الجهني من أهل العيص مسافراً الى تهامة فضاف جهنياً آخر يدعى حريميص ولم يكرمه ولـم يعش ذلوله « سبلاء » كما هي عادة العرب ، وفي الصباح سرح من عنده فضاف ابن عم له فلم يكرمه أيضاً وسمع بين المضيف وزوجته نقاش ، هي تحثه على اكرام ضيوفه ، وهو يرفض ، فغضب الضيف وحمل على ذلوله وهو يقول :

يا سـائلٍ عنـا ترانـا مـن العيص°
مِنَ الجَبَلْ نبـي نميّلْ تهـامه°

---

(١) هجاء في ثوب مدح .

(٢) الحندوانة : جلبة تحدثها الابل من حنين ورزيم ورغاء .

(٣) هذا بيت القصيد ومسبب الهجاء ، انهم لا يحلبون لجيرانهم كعادة العرب على كثرتها فرحلوا غير مأسوف عليهم .

وكنّـــا ضيوف لابن عمــك حريميص

منـي ومن سـبلا غشيـة الملامـهْ

أنا لقيتْ البيضْ ما عندهنْ قيسْ(١)

نجـل العيونْ مردّعـاتْ الوشـامهْ

يا ليتهـنْ ما يأخـذن الحراسيس(٢)

لا واخسـارة حبـةٍ في الظـلامهْ

وكانت زوجة المضيف الثاني ابنـة عم زوجـة الأول ، فذهبت اليها واخبرتها بما سمعت من شعر فخرجتا من بيتيهما ولم تعودا، عفة وأنفة أن تبقيا عند بخيلين لايكرمان الضيفان.

وهكذا تـرى أن الشعر الشعبي يستطيع أن يحـدث من الاثر نفس ما كان يحدثه صنوه الفصيح الذي جعل بني أنف الناقة يفخرون بهذا الاسم بعد أن كانوا يخجلون منه ، وجعل النميري يطأطيء رأسه اذا قيل له : فكف الطرف انك من نمير !

* * *

(١) قيس : حساب وتفكير .

(٢) الحرسوس : الجمل الضعيف قليل الوبر ضئيل الجسم .

النقــد

أما النقد فقد يكون لاذعاً ، ذلك أنهم كثيرو الغيرة على تقاليدهم ، ولكن كون النقد دائما موجها الى أشخاص معينين فان الكثيرين يتحاشون حفظه ، فلذا لم يصلنا منه سوى البيت والبيتين ٠

وهذه قصيدة للملازم عبد الله بن حبيب العنزي في زملاء له حلقوا لحاهم يوم التخرج لئلا يرى المسؤولون أنهم كبار سن ، يقول فيها[1] :

يا ربعنــا ياللــي حلقتوا لحــاكم
وش علمــكم ترمونهــا بالقمامه

وش ذنبها وانتم بعــد وش بلاكم[2]
ترمونهــا بالصطل بعــد الكرامــه

ذي بدعــة مــا ســنها مصطفاكــم
وعلامــة يــا شــينها مــن علامــه

---

(١) ونظراً لطرافة هذه القصيدة فقد نقلت منها ثمانية ابيات في كتاب طرائف وأمثال شعبية ٠

(٢) وش بلاكم : سؤال عما تعمل بنضب ٠ وكلمة وش أو أيش ، وَشْو ، كلها تعني : أي شيء ٠

مَحْدٍ جبركم فملكم من رضاكم(١)

ومن يترك السنه عليه° الملامه°

ما هو فخر تقليد شغلة عداكم

ولا هو تقدم بل ضلال° وغشامه°(٢)

أسف على فعل الخطا كيف جاكم

وأخص أنا من فيه دم وشهامه°(٣)

طاوعتم الشيطان واغوى جداكم(٤)

ومن طاوعه° يلقى العنا والندامه°

لا تحسبون الحلق يرجع صباكم(٥)

ما فات راح وتالي العمر خامه°(٦)

نبيكم عن حلقها قد نهاكم

صفوة قريش اللي رفيع مقامه°

---

(١) تقليد غير المسلمين .

(٢) غشامة : جهل .

(٣) دم : مروءة .

(٤) جداكم : حيلتكم ، والمقصود أغواكم الشيطان .

(٥) لاتظنوا اختفاء اللحية يظهركم بمظهر الشباب .

(٦) قماش خام تكفن به .

هــذي نصيحــه كان(١) ربي هداكم

هو مقصدي يا الربع و ِمْع ْ السلامه ْ

عفــواً لعــل الله يغفــر خطــاكــم

وتذكروا يــوم الجزاء والقيامه ْ

ومن عادات الحجازيين أن يقودوا على المتزوج ذبيحــة ، ولكن من أغرب هذه العادات أن يذبح المضيف هــذه الذبيحة ويطبخها ويقدمها لمن أتى بها ، لا يغيرها ولو بأحسن منها ، ولا يجلس معهم أحد لم يدعوه ، فأبدل أحدهم قود ضيوفه ، فنقدوه قائلا شاعرهم :

تدبروا في قَوَدْنا ثم حاشوها مــع الضأن ْ

هذا السلف ْ يا عنيت الله ْ من اين مفينينه(٢)

لعلها يوم تسرح في صدفهــا الذيب ْ سرحان ْ

وَلَنْكُم لا جميل ْ ولا حويش محوشينه ْ(٣)

وليس القود عادة كل الحجازيين ، انما غالب في بواديهم ، وفي الحاضرة الرفد مثل القود .

---

(١) كان : ان كان ، والحذف ضرورة .

(٢) السلف : العادة ، ومفينينة : مستوردين ، والفائن : الخبر الجديد الذي لم يسمع من قبل .

(٣) ولنكم : فاذا بكم ، حويش : حصيل .

ورأى أحدهم غداء امرأته فاستكثره ولامها على ذلك ! فقالت :

أنا جعوبْ أكبّر القرص بالحيلْ(1)

وأختل عود اللاش يــوم انتظر فيه

وقد يكون هذا من الهــجاء المقذع ، ولكن لا يمنع أن يكون نقداً لاذعاً أيضا ٠

ونظرت احداهن الى زوجها الذي يدخن غليونه ، فقالت :

يا شارب الدخان شــاربك لا طــال

وأيــاك وأيا واحــد جــاز دونــه

فسمعها زوجها فاستفسر بمــا ينــم انــه سيعلمها كيف تحترمه ، فعرفت ذلك فقالت :

أقــول :

شرابــة الدخانْ فيهم ســعة بالْ

واللــي طويلٍ شاربهْ يقصرونهْ

فضحك وعفا عنها ٠

★ ★ ★

(1) جعوب : شرهة ، وبالحيل : جدا ٠

شعر المراسلات

ولهم في الرسائل تدبيج وتنميق وأسجاع لطيفة، فهم يبدؤون الرسالة ــ بعد ذكر المرسل اليه ــ بقولهم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضاه ومرضاته ، وأعز وأشرف تحياته، عدد من صلى وصام وحج بيت الله الحرام ، وطاف بين زمزم والمقام ، مقام سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من اسجاع ٠

ومع هذا فكثيراً ما تكون رسائلهم شعراً أو مصحوبة بقصيدة ، وتبدأ غالباً بقولهم : يا مرسلي ، أو يا رسيلي ، ثم : منصاك فلان قل له ، أو تنصا فلانا ، الخ ٠٠

ومن الأشعار التي وصلتنا في هذا الصدد :

قصيدة فالحة بنت مسعود المحقني من الروقة سكان المحاني ٠ تزوجت رجلا من الغيادين من حرب وأبطآ عليها الرائد من أهلها ، فقالت :

سر يا نديبي تولَّمْ فوقْ عمليه

عمليةٍ ما تميز في مواطيها

مسراحها من طلال°[1] تقيّل الديه°[2]

والعصر نجـر لا بو مذكر[3] ملافيها

يا مرسلي قـل لهم ويش العمل فيـّه°

عـذ°راه° وراه بالغربـه° يخليهـا

وبعد أن انتقلت فالحة الى أهلها بعد فراق زوجها كانت قد انجبت منه ولدأ اسمه محمد فلـم يزرها سنين طويلة ، فأرسلت اليه هذه الأبيات :

لا رِحْم أبـوك محمـد الغيـداني

ولا رِحَم أبو من مات لِـه° من حيّه°

ان كان من عقب البطـي ما جـاني

حـُرّم° عليـه° الجنّـه° ألبريّه°[4]

ولو جـا سـيول وعقبت غـدراني

لاقـرعقـريع الشـنة المطويّه [5]

---

(1) طلال عد على يسار الذاهب من عفيف الى المدينة في الشمال الغربي من عفيف شمال حسو علياء بغرب .

(2) الدية : واد يسيل من شعر شرق المحاني .

(3) ابو مذكر : اخو الشاعرة واسمه نور بن صويلح .

(4) لحبهم للبر يلقبون الجنة بالبرية أي النزهة الطيبة .

(5) الشنة المطوية : القربة الناشفة من الماء العتيقة .

حتى أيش لو صدوا الى الغزلاني

ولـو النعـام يصيّرونـه لِيّـهْ

لا غـدي سـواة محـرق العيـداني

سـواة مـا تمحش على الوريـهْ[1]

وأرسل صنيتان بن محمد المحقني الى فيحان بن رشـيد المحقني ، يقول :

سر يا بريد ووصّـل الخط راعيـه

ترى الرسائل مـَعـْك مثل الأمـانه

مـَعـَـك وداعـه يا الموظف تودّيـه

وتوصّلهْ راعيـه بأسـرع زمـانه

ترى المكلف بالعمـل يجتهـد فيـه

وليـا تهـاون فيـه مثـل الخيـانه

وصّـل كتـابي لين يا صـل مناهيه

وليـا وصـل راعيـه خـله مـكانه

اعطـه كتابي والخبر منـه عطنيـه

حيـث الأخـو متولـعٍ في خـَوَانـه

---

(١) الورية : النار .

يبي علوم الاخو ويشوف طاريه

بحيث خطه طالع من لسانه

يقرا تماثيله ويعرف معانيه

مثل الحصان اللي يقوده عنانه

وردٌ فيحان ، يقول :

ساع البريد أتى بخط موديه

في مكتب الافراد وصّل أمانه(1)

سلم علي وقال : لك خط هاكيه

أخذه ووقع لي بلطف ورزانه

اقره وعلمني ترى الخط وش فيه

تراي جيت اليوم من أجل شانه

ومن حين جاني قلت بالله عطنيه

وقريت مضمونه بعقل وذهانه

يا مرحبا بالخط واللي كتب فيه

هذا كتاب فائحٍ زعفرانه

---

(1) مكتب الافراد : من التشكيلات المسكرية ، كان المؤلف مدير ذلك المكتب ، وفيحان أحد كتابه ٠

يا راكب اللـي تقطع البعـد تدنيه

أسرع مـن اللـي ما يـرده عنـانه

هاف جـديديطرب اللـي ركب فيـه

يشـدى غزالٍ زايـد بِجنْفَلانه[1]

قـل له : تراني دوم مـاني بناسيه

ليته معي والا عسـاني وزانـه[2]

الغالي اللي ما نبيعـه ونشريـه

ما باقرانـي ينطـلقه عن قرانـه[3]

★ ★ ★

(1) هاف : سيارة ذات حوض ، تسمى « ونيت » ومعناها « نصف » وهو قطع معروف .
(2) وزانه : بجواره .
(3) قرانه : من الاقتران .

قصيدة الشريف صادق الحسيني الى عبد الرحيم الأحمدي

وزار الشاعر الشريف صادق بن رضا الحسيني الاستاذ عبد الرحيم الأحمدي في الرياض ولما عاد الى بلاده وادي فاطمة(١) أرسل الى عبد الرحيم هذه القصيدة :

بوصيك للأحمدي يا مرسلي قُلْـه° وقُلْـه° (٢)

أهديك مني التحية بالوفا والرد باغيه°

ما احتار من له صديق لا تبلى بامر رسله°

لا زلت يا الأحمدي راع الوفا تأخذ وتعطيه°

شكواي لله من شرح وصل والقلب حله°

ماهو الامل في الصداقة والقلم تفرز معانيه°

مير العفو حسبي الله واسمحوا في الأمر كله°

فيما بعد باتحكم في اللسان واحسب قوافيه°

هذا وأنا بي ألم حسن الحشا والقلب حله°

كيف اتخارج من اللي صابني والحل نرجيه°

---

(١) مر الظهران ٠
(٢) قل له ٠

واعيني اللــي مصابه° ساهرأ الليــل كله°
أســبابها قلبي اللــي مرغماً والــود مشــتقيه°

واحترت ما بينها وقبل الامر ملموس حلّه°[1]
يصعب عليّه° حلول اللي وقع وش بصركم فيه°

النــون ســـاهر يفـكر والدمــع هــله[1]
ممــا رأى من عجائب في الرياض الله يحميــه°

يا اهــل الفكر من عرف المســألة والامر دلــه
دلوا مريضاً يعاني في الجروح وخــاف تغديه°

هــذا وانا اللي معنى خــاطري مما حصــل له
من الــذي لا تمخطر في الدرج العــين ترعيه°

ترعيــه وتنظــر جمــاله بالــورع في ظلــه°
يزهى بالاثمــار مع نحف الغصن دقــة نواميه°

كــم من مولــع معنــى يشتكي من بعــد خله°
غــير الذي له جدى بالمقــدرة وخــله يواسيه°

★ ★ ★

---

(1) هذان الشطران غير مستقيمين .

ورد عبد الرحيم الأحمدي على قصيدة صادق بالقصيدة التاليـة :

لا يا نسـيم الصبا من نجـد هبت مسـتقله°

في عـام روت مزون الوسم سيحانه° واعاليه

واضحت متون الروابي بالنوامي مستظلّه°

وزهور نبت الحيـا بالوانهـا زانت نواحيه°

يا زِين° نشر الزهر ما بـين ورديه وفلّه°

والرند والمرخ،والكادي سقى الله من يساقيه°

من قبـل جنى النحـل والنو لطّفها بظلّه°

توّج بهـا خطنا للصاحب الغالي وقـاريه°

خل زكـي النسب طيف البشاشه ما يمـله ّ

أوفى من المـزن والوافي عنـاوينه معانيه°

منصـاك في مـرّ خـلّ ما تناسى قط خـلّه°

مهما يطول المدى والغصن من أصله نواميْه°

يا عـل عهـدأ رعـانـا بالمحبـه والمجـلّه°

يبقى لنا رمز حاني يوصل الحاضر بماضيه°

رمزك فهمنـــاه يا صادق شرحت الأمــر كله°

من خاطر منشرح بالــود لا خابت مراميــه°

مــا دام طيف المــوده كلنــا في هيف ظــلـّه

الشــك عازب وحنــا صافي الاخلاص نعليه°

والقلب لا مــا عمــر بالــود ما قــوة تخلـّه°

والعين ترعى بحسن الظن من واجب تراعيه°

والعشرة اللي على وضح النقا تبعى بجلـّه°

أبعد عن الرخص ياغالي وفانا ما يجازيه

عسى جراحك بعد شم الفواغي مستجلـّة°(١)

والقلب مرتاح يرعى الود الاصلى ما يجافيه°

وان كان طاوعت لحظ العين في الخود المدلـّه°

أخشى جراحك تزيد اسبابها في عالم التيه

من وافد الشوق لا فكرت في وضـــع المولـّه°

تسري بذهني طواري تبعث الماضي وزاهيه°

من عمق جرحي لبعد الدار عن خلي وظلـّه°

مهما اعذك العيون الدمــع يفرقها سواقيه°

---

(١) الفاغية : زهر الحناء ، ومستجلة : سالمة .

وازريت يا صاح عن جمع الاحاسيس المهلّه

وارجوكم المعذرة يا عل جرحك طاب غاديه

الله لا يحـرم القلـب المعنـى لـو بطـلّه

يشرف على سدر يرعى قاصي الوادي ودانيه

* * *

قصيدة بخيت بن بتّاع البلادي

ووصلتني ذات يوم ـ في البريد ـ الأبيـات التالية من الشيخ بخيت بن بتاع البلادي :

كـل جليسهْ يعجبـهْ يـوم يلفيهْ

لكن جـا في العـلم عشرون لَيَّهْ (١)

يا مرسلي برسلك والـرد عطنيـهْ

منصاك عاتق ثم عرّجْ عَلَيَّهْ

عسى ردي الخـال تقصر لياليـه

ما هو عضيدي في العـلوم العَضَّيهْ

واللـي يهـد البيت ما ندرق فيـه

مخبـور فعـله يـوم جات القضيهْ

ما ينعـدل ثـوب على غـير راعيـه

وأهـل القدائم يحتمون السريهْ (٢)

---

(١) اظن : رسم « عشرون » من صنع الـكاتب ، والا فالبادية اليوم لا تعرب .

(٢) القدايم عندهم ما توارثوه من شيخة وغيرها ، وهو بهذا يستعيدني لتلك القدائم !

والشـيخ صقر وما قفـه ما يخليه°

وان شـاهد الخطار راع التحيّـه°

واللـي قطع يمنـاه ماني مبـاريه°

تفكروا في العـلم يا اهـل الحميّه°

هـذا كـلام اللـي ضميره يقديـه°

ما يقتـدي باهـل العـلوم الرديّه°

* * *

الرد على قصيدة بخيت

ومع أنني لا أشجع انتشار هذا النوع من الشعر بين المثقفين ، الا أنني اضطررت مجاراة للعرف أن اجيب الشيخ بخيت بأبيات من نفس المعنى وعلى نفس القافية بموجب قواعد الأدب الشعبي ، فقلت :

حـي الكلامْ وحـي بادع قوافيـهْ

وحـي البريد اللي لفـا بِـه عَليَّهْ

وأرْحِبْ رسول الربعْ والعلم عطنيهْ

مرسلك ابن بتـاع زبن الشكيهْ ؟

اللي يلوي العـلم خـابر طواريهْ

غيـاب عنـا يـوم دعـوى القضيـّهْ

واليـوم أمير وقالط الـرأي يبديـهْ

وينسى الجمـايل والحبـال الرهيـّهْ

والـرأس عـود للذنب يـدرق فيـهْ

وأهـل القدائم في بيـوت ذريّهْ(١)

(١) كـان بعض قومنا رشحوا شخصاً من ذلـك النوع لشيخة القبيلة نكاية بنا ٠

ما نتــرك الموقف ولانـــي مخليـّــه°

مـــير العكظ يا شـــيخ قطـّــع° يديـّــه°

وموقفـــك زين ووجهك أبيض و نحميه

ورأيك سديد° ولـــك سبال نقيـّه°

وابو رجـــاء ســـتين بيضـــا ننصـّيه°

ووازن وأبو صالح عقال النضيـّه°

يـــوم الخطر كنـــا هـــل الرأي نقديه°

واليـــوم كـــل الناس عنـــا غنيه°

في الشمس كـــل لـــه عيـــون تقـــد ّيه

لـــكن في الظلمـــا تضيـــع القديـّه°

★ ★ ★

المديح

ورغم أن عامة العرب تنفر من المديح والتزلف ، غير أنهم لا يبخلون به لمن يستحقه ، فنجدهم يقولون : يستأهل البيضاء غلام يحوشها(1) .

ومما اخترناه من طوال قصائد المديح هذه القصيدة للشاعر حمدان بن صالح المالكي :

يا الله يا خالق عليك اتكالنا يا منزل التورات والفرقان

نطلبك يا رحمان تنصر ملكنا قاد العرب للخير والعرفان

يا فيصل انت فخرنا واعتزازنا يوم قلت يمش الجيش يا سلطان

انت الذي ماشي بخطة نبينا قال اقضوا الحاجات بالكتمان

والى مشى جيش العرب خلف جيشنا نقمع قرون الشرك والعدوان

ما دام فيصلنا يريد نضالنا تمهلي يا دولة العصيان

نحن السعوديين نحمي ديارنا وأرض العرب لازم تعيش بأمان

ما دام فيصلنا يريد جهادنا نحمي حمى التوحيد بالنيران

---

(1) يحصل عليها بفعله .

نحن السعوديين نحمي ديننا جاك الفرج يا قدسنا يا حبيبنا

وابطالنا في هضبة الجولان ونحارب اهل الشك والعصيان

ان التضـامن يا عـرب لم شـملنا من بعـد ما ظـل العرب شـتان

نحن السعودين نحمـي عرضنـا واجـب علينـا عرضنـا ينصـان

لا والله الا يـا فلسـطين أبشـري بالنصـر والتـاييـد والعمـران

حقـك يا فلسـطين وابشـري واظـن وقت المعركـة قـد حـان

ولا بـد من يومـا نخوض المعركة ونجـدد القتـال معـا ديـان

ينسى القيـادة والتوسـع في أرضنا ويقـول ليت اللي جرا ما كان

الاستعمار يريـد احتـلالنا لـكن يا ويل الذي غلطـان

لا شـك رابـين يعـرف قتـالنـا والله ولـو زهالـك الشـيطان

لا بـد من يـوم تصفي حقوقنا وجيش العـدو يرجـع وراء الحدان

نحن معـك يا فيصـل العرب كلنـا ما يرجع الا من يكون جبـان

واذا جـاء نهـار النصر زاد ابتهاجنا ذكرى يوم العاشر من رمضان

نائف وابو متعب وتركـي رجالنـا قيدومنا فالمعركـة سلطان

صـلوا علـى طـه ختـام جوابنـا اللي سـكن في جنـة الغفـران

القـائد الله قـاد الامـة علـى الهـدى شفعينـا سـيد بني عدنان

★ ★ ★

وقال بديوي الوقداني شاعر الطائف في القـرن الثالث عشر ، من قصيدة يمدح بها الشريف الحسين بن محمـد بن عون الرفيق :

يا راكب اللـي ياخـذ الحـزم مواجْ
مـواج دوٍّ تـاهْ في الغبتـينِ

ليـا استشد الريـح ترميـهْ الأمواجْ
أمـواج بحـرٍ يضـرب الجـالتينِ

ضاري على قطـع الفيـافي وسجاجْ
سجـاج بـين الشـرق والنقرتين

محنونيٍ كالقوس منعـاج منعـاجْ[1]
مثـل الهـلال اللـي وَلَـدْ ليلتـينِ

والاّ كما سرحان مع فـج الافجاجْ
والا الغـزال اللـي رمـى رميتينِ

يجفل ليا ما شاف ظـل العصا ماجْ[2]
راعيـه ما يقـدر يمـد اليدينِ

---

(١) صائر أعوج .
(٢) علامة الحر من الركاب .

كــوره عقيلي مشترينه من الحاج[1]

والمــركــة والخــرج والغرضتين

ضرب عليــهْ ليا سجا الليل وانســاج

وزارت مراسيــل الكرى كــل عينِ

عطها مــع الريعــان والدرب مدهاجْ

والسيــــل مْرّهْ ما مضى ســـاعتينِ

وأحرم بعمرهْ واقطــع الدرب منهاجْ

منهــاج مــن يمشي عــلى الفرقــدينِ

تصبح بمكة حــزة الصبح منبــاجْ[2]

واســعَ وطف وصــل لــك ركعتــينِ

وانص الملوك اللّي لهــم نورْ وهّاجْ

نــور مــن المشرقْ الى القبلتــينِ

سلّم عليهم واخــرج الهــرجْ مخراجْ

واعرف مقــام المُلْك في الحــالتينِ

واخرج لهم خط طوي طي ديباجْ

هــديــة مــن باشـــة المحمــلينِ

---

(1) عقيلي : نسبة الى بني عقيل من قبائل نجد ، واصلهم من بني عامر .
(2) حزة : وقت ، ومنباج : لائح .

منظوم فيهـا أبيات من بحـر عجاجْ

نظم الجـواهر في سـلوك اللجـينِ

يا عـون يا سِـيدي كسيت أنت فراج

وأنا تراني عنـد سِيدي الحسينِ

حيث أن لـه عـادة ولـه جـود ثجـاج

مـن معصرات الجـد والوالديـن

يا ما عطـوا خيـل ملابيس وامراج[1]

دهـم جمـاح محجـلات اليديـنِ

وان جـا نهار فيهْ للخيلْ مسهاج

ونادَى بشـير المـوت في الجمعتينِ

ركبـو على خُمْرٍ يشـادنّ الأبراجْ

مصقـلات لبسـها كـل زيـنِ

وظلّ غبـار النقع من فوقهم تاج

وتصـادم الهنـدي وسمر الرديني

كـم جندلـوا من فارسٍ غير مزعـاج

حـامت عليـه الطـير بالخـافقينِ

---

(۱) المرج من الخيل والابل : التي لا وثر عليها فهي عرو أي عريانة

ورماحهم روس الاعــادي لها ازراج[1]
ضــد الرماح اللي لهــا زرقتينِ

يا بــن محمــد يا غِنـَى كــل محتــاج
ويا عيــد مديــونٍ تحمّل بدينــي

خَدّامكم شــفّه من المـــال ســيراج
والاّ فرنجــي لهــا جبــدتينِ[2]

حتــى يــودي ذكرهــا كــل هــراج
وأخبارها تاصل عــدن والعــديني

وأبدي لك البيضاء عدد ريح الأفواج[3]
تمشــي ركاب المــدح بينــك وبينــي

ويفرح صديقي والعــدو صاده افلاج
من غَبنها دمعــه من العــين عينــي[4]

وصلوا على من خصــه الله بمعراج
محمـــد المختـــار جـــد الحسين

---

(١) أراد « أزراق » من الزرق ، فاضطرته القافية الى تغيير الحرف .
(٢) الافرنجي : البندق ، ويقولون : صنع الفرنج أو صنع النصارى .
(٣) البيضاء : أن يقال : بيض الله وجه فلان ، وهي عاداتهم في المدح .
(٤) اي يرى عينيا .

وقالوا في الشيب

هـذه الشعرات البيضاء التي كـان أول من رآها سيدنا ابراهيم عليه السلام ففزع لمرآها فسأل ربه عنها ، فقال تعالى: انه الوقار يا ابراهيم !٠ فقال عليـه السلام : اللهـم زدني وقاراً ٠ هذه الشعرات التي أفزعت المنفلوطي حين رأى أولاها فسمّاها رسول الموت أو نذيره ، والتي قالت العرب من أقدم العصور فيها ما قالت ، والتي نحتال نحن اليوم عليها لنحيلها سوداء رجاء نسيان ما تنذر به ، ما تاثيرها على عـامة الشعب نساء ورجالا ، وماذا يقولون اذا رأوها ؟٠

النساء هن النساء في الحاضرة والبادية يعشقن الشـباب ويكدر نفوسهن منظر الربان يعلون القمم الشـم ، وقد قال شاعرنا قديماً(١) :

اذا شاب رأس المـرء أو قـل ماله

فليس لـه في ودّهـن نصيـب

وهذا الشاعر قد تنبّه أن هناك شيئاً قـد يجعـل المرأة تغضي ولو على مضض عن تلك الظاهرة الغير مرغوبة ، ذلك الشيء هو المال ، وذلك في عهـود كانت تكاليف الحيـاة أقل وأيسر ، فما كانت المـرأة آنذاك تتطلع الى هـذا الركام من

(١) الربان أو الرباب : المزن الثقال الذي ينخفض على قمم الجبال ، وقد ترى القمم أعلى منه ٠

الأثاث الذي يحول الغرف الى مستودعات ، ولم تحلم بأحدث الطرازات من السيارات وأجهزة التلفزة وغيرها ، أما اليوم فقد رأينا من لا يسألن في البداية الا كم مرتبه ؟ وما هي ثروته وكم عدد عماراته ؟!

ولكن مالنا نبتعد عن موضوعنا ؟ وهو ذكر الشيب في الأدب الشعبي .

جاء رجل الى امرأة يخطبها ، فقالت : (ويش أبي بك شايب ؟!) .

فقال لها :

الشيب ما هو عيب يا غذ الأنهاد(١)
كم شايبٍ يفرى دم الجوف فريا
وكم شايبٍ يلعب بمذلوق الأولاد(٢)
لا قرت الوزنه وحارن الأريا

وقال آخر لأخرى :

حنا اذا شبنا غدينا عوارف   وأخذنا من طيباتكن غزال
وأنتن لياشبتن غديتن سوارف   ولافا لكن للطيبين بفال

ولكره الرجال للشيب التمسوا له الأسباب والمسببات ، فقالوا :

---

(١) غذ الانهاد : غض النهدين .
(٢) يلعب :يغلب ، المذلوق : الجميل ،ممشوق القوام .

شـيب الـرأس مـن كثـر الهمـوم
وشـيب العارضين مـن الحَليله°

وقد تقدم معنا قول منيرة الروقية لزوجها : العودلا منه بلغ سن ستين ·

وحتى يخففوا من ثقل هـذا الزائر الكريم ، قالـوا : ما يعقلها الا شايب !·

وقالوا عن المرأة في الكهولة والشيخوخة : أم أربعين مال وبنـين ·

وأم ستين كحيح و ونين(١) ·

وتحدثت امرأة من سليم فقالت لرفيقة لها :

نشأت يتيمـة سمراء فقيـرة ، فتجاهلني شبان سليم ولم يخطبني أحد منهم ، وجاءني عود فخطبني فقبلته ، وأول سنة بولد ، وثاني سنة بولد ، وثالث سنة بولد !

فقالت محدثتها : أجل عودك عود ؟!·

قالت : إي والله إيهْ !

ومن أمثالهم : الشيب ولا العيب ·

ورغم هذا لم تطب نفوس الرجال بالشيب ، وهذا شيخ حضر قوماً يصبون القهوة ، فصب لـه المقهوي وقال : خـذ يا عَوْد ! ثم صب الفنجان الثاني وقال : خذ يا عود ! فشرب العود الفنجان وأعاده للصباب وهو يقول : تمام ·

---

(١) أنين ·

تمـــام حتى ما تقولـــون يا عَوْدْ

أنا عن الفنجـــال هـــذا قنوعـــي

وكان يتردد علي شيخ لطيف المعشر آنس بـــه ويأنس بـــي ، وزارني مرة فوضعت وراء ظهـــره مسنداً ، فقـــال : خله عندك · أي خـــذه لك · فقلت : لا ، أنت شايب ولازم تتكيء ! فصار يخفف زيارته لي بعدها ثم صار يغب ويربع ثم انقطع !

وقالوا في المرغوب الممتنع ، والمتيسر المكروه :

اللـــي يَبـــيْنا َعيَّت النفس تبغاهْ

واللـــي نبي عيّا البخت لا يجي بهْ(١)

ويقولون : أنادي علياء ، وتجاوبني عُليّه ·

* * *

---

(١) انظر حاشية ص ١٢٧ .

القِصّة

القصّة الشعبية تصل الينا عن طريق الرواية الشفهية ، في ألفاظ تتلقفها الأسماع وتختزنها الذواكر ، ولصعوبة حفظ المنثور – بعكس الشعر – فان القصة في مسيرتها منذ أن تخلق الى أن تصلنا تتعرض للمـد والجزر ، والاضافة والحذف ، حسب قوة ذاكرة كـل راوٍ وافكاره ومعتقداته ، خـاصة ان بعض هذه الحكايات تعود أعمارها الى عهد الرسالة وعهد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكنتيجة للتقلبات السياسية فقد مر الحجاز بأطوار أثرت في أدبه ، فتجد قصصاً شيعية ، وأخرى نبتعد عن روايتها ، لعلها من آثار القرامطة أو بثها أناس رقيقو الايمان اباحيون .

وليست القصة في الأدب الشعبي مقصودة لذاتها ، وليست دائماً من الواقع ، ولكن غالبا لها أهداف تربوية أو فكاهية أو غير ذلك .

فتجد فيها : القصص الديني ، والتربوي ، وقصص الجن والسـعالي ، وقسـماً كـبيراً للاطفـال ، وكثيراً ما يدخـلون النسائيات في قصصهم كالزواج مثـلا ، ووراء كل هذا لهـم هدف أسمى وهو تهذيب الأخلاق وحث الشباب على الشجاعة والأمانة والتمسك بعـرى الدين الحنيف ، وبـر الوالدين ،

والاحسان الى عبـاد الله ، وحسن الـجوار ، والتعاون ، الى ما هنالك من أعمال البر ووجوه الخير،وبهذا تهذب مجتمعهم في جهله ، فحنا الابن على أبيه وتعاونوا على أمور حياتهم القاسية، ووجد الجار ملجأ الى من يجاوره هارباً من دمٍ أو ملحى بالفقر، ووجد النساء دائماً من يحميهن ويذود عنهن،فجاءت مجتمعاتنا الشعبية مثال النخوة والشجاعة وقلاعاً من قلاع الايمان بالله ، وجمعيات تعاونية ناجحة قبـل أن يصلنا نظام التعاونيات ، وعموماً ان القصص الشعبي أو الحكايات الشعبية بما فيها من أساطير كانت مدارس عـامة تخرج أجيـالا نافعة . ولمـا أن مجال هذا الكتاب مجال دراسة لا استقصاء نصوص فقد نعرض لنماذج قليلة من هذا القصص ، ولكن سنحاول ايراد أكثرها شيوعاً وتردداً :

* * *

لا تعمق الحفرة تقع فيها !

قالوا : كان بين رجلين خصومة شديدة ومشاحنات ، فأراد أحدهما أن يتخلص من الآخر ، وكان هذا الآخر متعوداً على طريق يسلكه كل ليلة ، فقام خصمه فحفر حفرة في طريقه ، وأخذ يعمقها رجاء أن لا يخرج اذا وقع فيها ، وفي المساء جاء ذلك الرجل المغدور به في طريقه ، فوجد قوماً يصلون فصلى معهم ، واذا بينهم خصومة فأصلح بينهم ثم سار في طريقه ، غير أن خصمه عندما عرف أن وقته المعتاد قد مضى ذهب ليرى ما حل به ، وعندما وصل الحفرة لم يسمع أحداً ، فتهايق عله يسمع أو يرى فزلّت قدمه فوقع في الحفرة التي حفرها ! وعندما جاء خصمه فاذا هو يسمع الأنين مما نبهه الى الحفرة ٠

فصار من أمثالهم : يا حافر حفرة السوء لا تعمقها تقع فيها ٠

* * *

ومن قصصهم الطريفة

كان لرجل ابن وابنة يرعيان غنماً له ، وبعد مضي زمن لاحظ الأب علائم الشحوب على ابنته ، فسألها فلم تشك له من شيء ، غير أن حالها أخذ يسوء فأصبحت هزيلة نحيلة ، فكرر الأب سؤال ابنته بدون طائل ، فقرر أن يتابع الأمر بنفسه ، فصار يتعقبهما في الفلاة ، فاذا بأخيها يضع حدجة على رأسها ويأمرها أن تسير ثم يسدد بندقيته الى تلك الحدجة فيصيبها من على رأس أخته ، فهي في خوف دائم وهم مكبوت من أن تصيبها تلك الطلقة فتقتلها،وتجدر الاشارة هنا إلى ان بنات البادية خاصة لا يخبرن‌عما يضر بأخوانهن مهما بلغت التضحية ولدينا قصص لبعضهن عرضن انفسهن للقتل أو الضرب المبرح مقابل التستر على اخوانهن وما يفعلون !

واللطيف أو المفجع في هذا الصدد أن شاباً من الحي سمع بهذه القصة وكيف صار ذلك الشاب « صالح » على ألسنة الشباب فتيان وعذارى يمدحونه ويثنون على مهارته في الرماية ، فقال ذلك الشاب : والله انني أستطيع ذلك ، فوضع حدجة على رأس أخته سلمى وأمرها بالمسير ، فسدد الى الحدجة فأخطأها وأصاب رأس سلمى فقتلها ! وفي ذلك يقول :

يا ليتنــي صالح ولد عــم بغدادْ

ما كان يا ســلمى جمرتي فؤادي

لا واهنيك

كانت فتاة من الروقة جهات الدفينة يخطبها الكثيرون،وهي ترفض كل من تقدم لخطبتها ، ولسان حالها يقول :

اللي يبينــا عيت النفس تبغــاه

واللي نبي عيا البخت لا يَجِي به(١)

وكان في الحي رجل طال أمده لم يتزوج ، وأخيراً وقــع اختياره على امــرأة مستورة الحــال دون المطلوب ، غــير أن « العازة لزازة » كما يقولون في أمثالهم ·

وقابلت تلك الفتاة ذلك الـرجـل فقالت له : (أبك أنت وش تبي بهذي الدلفة تزوجها ؟) فقال (تسترني وتشب لي ناري ، والزينات مثلك ما يأخذني) ! فقالت :

لا واهَـنِيـّكْ من ادنَـى الـزادْ تستأدمْ

َنفْسـَكْ تطِيعـَكْ وما تاكل تهنـَّى بِـهْ

---

(١) شعر نورة الهوشان الرشيدية ·

ونفسي تزَعْنَفْ ما غير تدوّر العادمْ(1)
واللي يبــي قوسها كاثرةٍ انشــابهْ(2)

هقوتي اني أنصا المويه أجيب لي خادمْ(3)
يوطــر النفس يا دبهـــا بمشــعابهْ(4)

* * *

(١) تزعنف : تعفف ، والعادم : المعدوم الذي لايوجد ٠
(٢) قوسها : قسرها ٠
(٣) هقوتي : ظني ، والمويه : مركز امارة قومها ٠
(٤) يوطر النفس : يجبرها ٠

يا حلو الصنكر !

ومن قصصهم الطريفة ، هذه الطرفة :

قالوا : تقابل شابان من حرب ــ قبل هذا الوقت طبعاً ــ فقال الأول للآخر :

يا خوي ! يا حلو الصنكر[1] حلواهْ !

فقال الآخر : أنت ذقته° ؟

فقال : لا ! مير ذاقه° ولد عمٍ لي عام الأول !

وكان قوم يفقدون كل ليلة من غنمهم شاة ، وبحثوا فوجدوا آثار أقدام شخص تأتي منجهة معينة ، وفي مساء الليلة التالية كمن أحدهم على الطريق وتدثر بدثار أسود وأخذ يثغي ! وكأنه عنز ناشبة في شجرة ! بينما كمن الآخرون قريباً منه حتى اذا وصل السارق إلى العنز يحيطوا به ويقبضوا عليه ، غير أن السارق وقف بعيداً يرقب تلك العنز ويسمع ثغاءها ، ثم قال : لو كنت عنزاً أكلك الذئب ! فابتعد ولم يقرب الفخ ! .

وهناك الكثير من الطرائف رويته في كتاب « طرائف وأمثال شعبية » فتحاشيت التكرار هنا ٠

---

(١) السكر ٠

من قصص الوصايا

العرب من قديم الزمن من عاداتهم وصيـة الأب للابن لعدم تجربة الابن بقدر تجارب الأب وحصيلة كفاحه في الحياة، وعرب اليوم يكثرون من ذكر وصية الأب فتسمعهم يقولون : واحد وصى ولده ، فقال ··· أو هذي وصية الشايب ، ولا شك أن تنفيذ الوصية وعدمـه يتوقف على بـر الابن بالأب ، ومدى ثقته في علمه ، والكثيرون اليوم يصفون آباءهم بالجهل وسقم العقلية ·

ووصية الأب قد تكون شعراً يحفظه الابناء أو نثراً بليغاً أو مسجوعاً ، كل ذلك ليمكن حفظ تلك الوصية ، وقد رويت في كتاب « طرائف وامثال شعبية » شيئاً من هذا النوع · ومن الشعر المؤثر في الوصايا في عهدنـا الحاضر تلك القصيـدة للشريف بركات التي يقول لابنه فيها :

واحفظ دبشك اللي عن الناس يغنيك

واللـي ليـا بان الخلل فيـك يرفاك°

واحـذر تـرى مكـه ولاهـا بناخيك

لو تطلبه عشرة ملاليم مـا اعطاك°

* * *

وصية أب

قالوا : كان رجل غني لم يعقب الا ولداً واحداً ، فحضرته الوفاة فاستدعى ابنه فقال له : وصيتي لك ، الّا تجلس الا على حرير ، ولا تأكل الا بالعسل ، وابنِ لك في كل بلد قصر . وتوفي الوالد ، وأخذ الابن يبني القصور ويتفنن في أنواع الحرير فراشاً ولحافا ، وفي أنواع العسل طعاما ، ولكن ما لبث أن أضاع كل ماله ثم أخذ يستدين من الناس ، ثم ان الناس قبضوا عنه لما رأوا سوء حاله ، ولما وصل الى حالة سيئة جداً تذكر رجلا كان يزور أباه في حياته وهو له صديق ، فشخص اليه وقص عليه قصته وشكا اليه الفاقة ، فرحب به الرجل وقال له : غداً سنزور رجلا من أصدقاء والدك ثم ننظر في أمرك ، وفي الصباح أوعز الرجل الى زوجته أن تزودهم بقربة ماء وقليل من الحشف(١) ثم سارا على أقدامهما والرجل يقول لضيفه : ان المكان قريب ، واستمر سيرهما حتى غابت الشمس ، فقال الشيخ : يظهر يا بني أننا ضللنا الطريق فلنجلس ونقضي ليلتنا هنا ، غير أنك متعود على النوم على الحرير وأكل العسل ، وليس لدينا غير هذه البطحاء وهذا الحشف ! فلما أكل ذلك الشاب الحشف قال : انه ألذ من العسل ! ذلك لما انتابه من الجوع ، ثم شرب من القربة فتمدّد على الرمل فصاح : يا لله ! انه كالحرير ! وفي الصباح عادا ثم

---

(١) الحشف : البلح ييبس قبل استوائه ، وهو اردء انواع الطعام .

مد الشيخ ابن صديقه بشيء من المال وقال له : ليست وصية أبيك لك كما فسرتها أنت ، ولكنه يقول لك : لا تنام حتى تتعب في طلب ما يصلح أمرك فعندئذ تجد أي فراش مهما خشن كأنه الحرير ، ولا تأكل طعامك حتى تجوع ، فان أي طعام بعد الجوع ألذ من العسل ، واجعل لك صديقاً في كل بلد تصل اليه ، فهو قد ينفعك عند الضيق ! وليس القصر هو المراد بالوصية ٠

* * *

من قصص الحب العذري

مأساة الدجيماء

لا زال هذا الشعب الذي عرف كثيِّر عزة وجميل بثينة وقيس لبنى يكرر تلك المشاهد والأدوار ، غير أن الاسلام هذب من أخلاق المتأخرين أكثر وتكثفت الغيرة لديهم حتى أصبح مجرد ذكر الحب يكاد يكون عاراً على ذاكره ، وتحاشوا ذكر اسم المحبوبة لئلا يخلقوا لها احراجاً ولوماً ممن لا تنبع قلوبهم بمثل قلبها وقلب حبيبها ، ومن هنا ظهرت الرمزية لديهم فصاروا يكنون أو يورّون تلميحاً وتلويحا يعرف المقصود ويعمى عنه الرقيب الحسود ! غير أن هذا كله لا يمنع — أحياناً — من نفد صبره ونضب معين تفكيره من أن يجهر بما يجد ولو في ذلك هلاكه ، وقد تقدم معنا في باب الغزل قصة ذينك العاشقين اللذين أبيح صبرهما بتفرق حبيبهما ، وتلك الفتاة التي أرسلت لصاحبها تخبره بخلاف ما أخبره به أهلها

ولكن مأساة الدُجَيماء تختلف — كل الاختلاف — عن أولئك .

هو دخيل الله ولقبه الدُجَيْماء من قبيلة الثعالية من الروقة سكان حول المحاني ، عشق سُمَيِّحة العطاوية ، وبنات ذوي عطية فيهنّ من الجمال ما يخلب الألباب ويسفه الحليم

ويجهل العاقل ، وجرت من الدجيماء محاولات للـزواج من سميحة ، ولكن عادة عرب الجزيرة ألا يزوجوا المرأة ممن أحبها أو أحبته ! ذلك في نظرهم عيب واهانة للأهل . ومر ذات يوم فرآها على الماء ، فسقط مغشياً عليه وهو يقول :

على الحفائر جـدّدوا لي جـدائرْ
والحـول دائـر(١) حطـوا البيرميرادْ

وابنـوا عليّـهْ رونشٍ فيـه فَيَّهْ
وخـذوا شويه(٢) واجلسوا فيـه يالاد

والقبر لـي حطوه(٣) بيعـان ومدود(٤)
وابنوه في صير الحبَيِّب الى قـاد(٥)

ثم لفظ أنفاسه قتيل حب شريف لم تدنسه المادةالرخيصة .

وصار حديث العشاق ومضرب الأمثال ، وفي ذلك يقول أحدهم :

الهـوى قـد ذبـح له شمري   والدجيما على موتـه شهود(٦)

---

(١) العام القادم .
(٢) شوية : كساعة .
(٣) اجعلوه .
(٤) أبواع وزيادة .
(٥) في رجاء الحبيبة اذا صدرت عن الماء .
(٦) ولا زال احفاد الدجيماء موجودين ، يعرفون بالدجمان .

وقد تبدأ العشق المرأة

وبنات الجزيرة العربية كن الى عهد قريب يخترن الرجل لأفعاله لا لجماله أو ماله ، من ذلك ما روي أن شيخاً من شيوخ قبيلة الأحامدة من حرب كان مسافراً في طلب عـاني لقومه ، ومعه صبي له « خادم » فمرا على بنات بعد العصر يرعين ابلا لهن ، وكانا قد عطشا فاستسقياهُن ، وكان الشيخ دميماً بينما كان صبيه على وفرة من الجمال، فقامت احدى البنات ـ وكانت بنت شيخ الحي فناولت البدرة(١) الصبي فشرب من فمها ثم ناولها عمه (مخدومه) فاذا البنت تعترض يده وتأخذ البدرة وهي تقول : لن تشرب من فمها ! ولكن صف حفونك ! فصف الشيخ يديه فصبت له فشرب ثم تنحى جانباً وأخـذ يخطط بعصاه في الرمل بينما ظل الصبي ينعـم بالأحاديث الحـلوة والضحكات البريئة ، وهنا أغار قوم عـلى الابل فاستاقوها ، فأخذت البنات ينخَيْنَ ذلك الفتى لانقـاذ ابلهن من الغزاة ، ولكنه بدل الكر فر الى الجهة المعاكسة ، هنا قام الشيخ والتقط سلاحه وكر عـلى القوم وهو يعتزي عند كل طلقـة فيقول : خذها وأنا الأحمدي • واضطر القوم الى التخلي عن الابـل فردها الى راعياتها ، فتقدمت منه بنت الشيخ تدعوه لضيافة أبيها ، وكان هذا هو مقصد الطرقي المسافر في البراري عند اقتراب سواد الليل •

---

(١) قربة صغيرة يحملها الراعي •

وفي بيت أبيها وبعد أن اجتمع الحي للسلام على الضيف وأخذ العلوم كعادتهم خاصة بعد أن علموا من بقية الرعاة أن الابل تعرضت للغزو والأخذ لولا هذا الشيخ الدميم ! هنا تقدمت الفتاة من أبيها طالبة منه أن تصب هي القهوة ! ورغم أن هذا مخالف للأعراف خاصة عند قبيلة حرب أكثر قبائل الحجاز محافظة، الا انها بنت شيخ القبيلة، وبنت شيخ القبيلة لها ما ليس لغيرها من لداتها وأترابها ، فالجميع ينظرون اليها نظرة اعجاب وتقدير ، وكثيراً ما تجعل بنات الشيوخ هذا حافزاً لهن على التخلق بأخلاق عالية لعلمهن أنهن لسن كغيرهن من بنات القبيلة ، وأن شرف الشيخ يختلف عن شرف الرأعي والسوقي ! فوافق الأب أن تصب ابنته القهوة للضيف خاصة انه البطل الذي أنقذ القود[1] ! ومدت الفتاة أول فنجان للضيف وهي تقول :

يا مزِرقْ الدخانْ يا معلّق الكأسْ [2]
يا معتزي بالعزوة الأحمديّهْ

جاك الهوى مني عشاقهْ من الراسْ
ان كان ما تبخل بروحك عليّهْ[3]

(١) جمع قوداء :الناقة الطويلة ذات الرقبة الشرفاء ، وهم يطلقونه على الابل عامة .

(٢) الكأس : معيار كان يكال به البارود لبنادق أم فتيل .

(٣) أي اعطاك الله الحب لأفعالك .

وأخذ الشيخ الفنجان من بين البنان وهو يقول :

مالي هوى يابو خُدَيْدٍ كما الماسْ
مالي هوى لو سمتْ روحكْ عَلَيَّه !

روحك على راحهْ وروحي على يأسْ
طلاب لزمــهْ للســبال النقيَّهْ

★ ★ ★

حكايات للاطفـال

والأدب الشعبي في كل فنونه يجعل للطفل نصيباً يتدرج مع نموه وتفكيره على قدر مستوى أولئك الرجال ، ومنه الجاد والهـازل ، ومنـه الاسطورة ، ومنه الماجن أيضاً ، وكأنهـم لا يريدون رجل المستقبل يخرج الى دنياه فيفاجأ بما لم يسمع به ، وهم – على سذاجتهم – يجتمعون في هذا الطريق بكبار علماء النفس ٠

هذلول وذهلول

ومن حكاياتهم : ان هذلولا وذهلولا كانا أخوين ، فبغى ذهلول عـلى هذلول فقتله ، فلجأ أبنـاء هذلول الى الانسان لينقذهم من عمهم الذي يتعقبهم بالقتـل ! فألجأهم الانسان وفسح لهم في العيش معه ، فهم هؤلاء الكلاب التي ترافقنا !

وبقي أبناء ذهلول مشردين جياعاً فصاروا يغيرون عـلى مال الانسان ليأكلوا بالقـوة أو السرقة ، فهـم الذئاب التي نحترس على مواشينا منها، وكاعتراف بالجميل فان بني هذلول نصبوا أنفسهم لحراسة مواشي الانسان وأمواله من بني عمهم بني ذهلول ! فاذا جاع الذئب عوى ، وهو في عوائه يقول : الصلح يا ذوي هذلول ! ٠ – ويمدون كلمة هذلول حتى كأنها عـواء – ٠

فيرد عليه الكلب نابحاً ، وهو يقول : ما بعد هذلول صلح، ما بعد هذلول صلح ! فيجعلون كلمة « صلح » وكأنها نباح !

بنو قطفه

ويقولون للأطفال : ان الناس تصغر أجسامهم وتتضاءل أحجامهم بمرور الزمن ، وان الذين قبلنا كانوا من الضخامة حتى أن قبر أحدهم يبلغ عشرين ذراعاً طولا ، وانه سيأتي اليوم الذي يصغر فيه هؤلاء الناس حتى يتظلل كل عشرة منهم في ظل قطفة(١) ! فهم بنو قطفة ! حتى أن أحدهم قد يسر وينادي اخوانه اذا وجد قطفة ذات ساق ليتفيؤا تحتها ! ٠

قصص الجن وحكاياتهم

ما كنت أتعرض لهذا النوع لولا اني رأيت أناساً من المشككين الذين لم يعطوا حظاً من المعرفة والايمان بالتنزيل يجحدون وجود الجن على هيئة مرئية ، وكذلك يجحدون الرؤيا الصالحة ، فيقولون لك : ان الأحلام هي نتيجة ما يفكر به الانسان في اليقظة ٠ والجن أمة مخلوقة مكلفة آمن بعضهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكفر بعضهم بها « قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرءاناً عجبا »(٢) ٠

وعشرات الآيات ذكرت الجن ، ليس هنا مجال لايرادها

---

(١) شجيرة صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها أكثر من ٤٠ سم عادة ٠

(٢) الآية الأولى من سورة الجن ٠

وجاء في بعض الروايات أن الجن اختصموا عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأسكن المؤمنين الجلس ، وأسكن الكافرين الغور ٠

وهم في عرفنا أنواع : فنوع يسمى « الهَولْ » ، وهو كثير الخروج الى الناس ولكنه لا يؤذي ، وتجده أبدأ هازلا ساخراً ٠ ونوع يسمى « الدجيرة » تظهر على شكل أنثى لابسة لباس بيئتها ، وقد تغري بعض بني الانسان بالزواج منها والانجاب ، ويقال : انه يحصل على ثروات طائلة ، أي من يتزوجها !

ونوع وهو الخافي ، وهذا يظهر في مناسبات كما سنقصه ، وهو أكثر جدية مما تقدم ٠

الهول : قصصه كثيرة ، ومشاهدوه كثيرون ، وأنا أحدهم ، فبينما كنت أسير بين قريتي الخوار وخليص – من أمج – وكنت طفلا في العاشرة جن علي الليل وأنا في منتصف الطريق ، فاذا بجمل أمعط[1] لا بالسمين ولا بالهزيل يسير أمامي على الدرب ، فأدركتني شقوة الأطفال ، فقلت : أنيخ هذا البعير وأركبه الى حيث أشاء ، ورغم أن أهل الديار ماهرون في اقتفاء الأثر ورغم صرامة والدي – يرحمه الله – في ردعي عن التعرض لمال الناس قررت أن أركب هذا الجمل وليكن ما يكون ٠

واقتربت منه أحث الخطو غير أنه كان يزيد في خطوه ، فعدوت فعدا أمامي ، ثم اختفى فجأة ، فاذا بي أسمع طربقة[2]،

---

(١) لاوبر عليه ٠
(٢) ضرب الجمل بيديه ورجليه على الارض من شدة العدو ٠

جمل ناحية عن الطريق ، واذا بقهقهة انسان في السماء الى الخلف مني ! • فنظرت ، فاذا قوس يشبه قوس قزح غير أنـه بلون واحد ، فاذا هو يمتد حتى صار له رأس في الأرض على شكل نصف دائرة (قوس) وكنت أنا في مركز الدائرة ! ولم أجد ــطبعاًــ ما أفعله فأخذت أكرر «بسم الله الرحمن الرحيم» فاختفى ، ولما قصصت هذه الحادثة على والدي لم يكترث ولم يدهش أو يظهر الانزعاج كما يفعل بعض الآباء اليوم الذي يثغي بمجرد أن يقع ولده على الأرض وهو واقف ، بل ضحك ــ رحمه الله ــ وقال : هذا الهول يضحك على الناس ، ولا يضر أحـــــداً •

ومــرة أخــرى

ومرة أخرى سنة ١٣٦٩ هـ ذهبت الى بلادنا أثناء العطلة الصيفية ، وفي العودة مررت ببعض الأقــارب بمر الظهران ، فاتفقنا أنا وقريب لي في مثل سني ان نذهب الى مكة سيراً على الأقدام ، فالسيارات تكاد تكون معدومة وان وجدت فالريال له وزن في جيب طالب يتيم مثلي ، وهــكذا صــار ، خرجنا من الجموم قبيل غروب الشمس تحاشيا لحر الشمس في هذا الفصل القائظ ، وقرب العشاء كنا قد توسطنا اللحيانية ، فأدركنا العطش ، فاذا أصوات أناس وشاء في ثغاء ولعاء وضوضاء رعاء غير بعيد من الطريق، فعدلنا اليهم لنستسقيهم، وسرنا وسرنا، لم تختف تلك الأصوات ولم نصل اليها، وفجأة اختفت،وأسقط في أيدينا ! أين ذهب هؤلاء الناس ؟! كيف اختفوا وهم منا أقرب من حذفة عصا ؟ هل ابتلعتهم الأرض ؟ أم هــل خافوا

من صبيين أعزلين في صحراء؟ فقالوا لأمهم: أسكتي الأصوات! ·
في بادىء الأمر خيل الينا أنهم أنهوا أعمالهم فهجد صوتهم ، ولكنه غير معقول بهذه السرعة · فأخذنا نستنبح الكلاب بل ونتادي الرجال بصوت شاهر ، وفجأة فاذا الأصوات بنفس الصورة والقرب تظهر ، ولكنها في هذه المرة بيننا وبين الطريق التي جئنا منها ! حرنا في أمرنا ، كيف تجاوزنا هؤلاء الناس ؟ لا شك أننا قد انغمسنا في الهذر حتى تجاوزناهم دون أن نشعر بذلك · وعدنا تجاههم ، وفجأة خبت تلك الأصوات وانقطع الحس ، فتوقفنا نقلب الأمر ، فاذا بقهقهة في جبل غير بعيد عنا ولكنه في جهة معاكسة ، عندها قلت لصاحبي : انه الهول وقد أضاع علينا وقتا ثميناً ! فهو يخرج على كل صورة يعرفها الانسان أو لا يعرفها ·

الدُّجَيْرَةُ : ويقول البعض : الدنجيرة ، لم أرها ولكن الثقات رأوها ، فقالوا : تظهر على شكل امرأة تلبس لباس البيئة التي تعيش فيها ، فاذا عقبتها لا تجد لها أثراً وكل الجن كذلك ، وقد تتعرض لمن تعجب به فتطلب منه الزواج ، الا أن هذا نادر والناس بطبعهم يجفلون من الجن مسلمها وكافرها ، ويقولون : اذا أردت ألا تختفي من أمامك كما ظهرت فخذ سكيناً واغرسها في الأرض ، عندئذ لا تستطيع الحراك فتأخذ منها عهداً بعدم التعرض لك مرة ثانية ! ومن الغريب انه بالتجربة أن هذه الأرواح لا تخون العهد في حين أن بني آدم لا يأبه الكثيرون منهم بالعهود · وعرفت رجلا في ناحيتنا قيل انه متزوج دجيرة ، وقد حصل منها على أموال كثيرة · والله أعلم

الجن الخافي: يطلقون عليه الخافي لعدم ظهوره، ويسمونهم أهل الأرض أي الذين تحت الأرض وهؤلاء أكثر جدية وأذية ممن تقدم ، وقد يلبسون الانسان فيصير مجنوناً وهؤلاء اذا ظهروا يفتك الذئب بهم فتكاً، واذا رأوه لايستطيعون الاختفاء! حكى رجل اسمه عُقَيّل كان نجابا بين أمير العلا والمدينة ، فقال : أرسلني أمير العلا بكتاب الى أمير المدينة ، فبينما أنا أحث مطيتي في منتصف الطريق وأنا عجل فاذا شخص يظهر لي وينادبني باسمي ويطلب أن أردفه على ذلولي ، قال : فتوقفت فجمح الى ردوف المطية فسرت في طريقي مسرعاً وأخذت « أهيجن» فاذا بالذي ورائي يقول كلما أكملت جملة : هـء هِـهْ ، الله الله ! في استهزاء وسخرية ، فنظرت اليه فاذا هو خلق شنيع يقشعر منه بدن الانسان، فتجاهلت ذلك واستمريت أحث المطية وأهيجن ، فأخذ يضرط بفمه تمادياً في السخرية بي ! وقال بلهجته « فوقعت في بلشة ووصل بي الغضب مالم يصل بي من قبل فمددت يدي ورائي فقبضت على شوشته(١) وبسرعة قذفت به الى الأرض ! ولم يصل الأرض الا والذئب كأنه السهم مغير اليه فأخذ هذا يستنجد بي فوقفت حتى رأيت الذئب يلتهمه ، وأنا انظر اليه شامتاً متشفيا ! .

وحكى مولد اسمه جداوي ، قال

كان بي مسّ من جنون ، وكان من معي يأخذني أجوب في البراري حتى اذا تعبت نمت ، فخرج الجني يتنزه قريباً مني ، فاذا صحوت لا أجد في عقلي خللا ، ولكن ذلك الجني لا يلبث

(١) شعر رأسه .

أن يسرع الي فيلبسني ! فآويت ذات مرة الى قيف فنمت فيه ، فخرج الجني كعادته ، ولم يوقظني الا صريخه وهو يقول : تكفي يا جداوي تكفي يا جداوي ، الذئب سيأكلني ! فنظرت فاذا بالذئب ينقض عليه كالسهم فيأكله ، فقمت وليس بي شيء فعدت الى أهلي[1] ·

وسمي ذلك القيف قيف جداوي الى اليوم ، وقد رأيت أنا ذلك الرجل والقيف ، ولكنني لم أسمع الرواية منه شخصياً غير انها متواترة مسلم بها ·

العفاريت

ومن الجن الخافي نوع يسمى العفاريت، وهو أخبث أنواع الجن وأقواها ، وترد اشارة الى ذلك في القرآن الكريم « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين » ٣٨ سورة النمل · واذا رأى اليوم الناس انساناً متمرداً لا يستطاع التحكم فيه قالوا : انه عفريت ·

استخدام الجن

وهناك فئة كانت علومها قليلة ، ومع هذا يتركون التفقه في أمور دينهم ويتعلمون علوما بها يستطيعون استخدام الجن لأغراضهم ، سألت هؤلاء ومن ضمنهم كان خال لي – يرحمه الله – فقالوا: انهم لايستخدمون غير القرآن ، وهم يستخدمونه

(١) تكفي : ندب واستغاثة ·

استخداماً استنتاجيا كقولهم على من تعسرت عليها الولادة « ان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً» ويقرؤون أول السورة ·
أو كفعله صلى الله عليه وسلم ، ليلة مسراه من مكة حين قرأ على المشركين « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ثم حثا التراب على رؤوسهم فلم يشعروا بخروجه ·

الخَوِيُّ والخَوِيَّةُ

وفي بادية الطائف ونجد قد ترى الشخص ــ امرأة أو رجلا ــ يصاب بصرع مفاجيء ، فيظل ممدداً على الأرض فيسرعون اليه بالأطياب يرشونها عليه ثم يغشونه لحافاً ، وهم يقولون لك : جاءته خويته أو جاءها خويها !· فمن هذا الخوي أو الخوية[1] ؟

هو في اعتقادهم جني من جنس مضاد للجنس الذي يلتبسه، أي أن رفيق الرجل امراة ، ورفيق المرأة رجل · ولكن هذا لا يؤدي الى الجنون ، فما يلبث ذلك المغطى المطيب أن يفيق وهو يقول : لا اله الا الله · وقد يلتمسون له من يقرأ عليه رغبة في أن يفارقه هذا الجني ومن غريب ما شاهدت أنا وما أكثر ما شاهدت من هذه الغرائب ــ ان رجلا وقع قريباً منا ونحن في سمرة عند أناس من سُبَيْع بالطائف فطلب مني أن أقرأ عليه ! فاعتذرت انني لا أعلم ما يقرأ في هذا المقام ! فنودي على شخص قد آوى الى فراشه مع أهله فجاء وبدأ يقرأ ،

(١) كلمة خوي تعني : رفيق أو صاحب ·

فاذا بالجنية تقول له بلسان المصروع : « رح أول غَسِّل عن جنابتك ثم تعال اقرأ ! » فخجل الرجل خجلا اسود له وجهه ، وسألت عن ذلك فقالوا : ان هؤلاء يعرفون ما يعمل الناس ! ·

كيف يخرجون الجن ؟

ووقعت امرأة مرة وكان عند القوم ضيف من السراة، فأخذوا يلتمسون لها الطبيب ويسألوننا ان كنا نقرأ ؟ فاذا بالضيف يهب من مكانه وهو يقول بلهجته « وين هِيْ وَيْنْ هِيْ !؟ » فدلوه عليها، فاذا هو يمسك بعصا وينقض على المرأة ضرباً مبرحا ، فحاول الناس ثنيه ، فاذا هو ينظر اليهم بعينين يتطاير الشرر منهما وهو يقول : دعوها فوالله لا عاد لها أبداً ! · وهنا صرخ الجني على لسان المرأة يقول : « والله أخرج والله أخرج ! » فقال الرجل : من أين تخرج ؟ قال : من عينها ! · قال تخسأ · فزاد في الضرب · فصاح الجني بصوت المرأة «والله أخرج والله أخرج» فقال الرجل: من أين تخرج؟ قال من أذنها · قال الرجل : تخسأ · قال من ثديها ، وأخذ يعدد أماكن كلها يرفضها الحكيم المداوي · فقال الجني : من أين أخرج ؟ قال : مع ابهام رِجلها · فوافق ذاك · فعصب الرجل ابهام المرأة بخرقة لفها عليه ، فسألته لم الابهام خاصة ؟ قال : انهم يرونه أشد اهانة لهم فلا يعودون بعد ذلك الى ذلك الانسان !

وسألت عن المرأة زوجها بعد أمد ، فقال : انه لم يعد اليها أبداً ! ·

وفي كتابي « طرائف وامثال شعبية » رويت شيئاً عن استحضار الجن ·

السعالي

ما هي السعالي ؟ هــل هي حيوانات أم جــن أم أرواح شريرة ؟

لقــد تحدث العرب قديماً عن الغول والعنقاء ، وتنسب لعلي – كرم الله وجهه – مقاتلة الغول وهناك اماكن تســمى بالغول ، كبطن الغول جنوب الاردن ، واذا هوّل الناس اليوم قالوا : انه غول مخيف !

ومع هذا قرر قدماؤنا أن المستحيلات ثلاثــة : الغول . والعنقاء ، والخل الوفي ٠

واذا أرادوا أن يقولوا عن شيء : مستحيل ٠ قالوا : هذا رابع المستحيلات ٠

والعرب المتأخرون يكثرون من ذكر السعلي ويقصون لك القصص المسلم بها عنه ، ولكن هل هم وحدهم من ذكـره ؟ هذا الشاعر عَبِيْدة أخو بني قيس بن ثعلبة دودان ، يقول :

أليسوا فوارس يوم القُرات والخيل بالقوم مثل السعالي ؟

وفي القاموس « والسِّعَلاةُ والسِّعْلاءُ بكسرهما: الغُولُ أو ساحرةُ الجِنّ » ٠

وفي هامش القاموس: « قوله والسعلاة والسعلاء بكسرهما الغول أو ساحرة الجن ، أبو عبيدة : لقيت السعلاء حسان في بعض طرق المدينة وهو غلام قبل أن يقول الشعر فبركت عليه

وقالت : أنت الذي يرجو قومك أن تكون شاعرهم ؟ قال : نعم، فقالت انشدني ثلاثة أبيات والا قتلتك . فقال :

اذا ما ترعرع فينا الغلام
فما أن يقال له من هُوَ هْ

اذا لم يسد قبل شد الازار
فذلك منا الذي لاهُوَ هْ

ولي صاحب من بني الشيصبان[1]
فحينا أقول وحينا هُوَ هْ

فخلت سبيله ، وقال دريد : ان عمرو بن يربوع أخذ سعلاة فأولدها عسلا وضمضمان[2] ثم فرّت من عنده فمن ولد عسل صيفي وسموا بني السعلاة .

حجرف الذويبي والسعلاء[3]

وقالوا : كان حجرف الذويبي من حرب سائراً ورفيقاً له ، وكان الوقت ليلا فوجدا كبشاً ضالا فأخذه حجرف فربطه على ردوف ذلوله ، وكانت السماء ترعد وتبرق ، ولما لمع البارق

---

(١) قبيلة من الجن .
(٢) لعله ضمضماً .
(٣) حجرف الذويبي : من الذوبة من بني عمرو من حرب . كريم جواد شجاع شاعر ، رويت بعض أخباره في كتابي « طرائف وامثال » و « نسب حرب » .

نظر رفيق حجرف الى الخروف فاذا هو يضحك تبسماً فرحا ، فأخذ يبتعد عن حجرف رويداً رويداً حتى ابتعد فناداه قائلا : يا حجرف ، اذا برق البارق انظر في ثنايا طليك[1] ! فنظر حجرف فاذا هو يبتسم فعرف قصده ، وظل سائراً حتى هبط واديا فيه (حلفاء) نبات سريع الاشتعال فنزل عن مطيته وطلب من رفيق السوء أن ينزل فنزل فشبا ناراً يصطليان عليها ، ففكر حجرف في حيلة يتخلص بها من هذا المأزق،فنظر الى الكبش فاذا صوفه غزير ناعم ، فأخذ ثقاباً من النار فصار يحك ظهره بمؤخرته فقال السعلاء : لماذا تعمل هذا يا حجرف فقال : أصلي ظهري من البرد،فأخذ السعلاء ثقاباً وعمل مثله، فسقطت النار على صوفه فاشتعل ، فأخذ يستغيث برفيقه الذي قال له : أدخل في الحلفاء تنطفىء النار عنك ، فدلف السعلاء الى الحلفاء فاشتعلت عليه ! بينما وثب حجرف الى مطيته[2] .

وصاياهم للأبناء في اختيار الأصدقاء

قالوا : كان لأب ابن كثير الاجتماع بالشباب ، وكان يعتبر كل من تعرف عليه صديقاً . وكان أبوه ينصحه بأن يختار اصدقاءه من الفضلاء الذين يتوسم فيهم صفات الوفاء . غير أن الشاب ــ عادة الشباب في كل زمان ومكان ــ كان يفند رأي الشيخ ولا يقبل به ، فعزم الشيخ أن يبرهن لولده على صواب رأيه ، وكان ذلك الزمن ــ طبعاً ــ يعتمد القوة والحمية في

(١) خروفك .

(٢) وانت عندما تقرأ هذا قد تقول : انها أسطورة سخيفة ، وأنا لازلت غير مقتنع بها ، غير أن الشيوخ يصرون على صدقها ويستغربون عدم تصديقنا إياها ؛ ولله في خلقه شؤون .

حل المعضلات ، فذبح الأب خروفاً وطبخه حتى صار أكلة شهية فاتفق مع ابنه أن يدعو أصحابه دون أن يخبرهم شيئاً ، وفعلا ذهب الابن فدعا أصحابه فلما حضروا كان عددهم أربعين شاباً ، وكان الشيخ قد جعل الخروف في وضع كالميت المسجّى ! فلما كمل عددهم قال الشيخ : هذا صاحبكم فلان ــ ابنه ــ والصديق ليوم الضيق وقد قتل رجلا هو مسجي أمامكم فأعطونا بصيرتكم في الامر ! ٠

فقام الشباب كل ينكر صلته بولده ! فهذا يقول : ان معرفتي بولدك دون الصداقة ، آخر يقول : ما صاحبناه على هذا ! فانفض الجمع حتى لم يبق واحد ٠

فنظر الشيخ الى ابنه وقال : هل بقي أحد من أصحابك ؟ فقال الشاب : لا ٠ قال الشيخ : أنا أبوك ، وليس لي في هذه الدنيا غير صاحب ونصف صاحب ! فاذهب الى فلان فهو نصف صاحب(١) لي فادعه ولا تخبره ٠ وحضر الرجل فقص الشيخ عليه ما قصه على أصدقاء ابنه ، وطلب بصيرته في الأمر ، فاذا هذا النصف صاحب يمتعض ويقول : أهذا وقت أخذ الرأي ؟ لنبدأ أولا بدفن الميت دون أن يكتشف الأمر ثم نتشاور فيما بعد، وتقدم بسرعة الى ذلك المسجّى لينزع عنه الأغطية استعداداً لبدء الدفن فوراً ! فاذا هو أمام الامتحان ، وفعلا بدأ الدفن ولكن في البطون بدلا من الأرض ٠ وبعدها ارعوى الفتى وصار يأخذ بنصائح أبيه الذي علمته الأيام والليالي وقد يكون هذا من الصراع المتوارث بين الشيوخ والشباب ، واتهام الشباب بقلة التجربة ٠

---

(١) أي ان صداقته ليست بالمتينة جداً ٠

وقصصهم في الكذب !

هذا الشعب الجاد الفاضل الذي يكرس معظم قصصه للفضيلة والحث على الخير والرشاد ، ويجعل من تلك القصص حكماً ينقلها الأحفاد عن الأجداد ، هذا الشعب قد يلجأ الى نوع آخر ، هو نوع للتفكه والترويح عن النفس،ومن هذا بعض القصص التي يسمّونها قصص الكذابين ، أي أنهم يروونها على أنها كذب محض ، ولعل لهم مغزى نفساني في ذلك ، فعلماء النفس اليوم يقولون : اذا جعلت ابنك لا يعرف الا الفضيلة فقد أسأت اليه لأنه لا بد ـ في حياته العامة ـ أن يختلط بالفاضل وغير الفاضل ، فاذا لم يعرف غير الفضيلة ظن أن الناس كلهم كذلك فوقع في شرك الأشرار ، وقد قيل : ان ابن حنبل رضي الله عنه علّم ابنه أربعة آلاف حديث منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما حفظها قال له : ان هذه الأحاديث مكذوبة عليه (ص) ، وهو بهذا يسجل لنا سبقاً على علماء التربية الحديثة ٠

ومن قصص الكذابين !

قالوا : جلس حجازي ومصري يكذب كل منهما على الآخر ، فقال الحجازي : كان لأبي قدر كبير يعشي فيه ضيوفه، صنعه سبعة نحّاسين كل منهم ما يسمع طق الآخر ! ٠

فقال المصري : كان لنا حمار نحمل عليه متاعنا ، فأصيب بدبره[1] فصرنا نحرق النوى وندقه ثم نذر به دبرة الحمار ، فصدف أن نواة لـم تنحمس ولم تندق فنبتت نخلة في ظهـر الحمار ! وسرعان ما أثمرت فلم نقدر عليها لاهتزاز الحمار ، فصرنا اذا أردنا الرطب نأخذ الترس[2] وأنا أحذف وأبوي يحذف فيتساقط علينا الرطب ، فتكونت على رأس النخـلة روضة ! فنبتت فيها يقطينـة ، فأثمرت اليقطينـة قرعتين : واحدة تشبع أهل مصر صبحاً والأخرى تشبعهم مساء !

فبهت الحجازي فقال : وَلَّ ! في أي شـيء يطبخونهـا ؟ فقال المصري : في قدر ابيك ! •

وقالوا : اجتمع شمري وحربي ، فقال الحربي : ياأخي أنا اليوم أصبحت سهران ومتعب وأريـد أن أنـام ، فقـال الشمري : ما الذي أسهرك ؟ فقال : عندما أردت أن أنـام البارحة فاذا القمر يطلع على رأس جبل ورقان ، فاذا هو ناشب فيقتادة هناك ! فصعدت اليه فما خلصته الا وقد مضى من الليل معظمه ، وعندما هبطت الى السهل كانت الشمس قد أشرقت ، فاذا بقطعة من الليل ضالة ! فسقتها حتى ألحقتها بالليل !

فقال الشمري : هذا أسهل مما مضى عليّ ، كنا قافلة فهدر القَيّدة[3] فأظهر لهاته فانقض عليه نسر فأمسك بلهاته وصعد به الى السماء وصعدت كل القافلة التي كانت مقطورة

---

(١) جرح في الظهر من أثر حمل المتاع •

(٢) الطين المتماسك على شكل الحجر •

(٣) الجمل الأول في القافلة ، وكلها تتبعه اي انه قائد

فيه ! فعمرت[1] غليوني فلما تكاثف الدخان فوق رأسي صعدت فركبته فلحقت جمالنا وعدت بها ! .

وكان مغربي يستمع لحديثهما ، فقال : أما نحن أهل الغرب ما نعرف تكذبا[2] نحمّل الذرة مائة آردباً[3] ونعلق البدرة وبعده نركبا ! .

ولكن هل هؤلاء بدع في هذا المضمار ؟ ان أخبار العرب لا تخلو من أمثال هذه القصص من قديم ، وهذا الرقاشي يقول :

لنا من عطاء الله دهماء جونة
تناول بعد الأقربين الأقاصيا

جعلنا الالا والرجام وطخفة[4]
لها فاستقلت فوقهن أثافيا[5]

فهذه القدر أكبر بكثير من قدر ذلك الحجازي الذي صنعه سبعة نحاسين !

---

(١) عود له رأس يوضع فيه التتن ، وتعميره : ملؤه .

(٢) كذا يروونها .

(٣) الأردب من الحب ونحوه : ستون صاعاً .

(٤) جبال في نجد متباعدة جداً .

(٥) البخلاء للجاحظ ص ٢٦٥ .

الرامـّة !

من الأساطير قولهم : ان أهل اليمن ـ وهم يعنون جنوب مكة ـ يربطون المـرأة حتى لا تأتي على ما في بيت زوجهـا فتتلفه ، ويسمونها الرامّة ، أي ترم كل ما تجده ، فاذا حدث وانطلقت من ذلك الرباط فانها لا تـدع في البيت شيئاً الا أتت عليه ! .

عندها ينادي مناديهم قائلا : فلان انطلقت عليه رامّته ، فعاوضوه !

فيأتي كل بما يستطيع تعويضاً للمنكوب !

وتلك الرامة مربوطة ـ طبعاً ـ تنظر الى ما يحدث !

ويقولون : ان أحدهم حج ، فلما رأى الكعبة رفع يديه وقال : الله بجاه ما صمعدك وزمعدك ، عساني ما ألقى قاطمةٍ مكانها ، ان جبت كسوة قددت ، وان جبت عيشة بددت .

★ ★ ★

الأمثال والأحاجي والتعاجيز

ولدى العامة من الشعب أنواع من الأدب الرفيــع الذي لا يقل أهميّة عن مثيله في الفصحى، من ذلك الأمثال والأحاجي والتعاجيز ، وهي الفاظ ذات دلالات وأهداف مخصوصة ·

الأمثــال

تقول العرب : الامثال دلائل الأحوال ، والمثل تتوفر فيه أمور تجعله أبلغ في أذن السامع وأكثر اقناعاً واصابة للمعنى ، يأتي ذلك في قول جزل قصير محفوظ متقن ، فلا يكلف وقتاً ولا يحتاج الى كثير تفكير ، فهو كالأطعمة الشهية المعلبة يجدها المسافر والعجل في متناول يده ،. فلا تأخذ من وقته أكثر من الزمن اللازم لمضغها ، ولا تحتاج الى معرفة في فن الطهي ·

ولقد أتيت على كــل ما وصلني من الأمثــال في كتــابي « طرائف وأمثال شعبية »غير أنِ المقام هنا يملي الاتيان بنماذج من أمثالهم لأن هــذا الكتاب هو دراسة للأدب الشعبي وليس استقصاء للنصوص ·

ومن أمثالهم في الاعتماد على النفس :

« ان كان ما شِرْبْ الفتى من يمينهْ

شربٍ على يدينْ الرجالْ همـاجْ »

« ان كان ما شور الفتى من جـلامهْ[1]

فاشوار خلـق الله تدلّه وتغويـه »

بيتان من الشعر ذهبا مثلين من أمثالهم ، ومعناهم واحد ، وهو اذا لم يكن لك رأي ترجع اليه فان آراء الناس قد تضلك لاختلافها باختلاف أفكار الناس وأهوائهم ٠

وعلى هذا الاختلاف يقولون « احزم يدك ويجيك مائة طبيب »

وهذا واقع مشاهد ، فلا تكاد تقول في مجلس : ان بي صداعاً في رأسي ، حتى تسمع النصائح المتضادة تنهال عليك ! هذا يقول : خذ نوفالجين ، وآخر يقول : لا ، انه يضر بالقلب، فيرفع صوته آخر ليقول لك : الأسبرو ، خير ما جرب حتى الآن! وهكذا يتحول الناس بتجاربهم وعدم تجاربهم الى مجموعة من أطباء متطوعين ٠

ويقولون :

« عزي لمالٍ ما يواليهْ صاحبِهْ

يموتْ لو أنّ الربيـع حـذاهْ »

وفي هذا المعنى يقولون : « مال تودعه بيعه » ٠

---

(١) أي رايه من فكره ٠

ولا يبعد عن هذين قولهم : « من وصّى نسيْ » ·

كل هذه الأمثال تحث الانسان على أن يباشر أموره بنفسه ما أمكنه ذلك ، وكم نسمع اليوم من يجأر بالشكوى لأنه وكل فلاناً على بيته أو مزرعته أو شأن من شؤونه ، فأهمل وأضاع أو اختلس ·

ومن أقوالهم في الأمانة « يا ويل الزرع من خارفه(١) » و « أمين وخائن » ·

ويقول لمن يعتمد على آخر فيخيّب آماله « ما حكّ جلدك غير ظفرك » ·

واذا أردت أن توسط انساناً الى آخر في قضية لا يرغب التوسط فيها ، قال لك : « من فمك أحلى » أو : « في فمك ماء ؟ » وهو سؤال استنكاري ، أي ما يمنعك من تكليم ذلك الشخص حتى تحشرني في الموضوع ·

ومن أقوالهم فيمن يشدد في الطلب ولا يقبل مهلة :

« خرّج من عينه عود »·و « أخرجه من الظل في الشمس » و : « جعله في أضيق من ثقب الابرة ! » ·

ويقولون في الاهمال

« أخرجه من الحرز في البرز » · لمن كان له شيء في مأمن فأخرجه الى مكان ليس بأمين ·

---

(١) الخارف : الحارس أو الناطور ·

ويقولون : « خيشة باب » والخيشة المقصود تلك الستارة التي يضعها صاحب الدكان على باب دكانه دون أن يغلقه ، فهي لا تمنع أحداً وانما تهيب على الدابة والطفل • واستعير المثل لما شاكل ذلك

ويقولون لمن يحاول خداع من يعرف اساليب الخداع :

« يبيع البيض على سلاقينه » و : « يحبي على من قَطّع الحبي بطنه » ! أو : « يغفص الحلم على عيونه » ! أي يجعله لا يـــرى •

أما الذي يظن الناس أنه لا يكاد يفقه ما يقولون ، وهو يعي كل ذلك فيقولون له « ساكن السدرة » وهذا المثل له قصة « أسطورة » تقول : كان لرجل أم وزوجة وجارية « أمـــة » وصبي « خادم » فكان يريد أن يعرف ما يجول في خواطر هؤلاء، وفي أحد الأيام قال لاهله : ارحلوا الى مكان كذا ، فاذا مررتم بالسدرة الموجودة في مكان كذا فيسأل كل منكم عما يريد فان فيها ساكناً « جني » يخبر الناس عن كل شيء ! ثم انه احتال فسبقهم الى تلك السدرة وتخفى في رأسها ، فمرت الأسرة كل على انفراد ليختلي بتلك السدرة ويسألها عما يريد ! •

فمرت العجوز وسألت : ياساكن السدرة ، أيزوجني ابني جـارنا فلاناً ؟ فقال : نعم . ومضت ، فجاءت الزوجة وقالت : يا ساكن السدرة ، أيعمى زوجي حتى استطيع أن اتصرف في علاقتي مع صبينا دون أن يراني ؟ ! قال : نعم •

ومرّت الجارية فقالت : يا ساكن السدرة ، أيمسك سيدي ابني حتى أتعشى ؟! قال : نعـــم • وهكذا كل كان يعبر عن

أحلامه التي تهمه أو كذا اختلقوها ليعطونا هـذه الدروس الثلاثة وهم يقولون لـك : لا تظن أن امرأة لا تفكر في الزواج مهما بلغت من السن ، وأن المرأة قد تخون ، وغالباً ما تخون مع الخدم وحثالة الناس الذين يدخلون عليها بلا رقيب ولا حسيب • وأن الخدم أكثر ما يفكرون في بطونهم فعليك اشباعهم تحسناً وطلبا لثواب الله •

وجاء المساء وجلس الرجل مع أهله ، وتظاهر بأنه عمي ، وجلس الى أمه يشاورها في أن يزوجها فلاناً الذي تريد ، وأخذ ابن الجارية عند وقت العشاء حتى فرغت من طعامها ، ثم ختم أعماله بأن طلق أم عياله ، وهي في قصص العرب خاتمة كل امرأة خائنة •

ومن أمثالهم في حث الرجل على اكرام قومه وعدم اهمالهم:

يمنى بـلا يسرى تراهـا ضعيفـه

ورجلٍ بلا ربـع على الغبنْ صبّارْ

واذا قال أحدهم لآخر : رأيتك عملت كذا وكذا • قال الآخر : الله ولا جارٍ عليّ رقيب !

ويقولون لمن يطعم أولاده ويجوع : ما تشبع الذرة ولها ذراري •

واذا أكل أحدهم بعمل غلس فلم يحسنه ، قـال : تتعب المقينة في الوجه العكر •

والمقينة التي تتولى تزيين العروس ليلة عرسها •

يقلي بطاطس !

واذا أوكل أحدهم بعمل فتشاغل بغيره قيل : « يقلي بطاطس » !

وقصة هذا المثل : ان عريساً أدخلت اليه عروسه ليلة زواجهما ، فلما كانت في غرفة النوم خرج العريس ، فانتظرت حتى طال انتظارها،فخرجت تبحث عنه فاذا هو في المطبخ يقلي بطاطس ! ٠

ومن أمثالهم : ويش يخلي عيال البدو صغار ؟ قال : أكل العيش بارد ، واللحم حار ؟!

وهم يقصدون من مثل هذا ترسيخ ضرر العيش البارد في نفوس الأطفال وأمهاتهم ويقولون في الرؤيا : « أحلامكم أعلامكم » ٠

والغريب أن البوادي لصفاء أذهانهم وهدوء بيئتهم يفسرون الرؤيا فلا تكاد تكذب معهم ، ويعرفونها بقرائن ودلالات خاصة بهم ، وقد تسمع – في المجلس – من يقسم لينزلن المطر قبل أسبوع ! فاذا سئل قال : رأيت فيما يرى النائم أن رياحاً هبت من جهة كذا تجرف الأرض جرفا ، وفسرتها بالمطر ٠ ثم ينزل المطر كما قال ٠ أو يقول : سيسيل وادينا قريباً ٠ فيأتي بتفسير رؤيا تختلف عن الاخرى ٠

ويقولون : أبطي على الجوعان فت القرص . يقوله من تقول له : قرب الفرج أو صدر الأمر بكذا .

ويقولون لمن أعد العدة لأمر لم يتأكد منه ثم لا يكون : كسر كوره وأرنبه راقدة .

وقصة المثل تقول : جاء رجل راكباً ذلولا وعليها شداد ، فرأى أرنباً راقدة ، فأناخ ذلوله وأخذ كور الشداد وكسره فأوقد بـه ناراً ثم ذهب ليـأتي بالأرنب الراقـدة ! فنفجت الأرنب ، فلا هو سلم شداده ولا صاد الصيدة !

ومن أمثال أهل مكة : خليت مكة لأهل الوادي .

وسبب هذا المثل أنه ما كان أحد من أهل مكة يتأخر عن الحج . ففي زمن استغل أهل وادي فاطمة « مر الظهران » خلو مكة فأغاروا عليها ، وما كانوا يستطيعون ذلك وأهلها فيها .

* * *

الأحاجي

ألغاز وحزازير ، وقد يسمونها غبايا أو فوازير ، واحدتها غباية أو فزورة ، وهي أن يسألك عن شيء باسم أو وصف بعيد عن الأصل ولكن فيه شيء من الظاهر والغابي متشابها ، كما سترى في النصوص ٠

وهو قديم عند العرب، وان لم أر الخوض في القديم لأن أهداف هذا الكتاب واضحة ، وهي الأدب الشعبي ، ولكن أردت أن آتي بشاهد واحد يطمئن اليه القارىء ويتأكد أن هذا النوع من الأدب أصيل لا دخيل ٠

جاء في جزء من كتاب الأوراق للصولي[1] :

أُحاجيكمُ ما قوس لحم سهامُها
من الريِّح لم توصل بقِدٍّ ولا عقب
وليست بشريان وليست بشَوْحَطٍ
وليست بنبْع لا وليست من الغَرَب

والبيتان من هجاء أبان بن عبد الحميد للمعذل . الا أن

(١) الجزء الذي حققه ج هيوارت دن ص ٧ ٠

كلمة « أحاجيكم » تـدل على التلغيز في الموضوع • والعـرب اليوم يبدؤون أحاجيهم بقولهم : حاجيك ، أو يا حجيتك ، و بعضهم يقول : يا حجليتك ، فيرد الآخر فيقول : أنت حاجي • فيبدأ الاول في أملاء أحجيته • تزوجت امرأة رجلا فظل ثمان سنوات لا يقربها ، فقالت :

حاجيك من رجلٍ شَرَى لهْ معامِيلْ[1]

وأخذت ثمـان سـنينْ ما دِقّْ فيهـا[2]

وصفة أحاجيهم ، يقول الأول : يا حجيتك ، فيقول الثاني أنت حاجي • فيقول الأول :

انشدك عن رِجّالْ يا طيّبْ الفالْ

حجّ القرينْ وزوروه المدينهْ

فيبدأ الثاني في التفكير ، ثم يقول : الهم ! فيقول الأول : لا • فيعود الثاني الى التفكير ثم يقول : عرفته ! فيقول الأول : ما هو ؟ فيقول الثاني : الشاهي أو يقول : القهوة الخ فاذا عجز أن يعرفه ، وجب على الحاجي أن يذكره ، وعندها يسأل المحجي ، فيجيب الحاجي : النوم ! وقد تبدأ الأحجية بقول الحاجي : وش لك من كذا وكذا • فيستمر الحوار كما تقدم • ومن أحاجيهم :

١ ــ بئر طويلة وفي قاعتها مروة • الجواب : سقاء اللبن • ويقولون : حاجيك من شجرة لها اثنـا عشر فناً ، في كـل فن

---

(١) أواني القهوة •

(٢) رويت القصة في كتاب « طرائف وامثال » ، فانظرها بأكمل منهذا •

ثلاثون عشاً ، وفي كل عش خمس بيضات ، ثلاث في الظل واثنتان في الشمس ؟

والجواب : السنة فيها اثنا عشر شهراً ، وفي كل شهر ثلاثون يوماً ، وفي كل يوم وليلة خمسة فروض للصلاة ، ثلاثة في الليل واثنان في النهار .

وقال شاعر لآخر :

بَنَشْدك وش واحد وويش اثنين
والأربعة والخمس والمِيَّه

فقال الآخر :

الرب واحد ، والشهود اثنين
والأربعه نقل النعش بيَّه
وخمسة فروض اللي عليه دين[1]
والسبحه اللي عدها ميَّه

والشعراء أكثر فهماً لهذا النوع من الغبايا ، فلا تكاد تجد من يتردد في فهمها ومن حجاياهم : كوفة فرع[2] كوفة ، واللي ما يحجاها لحية أبو منتوفة ! وهي البصل .

وقولهم : طاسه فرع طاسه في البحر غطاسه . وهي الشمس .

---

(١) أي مكتوبة .
(٢) فوق .

وقولهم : حجر حجنجر حجاره ؟ لا. تبيض وتفرخ ، دجاجه ؟ لا .

وهي السلحفاة .

وقولهم : وش لك من شيء ان مسكته صاح ، وان فكيته[1] راح ؟

وقولهم : شيء يمشي ويدفن جرته[2] ؟ . المخراز يخفي أثره بالسير الذي وراءه .

وقولهم : شي يغمك ، وقعرته في أمك ؟ وهو الثدي .

ومن ألغازهم الشعرية قول الشاعر قاسم بن مرشد الأحمدي :

أنشِدكْ عن خَوْدْ فيها الخير هُوْ والجود موجود

خَوْدٍ زَهِيَّهْ حَسِينَهْ بالصِّفه زَيْن الحلاتي

علوها شَبّ وأسفلها شباب العلمْ ما كود[3]

وِيمُوتْ ما بينهنْ وهي بصحَّهْ في الحياتي

الحل : النخلة .

---

(1) فككته .

(2) جرته : أثره .

(3) ماكود : اكيد أو مؤكد .

وقـال أيضاً :

انشدكْ عن رجـلينْ متضادّينَا

متقالبينْ الملكْ في كـلّ الاوقاتْ

وفي طروق الحـقْ متقاربينا

ما ياخذهْ يعطيهْ من دون طلبات

الحل : الليل والنهار .

* * *

التعاجيز

التعاجيز جمل مكونة من كلمات تجعلها معقدة التركيب بحيث لا يستطيع الاتيان بهـا سليمة سـوى أصحاب الالسن الطلقة . وزيادة في تعقيدها جعلوا شرطاً أن يتكلم بها الانسان عدة مرات وبسرعة متناهية •

ويظهر أن القوم كانوا يقصدون منها هدفين من أهداف الثقافة:

الأول ـ تدريب ألسنة النشء على الكلمات المعقدة لتسهل عليه بالتالي الكلمات الأقل تعقيداً •

والثاني ـ بقصـد الترفيه في تلك البيئات التـي كانت تفتقر لوسائل الترفيه، خاصة في المساء حيث يكون القوم عائدين من أعمالهم الشاقة كالفلاحة والرعي وغيرهما ويبدؤون هذه التعاجيز بقولهم : قل بسرعة ثلاث أو خمس مرات كذا وكذا • وغالباً ما يجعلونها ثلاث مرات ، الا اذا تبارى اثنان فأظهر كل منهما استعداده على أن يقول أكثر من الثاني •

فهم يقولون لك: قل بسرعة ثلاث مرات : أخذتْ من دهنَ المصـُع دهنٍ تدْهنَـمْصـَعْتْ به !• أو أخذت من دهن الرطب دهن تدهنرطبت يه !• فاذا غلط أحدهم انفجر الحاضرون ضحكاً •

ويقولون لك : قــل بسرعة ثلاث مرات : قدرْ مشقوقْ دائــر في السوقْ ، أصبعــي في شقــّهْ وشقــّهْ في أصبعــي ! ٠ والمقصود أن تغلط فتقول: أصبعه في شقي وشقي في أصبعه !٠ وقولهم : أنْقزْ من دب واســي على دب واختــار لامي زيــن الدبه !٠ وقالوا لي وأنا صغير : قل فوق رأسي عمامه قز وأنا زقاق ذريف .

ويقولون للصغار : قل عُكيكة جدتي فيها رب(١) وآلحس خريق عكيكة جدتي وأقول : طيبـَوْهْ يا طعم خـُرَيقْ عكيكة جدتي ! والمقصود واضح !

ومن هذه التعاجيز ما صار من الأمثال ، مثل ذلك قولهم : قل بسرعة ثلاث مرات : عير غير عير غانم فصار هذا مثلا ، فاذا تحدث اثنان فظننت انهم يتحدثون عن شخص معين، وليس كذلك ، قالوا لك : لا ، هذا عَيْر غير عَير غانم ٠

وقولهم : خميس خمش خشــم حبش ! فقلنــاها لأحــد الأصدقاء مرة فقال :

خميس خميش خمش خمش ! كان يقول ذلك بسرعة !٠

ومن أمثالهم في هذا القول اذا تخاصم اثنان وأراد آخر أن يفهمك أن ذلك لا يهمه قال لك : خميس خمش خشم حبش! أي ما يعنيني من خميس وحبش تخامشا أم لم يتخامشا ٠

وفي العموم أن الأدب الشعبي يفيض بالمرح البريء المحبب المثير للضحك ٠

---

(١) عسل التمر بعد غليه وشخله ٠

وكنت مرة في ضيافة أحد المشايخ وكانت بين القوم خصومة فظل المجلس متجهماً فاذا أحدهم يقطع الصمت ليقص لنا هذه الطرفة ، قال : كنت أركب قعوداً لي جفول ، فطارت من قدامي غطاطة فجفل القعود ، أتدرون ما حدث ؟ قلنا : وقعت على الأرض حتما ! قال : لا ، قلنا : ماذا حدث اذاً ؟ قال : الأرض وقعت علي ! قلنا : كيف ؟ قال : أصل القعود رماني تحت جرف ، فلما وقعت انهال الجرف علي فظننت أن الأرض انقلبت فوقعت هي علي ! • فصار القوم يضحكون وذهب ذلك الوجوم والتزمت •

★ ★ ★

العادات والتقاليد

الأعياد

أكرم الأعيادعند الحجازيين وأجلهـا وأعظمها احتفـالا واحتفاء هو عيد الفطر ، فاذا أهـل رمضان شهدت تغييراً في المدينة والقرية والبادية ، يجددون الآنيه ويبخرون البيوت ويحضّرون الأكلات التي تتناسب والصيام ، فاذا أعلن دخول الشهر رأيت الاطفال يتراكضون في شوارع المـدن وعرصات القرى وهم يتصايحون « جابوه ، جابوه » ! أي جاؤوا به . أما الكبار فأول عمل بارز في حياتهم هي صلاة التراويح التي تبدأ في أول ليلة من الشهر .

فاذا جاء الافطار رأيت الصحون والطيس تتعاقب بـين البيوت كل يهدي الى جاره مما عنده ، ومن لطيف تقاليد بعض الأسر أنها لا ترد اناء جـاءها فارغاً فـاذا أرسلت لهـم تمراً ـ مثلا ـ ردوا لك شربة أو شرابا من اشربة رمضان أو ادماً . الـخ .

ومن لطيف ما اتفق لي انني زرت مرة صديقاً لي ليس بيني وبينه كلفة ، فرأيت قدراً كبيراً على النار ، فقلت له : لابد اننا معزومون عندك الليلة ! فقال : هل نمت الظهر ؟ قلت نعم ، ولكن ما المناسبة لهذا السؤال ؟ قال : أعتقد انك تحلم في النوم

بالعزائم ! قلت : وما كبر قدرك هذا ؟! قال : يا آخي لم أجد أكسب من هذه الشغلة ، نملأ القدر شربة فنوزع على الجيران فيعود لنا كل صحن نرسله مملوءاً بصنف ، فتجتمع لنا سفرة عامرة ولم نخسر سوى الشربة !

احتفالات العيد

أما الاحتفال بعيد الفطر فانه يبدأ بالصوم ويستمر طيلة شهر رمضان من تفصيل ثياب وتحضير فرش وذبائح وغير ذلك ٠

فاذا أعلن هلال شوال وزعت الفطرة وفرشت المجالس ، وفي الصباح يبكر أهل الحرمين الى الصلاة في المسجدين الشريفين ، ثم تبدأ بعد ذلك المعايدة بزيارة الجيران والأهل والاصدقاء ، ويظل الأطفال يجوبون الشوارع قائلين : من العائدين ، من العائدين ٠ فيوزع عليهم أهل البيوت الحلوى ٠ وتوضع في المجالس نصات خاصة عليها صنوف من الحلوى ، يستمر ذلك ثلاثة أو أربعة أيام ، وتكون معايدة النساء بعد أن يكف قدم الرجال عن الزيارات ٠

أما في البادية والقرى فيبدأ بعمل الفطرة وهي طعام يحضر في الصباح الباكر يزود بالسمن والسكر ويكون من الأرز أو البر أو الدخن ، فيجتمع القوم في صعيد بين البيوت ويأتي كل بفطرته ما عدا من يكون هذا أول عيد له بعد زواج فان الناس يذهبون ليأكلوا فطرته في بيته ٠ ويجتمع القوم في ذلك الصعيد يمر كل منهم على ما يتسنى له من الصحون

متذوقاً ، فهو اليوم الوحيد الذي لا عيب فيه أن يأكل الشخص واقفاً ويقوم والناس يأكلون ويتنقل من صحن الى صحن ٠

فاذا فرغ الرجال قام بعضهم الى بعض يلثم كل منهم خد صاحبه وهـم يقولـون : من العائدين ، عساكم من عُواده ورُوّاده ، رحم الله من لا عاد عليه ٠ الخ ٠

فاذا انصرفوا جاء النساء فعملن كالرجال تماماً ٠

ثم يذهب الرجال يؤدون صلاة العيد في المشهد ، وصلاة العيدين عندهم لا تؤدي في المساجد العادية ، وانما يخصص لها مكان يسمونه المشهد أو المصلّى ٠

فاذا عادوا ذبحوا الذبائح ، ولا يبقى أحد لا يذبح حتى الأرامل والعجائز(١) ويكون من البارحة قد قسموا الحي الى أربعة أقسام هي عدد أيام العيد عندهم ٠

ويكون في هذا اليوم غداء كل الحي عند من عليهم دور العيد ، وهكذا دواليك الى اليوم الرابع ٠ وفي الليالي تنصب الملاعب ويحضر الشعراء للمبادع ٠ ومن عادة البادية التجمع لهذا العيد فاذا انتهى عاد كل الى مضربه ، واذا تجاوروا للعيد جعـلوا البيوت في صـفين بديعين وجعلوا ما بينهما عرصـة ومراداً ٠

واذا أكل القوم عيد أحدهم وقاموا قالوا : عاد عيدكم ، وعدتوا « عدتم » عليه ٠ فيقول صاحب العيـد : عساكم من عُوّاده وروّاده ٠

---

(١) لاشك ان هذه التقاليد كلها لا تنطبق على كل الاقليم فقد تجد بعضها لاتطبق في جهة بينما تكون لهذه الجهة عادات أخرى ، ولكن هذا الغالب ٠

عيد الأضحى

رغم أن عيدالأضحى هو العيد الأكبر الا انالحجازيين لهم معه وضع آخر ، فمعظمهم يذهب الى الموسم ولا يظل في البيوت غير النساء والأطفال ، ولذا تجده فاتراً ، غير انه يبدأ عند المتخلفين عن الحج بالصلاة كصلاة الفطر غير أنه ليس له طعام قبل الصلاة ، فاذا عادوا ذبح من وجد منهم هنا ذبائح العيد بنفس الطريقة والتوزيع في عيد رمضان الا أن كثيراً من الفقراء والنساء يتجاهلون الذبح فيه بخلاف عيد الفطر ·

ولا يفصلون الثياب ولا يقدمون الحلوى في هذا العيد ، ومجمل القول انه عندهم ثانوي بالنسبة لعيد الفطر ·

الشعبنة : اذا جاء آخر يوم أو آخر جمعة من شعبان ، يخرج البعض في نزهة على أكلة شهية ، هذه النزهة يسمونها الشعبنة ، ويقصدون بها الوداع من أيام الفطر ، وهي عادة قديمة ·

أعياد ما أنزل الله بها من سلطان

ولهم أعياد ابتدعوها ليست من السنة في شيء والأولى بهم تركها ، وبعضها له مناسبات أما البعض الآخر فلم استطع حتى العثور على ذكر له لا في الكتب الدينية ولا في العامة · وأول هذه الأعياد :

عاشوراء

والسنة صوم يوم عاشوراء ، ولكن البعض اتخذه عيداً يذبح فيه الذبائح ، غير ان هذه الأعياد ليست عامة ولا احتفال لها الا ما سنذكره فيما بعد(۱) ٠

وظاهر أن هذا العيد من بقايا التشيع في الحجاز ، اذ أنه من أكبر الأعياد التي تحتفل بها الشيعة لمناسبته لمقتل الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، في كربلاء في ١٠ محرم سنة ٦١ هجرية ٠

صفر

ولهم مناسبة يوم السادس من صفر يعيده الأغنياء يذبحون فيه الذبائح ويقولون :

ما عيد الا عيد النحر   والا بست من سفر

ولم أجد لهذه المناسبة ذكر فيما اطلعت عليه من مراجع

★ ★ ★

(۱) ومن الواضح أن من يذبح يوم عاشوراء يكون مفطراً ، وبذا أخطأ السنة مرتين ، مرة بالذبح ومرة بعدم الصوم ٠

١٢ ربيع الأول

هذا هو يوم مولده صلى الله عليه وسلم حيث جاء في التاريخ انه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل ٠

وهذا العيد من الأعياد الدينية التي يحتفل به معظم المسلمين، غير أنه بدعة وكل بدعة ضلالة ٠ وفي ليلة المولد يُحْضِرُون سيرة لحياة الرسول الكريم تبدأ بمولده الى تبديه مع بني سعد ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، فاذا وصلوا مقطعاً منها فازوا قياما اعتقاداً منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحضر هذه الفوزة !٠

ويضعون الى جوارهم جرة مملوءة ماء، فاذا أتموا قراءتهم تسابقوا اليها يشربون منها معتقدين أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد شرب منها اثناء حضوره !٠

ويذبح الأغنياء منهم الذبائح ويقسمون الأموال والأكسية صدقة في هذه الليلة وقد يعتق أحدهم عبده ويسامح من تخاصم معه(١) ، وهي أعظم احتفالا بعد عيد الفطر ٠ ولا شك ان هذا مخالف للدين ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، قوله : « الأعياد في الاسلام ثلاثة : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، ويوم الجمعة » ٠ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ٠ وهذه المناسبة يسمونها « عيد المولد » ولكن يضمون الميم ويكسرون اللام ٠

(١) وهذه الأعمال حسنة ومقبولة في أي يوم من أيام السنة ٠

٢٧ من رجب « عيد المعراج »

رغم ما يصبغ هذا التأريخ بأنه الليلة التي عرج فيها بنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ، الى السموات العلى ، فانه غلطة تأريخية ، غير أن الخاص والعام درجوا على ذلك فجعلوه مناسبة يحتفل بهـا الناس ، فاذا أقبل هـذا التأريخ رأيت الموسرين يشدون الرحال الى المدينة المنورة فيما يسمونه بـ «الرجَبِيَّة» ومن أهل مكة يخرج ركب مكـون من الحمير وركب آخـر من الهجان تخرج في زمن يمكنها معه أن تصل المدينة في ٢٧ رجب وكان المقيمون يحتفلون بهذه المناسبة ولا زال بعض الموسرين يذبح ويتصدق ، ويؤم كثير من الناس ــ والنساء خاصـة ــ المسجد الحرام هذه الليلة حتـى يذكرونك بالحـج ، ولهـذا فكثيرون يصومون في رجب صياماً مخصوصا ومن أمثالهم في ذلك:

لا يعجبه العَجَب ولا الصيـام في رجب . وعامة باديـة الحجاز يسمون هذا الشهر « أرجبية » وشرق الحجاز وبنـو سليم يسمونه « الغراء » .

النصف من شعبان

وهذه الليلة من الليالي المأثورة عندهم ولها دعاء خاص يسمونه دعـاء النصف من شعبان ، ويذبح الموسرون في هـذه الليلة ، ويعتقد المكيون الى اليوم أن زمزم تفور في هذه الليلة ،

وهي كذبة لا تصح اطلاقاً ، وقبل سنوات بالطني أحدهم وراهنني على ذلك فتواعدت معه أن أحصل لي وله على اذن لنقترب من البئر في تلك الليلة ، فاذا به يقول : لا ، هي لاتفور الا مع الفجر ! قلت : نذهب عند الفجر ، فاذا هو يقول بنفاد صبر : يا أخي أنت ما تؤمن ، فهي تفور كلمح البصر ! والذي لا يؤمن يمكن ما يراها !!٠

وهكذا كثير من اهل مكة يعلمون أن هذا كذب ولكنهم يبالطون ويريدون من غيرهم ان يظل على جهله فيعتقد باطلا ، واذا جاء ذلك المساء رأيت الناس يحتشدون حول البئر وقد وضع عليها حارس يمنع الناس لئلا يقذف بعضهم بعضاً من شدة الزحام أو يطأ بعضهم بعضاً ، واني أقترح أن تنظم السلطة في الحرم هؤلاء واحداً واحداً ليروا بأم أعينهم ان البئر لا تفور كما يعتقدون وهذا افضل من منعهم وجعل بعض الجهلاء يصدقون قائلين : لولا أنها تفور ما منعونا عنها ، ولو أتيحت فرصة رؤيتها للجميع لما عدنا في حاجة الى حارس عليها كلما جاء النصف من شعبان ٠

وعامة شرق الحجاز تسمي هذا الشهر « قُصَيِّر » وكثير من الناس يصومون يوم النصف من شعبان ، وهو صيام بدعة ، ويصومون « الشك » وهو آخر يوم في شعبان ٠

★ ★ ★

المقابلات والتعارف والأخبار والضيافة

العرب حريصون على التعارف لهفون على الأخبار • واذا تقابل حضريان قدما نفسيهما في تعارف مألوف •

أما اذا تقابل بدويان فيجري بينهما الحوار التالي :

سلام • وعليك السلام •

الاسم على الستر ؟

فلان بن فلان أو الفلاني •

علوم أخبـار ؟

من مكان كذا ولا فاين(١) •

فاذا كان أحدهما قادماً من المدينة كان السؤال عن أخبار الحكومة والأسعار • فيقول المسؤول : الدولة بخير ! أو ماعلمنا سوءا •

والأسعار : كيلة الرز بكذا ، وأقة البن بكذا ، والسمن والشاي ، والسكر •

أما اذا كان السؤال عن الأمطار فلهم في ذلك أخبار دقيقة عجيبة ، فتجده يقول : الأرض الفلانية عليها سيول جارحة ،

---

(١) الفائن : الخبر الجديد • وفي اللغة الانجليزية : الطيب أو المليح ، فهل لها علاقة ببعضها ؟ لا أستبعد ذلك •

ومكان كذا سيل ، ومكان كذا قشع[1] ، وفي كذا وسم[2]، ومكان كذا شاهد[3] أو يمغدر أو نقع[4] ، ومكان كذا ديمة[5] • ثـم يقول السائل : الحفير ؟! •

فيقول المخبر : حفير موضع كذا « ممترغة[6] ! وموضع كذا : معضد ، وموضع كذا : كوع ، وكذا : مسكة[7] وكذا : بياض كف ، وموضع كذا : يقطب الجرة[8] ، وموضع كذا : رشاش ، وفي كذا : طـُقـْطـُق لا يحسب •

ويقول شاعرهم :

اذا لقيتوا ديرة اصحابْ من قومْ
عَـلّـم ترى حمض الرجالْ العلامِ



(١) الذي يكشح ماؤه على سفح الضلع ولا يصل السهل سيله •

(٢) يـرى اثر مائه •

(٣) ليس بعيداً عن الوسم •

(٤) الذي ينقع ماؤه في الأرض الجلد فيرى كالغدر الصغيرة .

(٥) الديمة : ثرى بلا سيل .

(٦) تحفر حتى يصير صدرك على الأرض ما ادركت اليابس •

(٧) نصف الذراع حيث تلبس المرأة المسكة « السوار » •

(٨) يدم أثر الدواب •

الرَّدّة والعزيمة(١)

أما اذا كان المتقابلان يتعـارفان فأول مبدأ « الرَّدَّة » وتبدأ بالمصافحة والتقبيل في الخد أو نص الأنف الى الأنف ثم السؤال عن الحال والعيال والجماعة والربوع • ثم يقول من كان أهله أقرب : عزيمة وتحية ، أو العزيمة فالك والتحية بسبالك(٢) ،أو نعزمك ونحيّي بك، أو طرقي في ديرتنا و نعزمك على قهوتنـا •

وبعد أي من هذه الألفاظ أو ما يماثلها يبـدي الضيف التمنع أولا بقوله : أوفيت ولا هفيت ، جمل الله حالك ، أو طرقي وغرضي بعيد الله يعينك •

فيعيد العازم التأكيد فيوافق الضيف • وينتقدون من يوافق من أول عزيمة • ويقولون : ما صدق بها ! أي أنه متلهف على الضيافة •

التحية تكريم

فاذا جـاء الضيف معزوماً أو ناصـيا(٣) بـودر بالبشر والترحاب كقولهم : حياك الله ، ومرحبا وتحية ، وحيا الله من جاء ، أو مرحباً ومسهلا ، ويا هلا مسهلا عدد الأبشار وعدد الأنشار وعدد ما فات من الليل والنهار ! •

---

(١) الردة : القبلات التي يتبادلها المتقابلون بعد زمن •
(٢) لحيته •
(٣) الناصي :من يأتي البيوت مستضيفاً •

ويرد الضيف على كل ذلك بقوله : أبقاك الله ، أو تبقى وتدوم ،أو البقاء وطول العمر ،أو عساك باقي ولعمرك واقي ·

أول التكريم

وأول تكريم الضيف أن تساق له القهوة المهيّلة ، فاذا مد الفنجان للضيف قال : أذكر الله والصلاة على النبي ، فيرد يا الله ذكرك وصلى الله على محمد وآله ، أو نحوه ·

وأدخل اليوم الشاي الى جانب القهوة أو هو نائب عنها ، غير أنهم لا يذكرون اسم الله عليه !

الفأل والعقال

ومع القهوة أو بعيدها يقدمون للضيف طعاماً خفيفا قد يكون تمراً أو خبزاً مفتوتاً بالسمن ، وخاصة اذا رأوا الضيوف جياعاً ، ولكي لا يظن الضيف انه القرى ، يقولون له: مرحبا بك على الفال وطريقه ـ يتبعه ـ العقال · فيرد الضيف: فالكم عقال ·

والعقال ما يعقل الضيف اذا أكله فلا يجوز أن يضيف غير معازيبه · وسنتحدث عنه في باب القضاء ·

القِـرَى

يختلف القرى باختلاف الضيوف ، فمنهم من لا يقريه الا أن تذبح له ذبيحة على قدر مقامه وسابقته عندك ، ومنهم من

تقدم له ما تيسر ، وفي كل الحالات يعتذر المضيف عن التقصير مهما عمل ، فاذا قدم قرى ضيوفه قال : مرحبا بكم على اللي ما هو قدركم ٠

فاذا كان القرى ذبيحة كانت ـ عند معظم أهل الحجاز ـ مفقدة منقدة ، أي كاملة لا ينقصها سوى الكرش والرقبة والأكارع التي لا يجوز تقديمها للضيف ، فاذا قدمت أمام الضيف عمل فيها كعملهم في ذبيحة الزواج[1] ٠

فاذا فرغوا من الطعام قال كبيرهم : يا معزب الخطار عاونك الله . أو أوجدكم الله من وجده الخ ٠

حصة الجار

الحصة لحمة ترسل الى الجار أو ذي الرحم ، ولكن هناك ممنوعات لا ترسل واذا أرسلت فهو منقود وفيه حق، ولحرصهم عليها نظمها شاعرهم في قوله :

ثلاثْ ممنوعاتْ عن بيتْ جارنا
الفخذْ والعمر ودْ[2] وأم الترايبْ[3]

---

(١) أخذت عادة المفقدة تندثر فلم يعد يهتم بها أحد ٠
(٢) الذراع ٠
(٣) الرقبة ٠

الرفائد والمنائح والعرايا

واذا فقر شخص أمدوه برؤوس من الغنم والابـل حتى يصير لهحلال مثلهم، هذه يسمونها الرفائد ، واحدتها رَفْدة ٠

أما اذا لم يرفدوه أو كانت غنمه « مجْنبة »(١) أعطوه منائح ، والمنيحة : شاة أو ناقة تعطى للفقير ونحوه يحتلبها حتى تغرز(٢) ثم يعيدها الى صاحبها ٠ واذا حضر الصيف من ليس له نخل ، أعطي عَريّة ، وهي النخلة يجني رطبها عامه ذاك ٠ وقد يؤذن له بأن تكون عرية لمدة من الزمن أو دائمة ٠

ومن كرامهم من ليس لكرمه حدود

وهذا حجرف الذويبي ذبح لضيوفه كل غنمه ، ثم صار يذبح ابله الواحدة تلو الأخرى حتى اذا بقي البعير الذي يرحل عليه مع قومه فاذا بضيوف فذبحه لهم ، وفي الصباح رحل القوم وتركوه على الدمنة ! فلم يحزن ولم يندم ، وبعد أيام تأسف نفر من قومه فقالوا : نعود الى حجرف فننظر أمره ثم نلحقه بالحي ٠

فركبوا ركابهم حتى صاروا على مقربة منه في الليـل فأناخوها بعيداً خوفاً أن يذبحها لهم ، فهضلوه مدعين أنهـم

(١) لا حليب فيها ٠
(٢) يجف لبنها ٠

باحثون عن جمل لهم ضل ، فدخل على زوجته سارة يقول لها: كيف أصنع بهؤلاء الأضياف ولا قرى عندي ؟ فقالت : « أمس يشدون ويخلونك على المراح واليوم تذبح لهم ؟ » فقال : « هذا ما هو كلام ، وش عذري من ضيوفي ؟! وهنا أرشدته الى ما كان عنه غافلا ، وهو أن يشب النار ثم يضع الوسائد ، ويحلف على كل واحد منهم أن يقوم الى تلك الوسادة زيادة في الاكرام ، فاذا قاموا ينظر الى ثيابهم من الخلف ، فان كانت عرقة متسفطة فقد جاءوا على ركاب وأناخوها بعيداً ٠

وفعلا وجد ما يدل على أنهم جاءوا راكبين ، فذهب الى حيث وجد ركابهم ونحر منها فما شعروا الا وهو يقذف في النار بشواء تلك المطية كعجالة لهم[1] ، وأولمت سارة وقدم القرى فقال : مرحبا بكم على حلالكم !

فلم يتركوه بعدها ، وعلموا أن كرمه طبيعة غرست فيه ولن تتغير ٠

★ ★ ★

(١) العجالة : ما يقدم قبل الطعام الرئيسي ٠

هل كل العرب كرام ؟

ما قدمناه من ضيافة ينطبق على الكرماء وهم معظم العرب، غير أن هناك من يشذ عن القاعدة فتجد ، من ينصاه الضيف فلا يرحب به ، وغالباً يكون هذا لفقره وقلة حيلته .

واذا استنبح كلبه في الليل تراه يمسك بعنقه لئلا ينبح ؛ وقد يخمد النار فجأة !

قــوم اذا استنبح الأضياف كلبهم

قــالوا لأمهــم بولــي على النــار

وقد استشرت عادة البخل مع الغنى اليوم وصار الناس يعدون ما يجمعون ويطلبون المزيد فكيف يخاطرون باكــرام ضيف يخسرهم العشرات أو المئات من الريالات ؟! وهذا ينطبق على الحاضرة ومن تحضر من البادية ، فقد صاروا ينظرون الى الضيافة على أنها من أثقل الواجبات اذا وجبت ، ومن أسهل ما يتحلل منه الانسان اذا كان هناك مخرج منها .

عادات طريفة

كان بعض قبيلة حرب يأكلون كل الذبيحة الا لسانها ، وذلك في الضيافة والزواجات ونحوه ، فمن العيب عندهم أن يمد أحدهم يده على اللسان ، وكان الجهنيون لا يأكلون العين بنفس الطريقة ، فصدف أن اجتمع حربي وجهني في ضيافة

رجل آخر ، فمد الحربي يده الى عين الذبيحة فنخشها ! فمد الجهني يده الى اللسان فبتره ، فقال الحربي : عنزنا تثغي . أي قطع لسانها • فقال الجهني : تشتكي سقم عينها !

وضاف رجل جهني رجلا من الأشراف بمـر الظهران ، فذبح الشريف للجهني ، وعندما قدمت الذبيحة كان الوقت ليلا والنور ضعيفاً ، فمد أحـد العيارين يـده فنخش عـين الذبيحة • فمد يده الجهني يتفقد الذبيحة هل هي مفقدة أم لا؟ فوجد أن العين غائبة ، فازوأرّ ولـم يتعش ، فكرر المعزب « المضيف » مطالبته ضيفـه بأن يتعشى فرفض بدون ابـداء الأسباب • فقام المضيف فذبح كبشاً وأشرف هو على طبخه حتى قدمه لضيفه فتعشى الضيف ، ولم تكن من عادتهم أن يسألوا الضيف الا تلميحاً وتورية • فقال الشريف لجماعته : العبوا « مبادع » فلما لعبوا قام الشريف فقال :

الليلة المعنـى نشب لِهْ في صـفاهْ

يا اللي تعرفون المعـاني دَوّرُوهْ

أي اننا لا نعلم معنى لامتناع ضفينا عن أكـل الذبيحة الأولى وأكله الثانية •

فقام الجهني فقال :

الليله المعنى نخش لِهْ عينْ شاهْ

اللي نخشْ عين الذبيحهْ نبروهْ(١)!

---

(١) نبروه : اعرفوه أو اخبروا به •

سلام النساء على الرجال

لسعة اقليم الحجاز وتعدد قبائله تعددت العادات ، وما نورده في هذا الكتاب هو الأعم الأشيع ، ولكن ليس الحصر ·

وفي ديار حرب وما جاور مكة والمدينة تأتي المرأة الى الرجل الذي تعرفه وتصافحه، وعند قبائل بني عمرو من حرب وآخرون كانت المرأة « تناكب (١) القريب ·

وعند بعض بني سليم وعتيبة تكتفي بالسلام والكلام · وعند زبيد وبني سالم ومن جاورهم من حرب تصافح وعلى يدها خرقة ككم العباءة أو شرشف ·

أما عند عرب شمال الحجاز فتسلم عليه مواجهة فيخده(٢)!

كل هذا مرتبط بالمناسبات كالعودة من مغيبة أو عيد ·

وعلى العموم فالمرأة في برية الحجاز غير محجبة تماماً ، فبينما نساء حرب وسليم وبعض عتيبة يلبس البراقع ، تجد نساء جنوب الطائف وشمال الحجاز سافرات الى اليوم،ومن هذا يظهر أن هذه عادة ظلت لم يمحها الاسلام · وليس بالامكان الخوض في موضوع اللباس هنا لان القديم اندثر والحديث شائع معروف ، وتفصيل ذلك ـ لاختلافه ـ يحتاج الى كتاب ·

---

(١) المناكب أن تلز خدها الى خده وهي لابسة البرقع ، وقد اندثرت هذهالعادة مع تقدم العلم ·

(٢) أي وهي سافرة ، وجل نساء عرب الشمال سافرات .

فاذا جاء ضيف أو أي زائر قام له كل من في المجلس صغاراً وكباراً ، ومهما كان الزائر سيدا أو عبداً أو طفلا أو شخصاً حقيراً ، واذا لم يقم للشخص ناصي المجلس اعتبر هذه اهانة وطالب من لم يقم بالحق ، وهو أمر يفصل فيه القاضي العرفي .

وجاء مرة رجل كثير المقالب ليس بالمحترم ، فقام له القوم الا رجلا احتقره فلم يقم ، فسلم القادم على جميع القوم ثم استدار وأعطى ذلك الجالس قفاه فقعد عليه! فلما تكلم المقعود عليه قال القاعد : اعذرني ظننتك زهابا[1] ! فلم يقتنع المقعود عليه وطالب بالحق فحكم القاضي العرفي : أن هذي بذي .

ولا يجلس أحدهم وآخر الى ظهره ، ولا يمد رجليه أمامه ، ولا يخافت أحداً في المجلس دون أن يسمع الآخرون . فاذا أراد اثنان كلاماً خاصا قاما من المجلس في برزة « منجوية » . فاذا انتهيا عادا الى المجلس . ولا يكذب الرجل رجلا في المجلس وفي ذلك حق . ولا يسخر منه أو يسفه قوله مهما كان تافهاً . بل يتظاهر بحسن الانصات حتى ينتهي ذاك من كلامه مهما كان كذباً أو هذراً ، غير انهم شديدو النقد للكلام الذي يشك فيه أو الذي لا يفيد .

وقد تمنيت مرتين اني لم أتحدث في مجالسهم ، قلت مرة : ان قوماً من زهران عملوا قرصا من البر حمله مجموعة من

---

(١) ظننتك أثاثاً لأنك لم تقم مثل الرجال .

الرجال حتى وضعوه على جمل • فعلت وجوه القوم ابتسامة[1]!
وقلت مرة : ان حبحبة ظهرت في الغريف من الخرمة فلم يحملها الى ظهر السيارة الا اربعة رجال ! وما كان أهل الوُسَيط يعهدون مثل هذه الامور • وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « خاطبوا الناس بما يفهمون » •

واذا كان الناس على طعام كان من العيب أن يقوم أحدهم قبل قيام الآخرين ، فتراه اذا قنع من الأكل تظاهر به مماشاة لمن حوله أ ووضع يده على طرف الصحن انتظاراً ، فاذا رفع الجميع أيديهم عن الطعام قام أكبر القوم سناً أو مقاما فدعا للمضيف ففز القوم فزة واحدة كأن ايعازاً وجه الى فصيلة عسكرية ، ولا يتخلف على الطعام بعد القوم أحد ، ويعتبر هذا من أشد العيوب •

واذا تحدث أحد في المجلس لا يقاطعه أحد حتى ينهي حديثه ولا يتكلم آخر أثناء حديث غيره •

فاذا انصرف أحدهم من المجلس دعا لصاحب الدار بقوله: دمتوا (دمتم) أو كرمكم الله ، ونحوه •

صب الكيف

الكيف عندهم القهوة والشاي وما شاكلهما ، فاذا أدير في المجالس كان مد أول فنجان على من في اليمين بصرف النظر

(١) وهي حادثة صحيحة وأمر معروف لدى أهل السراة ، ولكنه منكر في الحجاز ، وصدق من قال : خاطبوا الناس بما يفهمون •

عن مقامه ، فيأخذ سياق المشروب الناس قصصاً لا يتعدى أحداً مهما كان صغيراً حتى الأطفال الا أن يأذن الذي عليه الدور ، واذا تعدى أحداً كان في ذلك حق ، فاذا اكتفى أحدهم قال : تمام · أي كفى · ويصب الكيف وهو واقف ، وخاصة القهوة ، فهي عندهم مشرفة أيما تشريف · واذا كان المجلس صغيراً وكان الذي يصب القهوة امرأة لم تقم انما تمد على القوم من مجلسها ، وقد يناول الجالسون بعضهم بعضاً ·

جلوس المرأة في المجلس

المجلس العام عندهم لا تحضره النساء ، ولكن كبيرات السن وصاحبة الدار قد تجلس في المجالس الخاصة التي يعقدها الأقارب أو الحي الصغير ، وتتناول القهوة معهم واذا كانت بضعة الحديث سلتهم بأحاديثها(١) !

أدب الزيارة

ويستحبون للزائر الذي ليس له غرض سوى الزيارة وقضاء الوقت في الأحاديث وتتبع الأخبار أن تكون زيارته في الوقت الملائم الذي يفرغ الناس فيه من أعمالهم ، فاذا زار لا يطيل حتى يمله جليسه « بارك الله فيمن زار وخفف » ·

والا يتردد كثيراً فيصبح مملولا ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

---

(١) هذا منطبق على البادية فقط ·

من كثّر الترداد لا بـد ما يـرى
اما الجفـا والاّ كبار المصايب !

وسألت شيخاً عن تفسير ذلك قال : اما أن يستثقِله الناس ويجلس وهو مجفو ، أو يضطرون الى رفض استقباله وهـي مصيبة واهانة كبرى •

واذا كان الزائر جاء ليحضر وليمة لم يدع لها كان ذلك في نظرهم منقصة وممقتة ، ويقولون في ذلك : من جاء على غير داعي يقعد على غير فراش • ومن جاء على غير داعي مقعده متصاعي ! •

وفي الزواجات يأتي قوم طفيليون لم يدعوا فيسمّونهم « طَرّاحة العصا » أي يأتي أحدهم فيطرح عصـاه فيقعـد ، فيقدمون لهم أردأ ما يقدم من طعام ، فاذا احتج أحدهم وقال : « حنا ضيوف ! » قالوا له : الضيوف في البيوت •

أي الضيف يأتي الناس في بيوتهم وليس في الوليمة •

واذا زار زائر مجلسـاً كـره القـوم أن يتفرقوا حـال حضوره ، حتى لو كان ذلك قصدهم من قبل ، ويرون في ذلك اهانة له أو على الأقل شيئاً سيئاً •

فاذا تفرق المجلس كان من الثقل أن يبقى أحدهم عند صاحب المجلس •

شؤون الموتى

القرية والقبيلة جمعية تعاونية حقيقية ، اذ ليس لها من المرافق ما يقوم ببعض أمورها ، لذا تجدهم يهبون لنجدة رفيقهم متى استلزم الامر ذلك • ومن ذلك الوفاة ، فاذا توفي أحدهم أسرع القوم الى أهله وتركوا كل أعمالهم يقوم بها النساء والصبيان ، فتراهم بين حافر قبر ، وغاسل بدن ، ومحضر كفن،وكثيراً ما يلجؤون الى الغابة يقطعون منها أعواداً يعملونها نعشاً ، فاذا فرغوا من دفنه ، كان ــ خلاف السنة ــ قد أحضر أهل الميت غداء يسمونه « غداء الدفّانة » •

العـزاء والقـراءة

وفي اليوم التالي يبدأ العزاء، ويستمر ثلاثة أيام، وكثيراً ما يحضر كل معزٍ معه ذبيحة لتعمل وليمة للجميع ، فيستمر أهل الميت بين ذبح وسلخ وطبخ طيلة ثلاثة أيام[1] ، ويخسرون في القهوة والشاي ما قد يستدينونه لهذه المناسبة ، وفي المدن يحضرون القراء ليقرؤا القرآنعلى روح الميت ، وتستمر هذه القراءة ليلياً لمدة ثلاث ليال •

واذا ذكر اسم الميت بعد ذلك ــ عند الحاضرة ــ قالوا : الفاتحة • فيقرأ الحاضرون أم الكتاب على روح الميت • فاذا جاء الحول أقاموا حفلة يسمونها « الحولية » يدعى لها الاقارب والأصدقاء فتتذكر مناقب الراحل وتقرأ الفاتحة على روحه •

(١) هذا بالنسبة للقرى والبوادي •

الصدقـات

وسواء أوصى الميت بصدقـة أم لم يوص فانـك تجدهم يذبحون الذبائح في رمضان صدقة عن آبائهم أو أمهاتهم ، وقد يفضلون الجمعة من رمضان وخاصة آخر جمعة ، ويسمونها « اليـَتيـِّمة » تصغير يتيمة · وتجعل هذه الذبائح وليمة يدعى اليها الجيران ويتعهد من غاب من الاطفال والنساء بغرفة ترسل اليـه ·

فاذا فرغوا من الآكل قالوا : عسى موتاكم في الجنة ، أو تقبل الله حسناتكم ·

حسن الجوار

اكرام الجار عند العرب صنو اكرام الضيف، والحجازيون لهم تقاليد خاصة في الجوار ·

فاذا جاورهم ضيف كان أول عمل يعملونه زيـارة ذلك الجار ، والزيارة غالباً تكون بذبيحة يسمونها « قهوة الجار » معها عـِلـْفـُها وبنها وما يتبع واذا قادوها اليه كفوه عن ردها ، فاذا لم يكفوه كان عليه واجباً رد مثلها بعد حين · والكف أن تحلف أو تصوّم أو تطلـّق من أهلك بعدم رد قهوتك هذه · ومن لا يستطيع الذبيحة يزور جاره بقهوة « بن » المهم عندهم أن تصل جارك وترحب به كما ترحب بضيفك ·

منــع الجــار

واذا كان الجار أجنبياً كان عليك منعـه وحمـايته بـل ومساعدته حتى يرحل من عندك ، واذا اعتدى عليه أحد في مكان بعيد أو أراد أن يظلمه شيئا قال : أنا جار فلان ٠ فاذا لم يمتنع عنه ذلك الظالم أو المعتدي وجب على جاره أخذ حقه بأية طريقة تضمنه ، فاذا لم يفعل الجار كان عـاراً وشناراً يوصم به وقد يبلغ بمن حوله الى عدم مصاهرته ٠

تعففهم عن الجارة

عادة حميدة من عادات العرب الأقدمين ، وجاء الاسلام فثبتها وشدد فيها ، قال هلال بن خثعم :

وانـي لعف عـن زيـارة جارتي
وانـي لمشـنوء الى اغتيـابهـا
اذا غاب عنها بعلها لم أكن لها
زؤوراً ولـم تأنس الى كلابها
وما أنـا بالداري أحاديث بيتهـا
ولا عالـم في أي حـوك ثيـابها(١)

(١) البخلاء ص ١٧٣ ٠ ط ١ ، دار القلم ٠

وما أقرب الشبه بين هذا القول وبين قول شاعرهم اليوم:

يـا خايب أنـا ما تعطرت بأرواح
يكـود بهار الهيل والزعفران
وقطيرتي ما اكثر عليها الترداد[1]
وان غاب واليهـا عليها الأمانِ

وقالوا في قصـة هذين البيتين ان رجلين تجـاورا فكان أحدهما كريماً يذبح للضيوف ، فكان كلما ذبح لضيف أرسل لجارته لحمة « حصة » فكانت تأكل اللحم وتضع العظم في وعاء عندها ، وفي أحد الأيام أراد زوجها مفارقة جاره فرأى من زوجته تمنّع ورغبة في البقاء بجوار هـذا الكريم ، فاتهمها زوجها بالجار ،فأخرجت ذلك الوعاء ونثرت العظام أمامه قائلة: هذا وفاء جاري هذه هي العلاقة التي بيني وبينه ، ليست علاقة سوء ولكنها حب الناس للكريم ٠

وسمع جاره بالقصة فقال البيتين الآنفة ٠

كل يغني كليب أبيه

واذا اشتهى البدو اللحم في الربيع نادى مناديهم « كـل يغني كليب أبوه » ! ومعنى ذلك أنه كل يذبح لعياله من غنمه ٠ فاذا كان هناك فقير لا يستطيع أرسلوا اليه مما يذبحون ٠

---

(١) القطيرة : الجارة ٠

أما أهل القرى فيتداعون الى « شركة » وهي ذبيحة يشترونها مشاركة وتقسم على قدر دفع كل منهم : ربع ، وثمن ، ونصف الثمن . الخ .

لا يتضاربون على الماء

والحجازيون — بخلاف بقية أهل الجزيرة — ليست من عادتهم التخاصم على الماء ويرون في ذلك عيباً ، ويقولون : « يا باخل بالماء بَيْشْ تجود »(١) ولعل هذا عائد الى عاملين : الأول — أن أرضهم كثيرة المياه قريبة قعر البئار ، وكثير منها غدران وأنهار ثجاجة كالعيون والينابيع .

والثاني : ان الاسلام هذبهم بما لم يهذب به غيرهم لوقوعهم في جوار المسجدين العظيمين وسماعهم للعلماء . لذا تجدهم يتبعون كل عمل خير كلمة تدل على تأثرهم الروحي . كقولهم : الدنيا رائحة واللي عليها رائح . ويقولون في الماء : أسق من الماء لو رجلك فيه .

عادات الزواج

تختلف عادات الزواج في الحجاز بين الحاضرة والبادية ، فعند الحاضرة تبدأ بأن تذهب أخت الخطيب أو أمه أو الخاطبة المحترفة لترى الفتاة ثم تنقل ما رأته الى الخطيب .

---

(١) بيش : بأي شيء .

ثم تبدأ الخطبة الرسمية أي يذهب والده أو من ينوب عنه فيخطب الفتاة من ولي أمرها ، ثم يتفق على المهر ، فيذهب أهل العريس فيعينون منزل العروس ثم يعطون أهل العروس مفاتيحه ، وعلى أهل العروس تأثيث المنزل ، وكثيراً ما يكلفهم أكثر من مهر ابنتهم . ويعقد الملاك عند مأذون مصرح له ، قبـل موعـد الزواج أو قبـل دفع المهر . وفي ليلة الزواج « تشرّع » الفتاة ، ويسمونها « نَصّة » فتلبس أحسن لباس ثم توضع في غرفة يحيط بها النساء المدعوات ، فيجاء بالعريس فيجلس أمامها فيقرأ الفاتحة تيمناً وتبركا ، ثم يجعل لها شيئا يسمونه « اللّصْقَة » وقد يجعله جنيه ذهب يلصقه في جبهتها أو فوق جبينها !

غير أن العريس يتعرض لمحنة كبيرة في هذه الأثناء ، وهو أن النساء الموجودات مع العروس يأخـذن في وخز العريس بابر يحضرنها معهن ليشغلنه عما هـو بشأنه ، وهي عـادة لا يقصد منها العداوة ، انما يقصد بها التفكه واختبار جلد العريس ! ولذا فهو يلجأ الى احضار نقود في جيوبه فاذا دخل نثرها في أنحاء الغرفة ، فاذا تدافع النساء عليها ، اغتنم هو الفرصة لينهي أعماله قبل فراغهن من جمع الغنائم ! غير أن العهد هذا صار جل الناس فيه أثرياء فلم تعد جلجلة النقود تستهوي النساء ، ولكن لحسن حظ الشباب ان عادة وخز الابر أخذت تندثر .

فاذا فـرغ الناس من المدعوين والقيام بواجباتهم أخذ العريس في « زَفّـة » مع قـرع الطبول والزغاريد الى بيت العريس .

غير أن التقاليد تغيرت اليوم ، فالعريس أصبح ـ عند معظم الأسر ـ له الحق في رؤية عروسه قبل الخطبة ، بل صار بعض الشباب ينهي معظم الاتفاقية قبل اشعار أهله • وصارت الزفة تتأخر الى الفجر ، وصارت بالعود والمعازف الموسيقية بدلا من الطبول •

أما المدعوون فتأتيهم بطاقات مكتوب فيها اسم العريس والعروس وموعد ومكان العرس . وعلى كل مدعو أن يحضر معه رفداً على قدر الحال • فاذا حضر فلا تكليف في المؤنة كالبادية انما يتعشى كل اثنين أو ثلاثة في صحن صغير عليه شيء من اللحم والأرز، وقد تقدم له بعض الحلويات والفاكهة، ولكن لا اشتراط في ذلك • أما في البادية فالخطبة أقل تعقيداً من المدن ، فالرجل يعرف روجته التي غالبا ما تكون من الحي أو القرية ، وهو يعرفها من صغرها . ولا تبعد مراسيم الخطبة عن الحاضرة غير انها أقل مؤنة ، غير أن التعقيد يبدأ عندهم في الدعوة والحفل •

فيبدأ الزواج بعقد اجتماع لقبيلة المتزوج تقسم فيه الواجبات عليهم: هذا يأتي بالحطب، وذاك عليه جلب الماء، وآخر عليه ذبح الذبائح، والطبخ، وتعليم القود الى ما هنالك من واجبات محددة ، لأن أي نقص عندهم في شيء من ذلك يعتبر منقوداً وعيباً •

ثم يرسل الداعي ، وعيب أن يترك فرد من دعوية القبيلة(١) والذي لم يجده الداعي ينقر له نقراً في عمود خدر ، واذا كان قروياً ينقر له في سارية العشة أو باب المنزل ، فاذا

---

(١) الدعوية : من جرت العادة بدعوتهم •

جاء قالت له عرسه : هذا نقر فلان داعي بني فلان على عرس فلان في يوم كذا وكذا • ولحرصهم يقولون لك : ليلة عشرين والربوع • أي مساء عشرين من الشهر موافق يوم الأربعاء ، خوفاً أن يغلط أحد في الحساب •

القَــوَد

فاذا تبلغ كل المدعوين كـــان من السائر أن يجتمع كـــل مجموعة أو أسرة فيشتركوا في خَـيَـال(١) يقودونه الى العريس، هذا الخيال يسمى « القَـوَد »ومن غريب أمرهم أن أهل العرس يذبحون هذه الذبيحـــة ويطبخونها ويضعون معهـــا الرز ثـــم يقدمونها مفقـّدةمنقدة(٢) الى أصحابها ، ويقوم كبيرهم بتقطيع نصف اللحم فيأكله المدعوون ويعاد النصف الآخـــر الى أهل العرس ، ويجب على أهل العرس أن يحافظوا على تلك الذبيحة فيقدمونها عينها ، واذا حدث أن بدلت فهـــو منقود وعيب ، ولذا ترى من مهمة بعض أهـــل العرس التعـــرف على ذبائـــح المدعوين والمحافظة عليها •

وبدلت ذبيحة أناس فقال شاعرهم يهجو أهل العرس :

تدبـــروا في قودنا ثم حـــاشوها مـــع الضـــانْ

هذا السلفْ (٣) يا (عنيت الله) من اين مفيـّنينه(٤) ؟

---

(١) الخيال : أحد الغنم من أي نوع

(٢) أي لا ينقص منها شيء ، وليست هذه العادة عند كل بادية الحجاز ، بل عاداتهم في هذا الصدد متعددة •

(٣) السلف : العادة •

(٤) من القائن ، وقد تقدم •

لعلهـا يـوم تسرحْ في صدفها الذيب سرحانْ
ولا انـكم لا جميــل ولا حويشْ محوشينه

والعرس عندهم يسمى : زواجاً ، ويبدلون الزاي جيما والجيم زاياً (جواز) ، ومقام ، وزِينة ، وفَرَح ، كل هذه الكلمات تعني العرس ، وقد يطلقون كلمة فرح على الختان ، الذي كثيراً ما تكون له نفس مراسيم العرس .

المـرزوز

وقبل العرس بيوم يحضرون بيت شعر فينصبونه متطرفاً عن الحي ، هذا البيت يسمى المرزوز ، وعلى عموم المدعوين أن ينصبوه أولا ثم يوزعون على بقية البيوت اذا كانوا في قرية ، أما البادية فتفرش لجميع المدعوين أمام البيت .

الرايـة

وكي يميز هذا المرزوز عن غيره من بيوت الحي توضع فوقه خرقة حمراء يسمونها الراية ، ولعل لونها موروث من عهد الأشراف ، حيث كان علمهم أحمر ، وهذه الراية يضعها بعض الناس على بيوتهم يوم الجمعة تبركا ، ولعل هذا أيضاً مأخوذاً من رفع أعلام الدولة يوم الجمعة في بعض المؤسسات .

النثــرة

ويأتي النساء بخبز من البر أو الدخن مفتوت بالسمن والسكر ـ أحياناً ـ فينثرنه على ظهر البيت المرزوز فيتسابق الأطفال الى التهام تلك الفتات ، ولا أعلم لهذا تعليلا ، غير أنه من الممكن أن يكون تيمنا بأنتكون حياة العروسين سمناً وحلا ·

التقويـم

فاذا قدم العشاء على المدعوين يسير كل حامل ذبيحة وهو ينادي : فلان وخوياه · فيجيب كبير القوم ، فاذا عرف مكانه وضع الصحن بين يديه قائلا : مرحبا بكم · فيبدأ الضيوف في الأكل فاذا فرغوا لا يقوم أحد منهم أبداً فهذا عيب ، بل تراهم ينظرون الى بعضهم فاذا وجدوا أن الجميع انتهوا من الطعام طلبوا من أكبرهم سناً أو زعامة قائلين : « قومنا يا فلان » فيقول هذا : عسى فالكم الولد ، أو الذرية الصالحة ، أو قام حظك يا راع المقام ، ثم يتابع الآخرون بكلمات دعاء كقولهم : أنعم الله عليك أو الخلف ، أو اوجدكم الله من وجده ، الى ما هنالك من تعابير طيبة ·

اللعب واجب !

وبعد الفراغ من كل ذلك كان واجبا على المدعوين أن يرزوا ملعبة تفريحا لأهل العرس ، واذا لم يفعلوا قالوا :

هبّوا بمعزبهم . أي كتموه[1] ولم يفرحوه ويشرحوا صدره . فاذا قامت الملعبة يبدأ عادة الكلام بقولهم : عسى فالكم زين يا هل المز ين[2] .

الطبن والمساواة بين الأزواج

وكثيراً ما يكون هذا العريس يتزوج للمرة الثانية ، فاذا كان كذلك أقام عند العروس سبعة أيام كما شرع في الاسلام — للبكر سبعة أيام وللثيب ثلاثة أيام — ثم يبدأ في العدل بين زوجتيه أوأزواجه ، ومعظم الحجازيات — في البادية — قليلات الطبن أي لا يغضبن علناً من زواج الزوج ، وخاصة عند حرب وعتيبة بعكس سبيع والبقوم ومن جاورهم حيث ترفض المرأة — أحيانا — المطابن وتطلب الطلاق .

والعدل عندهم في « الكيلة والليلة » أي يطعم كل منهما كالأخرى ويبيت عند كل واحدة ليلة .

نادرة

قال أحدهم: سقطت الأمطار على أرض لي غبر بعيدة عنا، فذهبت فزرعتها ، وأشغلني الزرع شهراً لم أعد الى أهلي ، فعدت وكان لي زوجتين فاتفقتا قائلتين :

---

(1) كتموه : كما تقول العامة كسحوه ، أي صدموه من فرح الى غم .
قال شاعرهم : لا حاز لي البشير ولا انكتم خطي عليه .

(2) المزين : الزينة أي العرس . وانظر القصيد في أول الكتاب .

فلان على صوت المنادي منا ! ويبقى في البلاد شهراً ، نقسم ألا تدعه واحدة منا يقربها هذه الليلة ! قال : وبعد العشاء أردت الدخول الى احداهن فاذا هي ترفض بشدة،فعدت الى الأخرى فاذا نفس العمل ، فعلمت أنه اتفاق ! فذهبت الى حيث الماء فجعلت أغتسل ! فاذا كل واحدة تسب الأخرى وتنعتها بالخيانة ! فعدت الى أقربهن وقد رحبت بي ! •

حذار من النسيان

وصاحب الزوجتين يجب الا ينسى دورهما ، فاذا نسي وكانت المنسية قوية الشكيمة فقد تحدث كارثة في البيت ، وهذا رجل نسي فذهب الى الأخرى وما شعر الا والتي عليها الدور تنتزعه بيده من على فراش طبينتها وهي تقول له : قم عساك القمة ! هذه ليلتي ، فحنق الرجل فطلقها • وقد رويت من هذه الطرائف في كتاب « طرائف وأمثال » ما يغني عن التوسع في ايرادها هنا •

قد تخطب المرأة الرجل

من الطبيعي والمألوف أن يكون الرجل خاطباً والمرأة مخطوبة ، ولكن كما يقولون : لكل قاعدة شواذ ، والحاجة أم الفنون •

وقد تفكر المرأة فيمن لا يفكر فيها ، أو تعجب بمن ليس بها معجباً •

وهذه فتاة تعرفت على آخر فأرسلت له هذين البيتين :

شب حـالي عقب عرفك يا « شبيب »

لا رشـا حـالي ولا ذقت الحيـاه°[1]

واقفه° في الرجم واقنب لي قنيب[2]

هقوتي اني عقبكم صبت الهيـام[3]

وقـد تقدم معنا في « الحب العذري » تلك الفتاة التـي قالت : جاك الهوى مني عشاقه° من الرأس • والتي تقـول : يا مرسلي قل له تقول لك فلانه •

وفي الطائف عرفت امرأة تجاوزت عقدهـا الرابـع أو الخامس ذات بقايا من جمال تعرفت على شاب وسيم ولكنـه كسول ، فاستحوذت عليه حتى تزوجته ، فكان يغاضبها أحياناً دلا ودلعاً منه ! فترسل أحد ازواج بناتها يرضيه بما يكون ، وكان آخر اشتراطاته سيارة ، وفعلا اشترت له السيارة تشبثاً به ورضا للحبيب •

رمحة العزبة

اعتقاد غير جائز البتة ، ذلك أن أهـل المرأة الثيب اذا تزوجت ثانية يظنون أن أمراً سيئاً يعقب مغادرتها إياهم ،

---

(١) رشا الحال : تقدمت الصحة •

(٢) القنيب : عواء الذئب •

(٣) اظن أني بعدكم اصبت بالهيام •

كموت أحد أطفالهم ونحو ذلك،ولذا فانهم يتفادون ذلك بذبح دبيحة ليلة خروجها وهي بزعمهم ــ الخاطىء ــ تدرأ رمحه العزبة(١) وقد عرفت أناساً جاءهم خاطب لثيب وكانت هـي موافقة غير أنهم رفضوا فسألت عن السبب فقالت المسكينة : « خايفين من رمحتي ! » يا لقلوب البشر ! أفي هذا العهد عهد العلم والنور تكون لدينا مثـل هـذه الخرافات والمعتقدات الوثنيـة ، وعلى حساب من ؟ على حساب اللاتي لا يملكن من أمرهن شيئاً ، ان لهذه المنكوبة كل الحق بان تضرب بالتقاليد في أم الرغام وتذهب الى القاضي ليعقد زواجها ولتعقبها على تلك الأسرة سهام الموت ، ولا عيب أبداً في هذا ، بل فيه الشرف والعفاف والنسل والرزق الحلال ٠

الطـلاق

قال الله تعالى : «الطلاق مرتان،فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » ٠

ولكن الى عهد قريب كان الطلاق حتى بالاشارة !

حكى لي أحدهم قـال : غضبت على زوجتـي فقلت لها : روحي لأهلك ٠ وذهبت وبعد مدة قلت لأرحامي : ردوا الي زوجتي ٠ قالوا : أنت طلقت ٠ فوصلنا الامير الذي كان من نفس القبيلة ففرض علي يميناً انني ما كنت أقصد الطلاق

---

(١) أي أن ما يعقبها من أمر كأنه رمحة منها برجلها الى الخلف ، والعزبة : الثيب بلا زوج ٠

بقولي : روحي لأهلك • فقلت له : لا أستطيع ذلك ، وأنا كنت غضبان • قال : فهي اذاً طالق • وما كانت بوادي الحجاز وقراه تعرف المراجعة ، ولا زالوا يكرهونها لتشددهم الديني •

البَـدوَة

واذا تزوجت احداهن فغادرت بيت أهلها ومضى عليها وقت ، كان عليها أن تزور أهلها وكان على بعلها واجباً هذه الزيارة •

هذه الزيارة يسمونها « بدوة » والزائرة بَدَّاية ، فاذا كان المزار بعيداً جاءت البداية على جمل ـ قبل شيوع السيارات ـ راكبة ، وزوجها يقود خيالا بجانبها كضيافة لهم عند أهل العروس ، وتقضي العادة هنا أن يكف(١) الزوج معازيبه(٢) والا كان عليهم أن يذبحوا لضيوفهم ذبيحة من عندهم ويؤجلوا ذبيحة البدوة الى القابل •

أما اذا كان المزار قريباً فتأتي البدّاية ماشية ، وفي كلتا الحالتين ترخرخ في سيرها اذا رأت الحي قصداً منها أن يرى كل من حولها أنها بدت على أهلها ! ويضربون المثل بمشيتها في البطء فيقولون : مشية بدّاية •

---

(١) يحلف عليهم •

(٢) مضيفيه •

العقائق

واذا ولد مولود كان ـ تبعاً للسنة المحمدية ـ أن يعق له والده ، فاذا كان ذكراً ذبح عنـه ذبيحتين ، وان كان أنثـى فواحدة ، ولا دعوة عادة على العقيقة ٠

الختـان

ينقسم أهل الحجاز في الختان الى طريقتين ، فأهل مكة وما شاملها يختنون الصبي مبكراً قبل أربعين يوماً بعد ولادته واذا تأخر ذلك فقبل السنة ٠

أما جنوب مكة فالى عهد ليس بالبعيد كـانوا لا يختنون الصبي حتى يبلغ الحلم وقد يبلغ العشرين من عمره ، فاذا جاء وقت الختان جعل لذلك حفل كبير فيجاء بالشاب ويقوم الخاتن بسلخ الجلد من تحت السرة بقليل وكل ما على قصبة العضو . كل ذلك والشاب واقف جلد صابر ينشد ويعتزي ! فاذا اختل أو خاف كان « عَـيْـفَـة » عند البنات، وهذا بعكس مكة وشمالها حيث يقتصر الختان على القلفة التي على رأس العضو المذكر .

وفي كلتا الحالتين قد تقام حفلة للختان ويدعى المدعوون وتتبع ـ تقريباً ـ نفس مراسيم حفلات الزواج ، من حيث الدعوة والقود والرمي واللعب ٠

الرضوة

واذا حدث ان رجلا ضرب امرأته ـ وما أكثر ما يحدث ـ هربت الى أهلها فاتنة[1] . وهنا تختلف التصرفات باختلاف اساليب التربية : فهناك من يرد الفاتنة في الحال دون أن يطالب بها زوجها ، ومنهم من يشاغب ويطالب بعدم العودة الى مثل هذا رغم أنه قد عمله هو في بنات الناس ، وفي معظم الأحوال تنتهي المسألة بأن يقدم الزوج لزوجته شيئاً كقطعة زل أو قطعة مصاغ ، ونحوه ، ويسمون هذا « رضوة » أما اذا لم ترض المرأة بشيء مما تقدم وطالبت بالطلاق أو شروط أخرى فتبقى عند أهلها « طموح » الى ما شاء الله . وقد كانوا يأنفون ان تتدخل المحاكم في أمور نسائهم ، أما اليوم فان الرجل قد يلجأ الى المحكمة طالباً تنشيز امرأته الطامح .

الاختتان باليد !

حدثني شخص من الأشراف ذوي حسن من فخذ المهادية يقال له : المهداوي فقال : ختنني والدي ختان السنة ، أي قطع القلفة عن الذكر فقط ، فلما كبرت أولعت بفتاة من قومنا ، وكنا نرعى معاً ، فلما فاتحتها بحبي لها قالت : أنا اتزوجك وأنت مرغل ؟ ! قال : فقلت لها : أنا ماني مرغل ، بل

---

[1] من الفتنة : غضبانة طامحة .

مختون ختان السنة . قالت : لا ، حتـى تختتن كمـا يختتن الشباب من قومك .

قال : فرجوت والدي مراراً أن يختنني كأقراني فرفض ، وذات يـوم سرحت فجنبت عن تلك الفتـاة بعيداً وأحضرت خيطاً وسكينا حادة ، وغرزت وتداً في الأرض وسلخت جزءاً من الجلد وربطتـه بالخيط في ذلك الوتد ، وصرت أشـد نفسي وأكمل السلخ حتـى أنهيت العمليـة ! وفقدتنـي صاحبتي فأخذت تبحث عني ، فلما عثرت علي كانت الدماء تسيل على الأرض ، فأخذت تغطرف احتفالا بختاني ! وذهبت الى الحي تخبرهم ، فما بقي رجل ولا امرأة الا ونظر ذلك العمل واثنى علي وعلى شجاعتي !

★ ★ ★

الغناء والألعاب

تحدثنا في باب الشعر عن نوع من غناء البادية كالقصيد ، والمبادع ، والزومال • ولكن المقصود هنا هو ذلك الغناء وتلك الألعاب التي يصاحبها نقر الدفوف والمزامير وآلات الطرب ، وهو نوع يترفع عنه سكان الصحراء من البادية ، ويطرب له سكان المدن والقرى •

ومرت فترة على الحجاز منعت هذه الأنواع من الطرب ، غير أن الحكومة السعودية عادت فسمحت بها خاصة في الأعياد والمناسبات ، والدفوف والمزامير آلة للطرب قديمة ، روي أن فتاة زفّت في عهد رسول الله صلى عليه وسلم ، فقال : « هلا بعثتم معها من يغني لها ؟ » قالوا : بم نغني يا رسول الله ؟ قال : « تغنون فتقولون » :

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم(١)

ولولا الذهب الأحمر   ما حلّت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء   لم تسمن عذاريكم(٢)

---

(١) عدم الجزم ضرورة شعرية •

(٢) أنا لست متأكداً من صحة نسب هذا الشعر اليه صلى الله عليه وسلم ، واذا صح فعدم جودته تشهد بأنه صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر •

وقيل : ان أبا بكر « رض » انتهر ابنته عائشة عندما رأى جاريتين تغنيان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ·

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا) وعندما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة ، خرج اليه الأنصار بنسائهم وأطفالهم ، وكانت بنات الأنصار ينشدن :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرّفت المدينة	مرحباً يا خير داع

ومن الألعاب الشعبية في الحجاز

١ ــ لعبة الزير : ويبدو لي انها عريقة ، جاء في كتاب الأوراق : « وغنى مطرب القوم على المثلث والزير » ·

واللعبة اليوم تتكون من ثلاث آلات : الزير ، وهو الآلة الرئيسية وهو عبارة عن جسم نحاسي مفتوح الجهتين يشبه الى حد كبير طبلة الجيش ، تجلد احدى فوهتيه بجلد سميك ــ غالبا يكون جلد ثور ــ يشد عليها شداً محكماً وهو لين ، ثم يترك ليجف ، فاذا جف اتخذوا له منقارين يضرب بهما على التعاقب بايقاعات مخصوصة ، ولا يزين ايقاعه حتى يصلى على نار تشب بالملعب لهذا الغرض ، فاذا صلي ونقر

عليه الحاذق سمع على مسافة أربعين كيلا ، وقد سمعته أنا من خليص وأنا في عسفان(٣٠) كيلا ٠

والآلة الثانية ــ الطار : وهو دف مكون من اطار دائري مجلد عليه جلد أخف سمكاً من جــلد الزير ، ويضرب عليــه بروؤس الأصابع ، نقراً خاصاً يتناسب مع ايقاع (كبيره) الــزير ٠

ثم تأتي « النَّوْبة » وهي دف صغير يشبه تكوينه تكوين الطار ، غير أنه أصغر ويختلف صوت الاثنين عن بعضهما ، فحين يكون صوت الطار كبيراً مرعداً يكون صوت النوبة يصوي صوياًلطيفا متناسقا معسابقيه،مما يجعل التأثير يبلغمنتهاه،فلا يبقى حاضر لا يطرب ، فان لم يجد اللعب ظل يتمايل في مقعده أو فاغراً فاه مشدوهاً تهتز أعصابه باهتزاز تلك الدفوف ! ٠

صفة اللعب

يجتمع القوم في صفين متقابلين ــ مثل القصيد ــ ثم يبدأ ضاربو الدفوف في الايقاع ، فيبدأ الغناء بألحــان تقليدية تمهيدية ، مثل قولهم : يا ليحيومهْ[١] ييحا يوماه[١] واحلَّيْهْ ٠ واللعب نوعان : صفا ، وزيد ٠

فاذا كان « صفا » قد يبدأ ب صفا ، نبغــي الصفا يــا صفاوية ٠

في صوت تظاهري لحني ، ويسمى أيضاً تقاطيف ، وهو

---

١) ياليحيومه ييحايومه : بامالة الياء الاولى في كلتا الكلمتين ٠

شائع في نواحي رابغ وجدة ٠ واذا كان « زيد » قد يبدأ ب ييحي(١) زيد يا زيد، وهو شائع في وادي الصفراء والمدينة ٠ ثم يبدأ شاعر الزير ــ الذي غالباً ما يكون جالسا وراء صف قومه لينظم لهم الشعر ــ في نظم شعر بسيط سهل يشبه المبادع في خصائصه والقائه غير أنه أبسط ٠ مثل :

يا ليحا يوماه يا ليحاني فيصلْ سليمانْ
سائق عليك الله فك المحابيسْ

أو :

يا ليحا يوماه يا ليحاني هذا ما جرى لي
يا ليتنا ما تناحينا(٢)

فاذا استمر اللعب وصَفا أو َعمَر ــ كما يقولون ــ وجاءت زمرة لشهوده ، دخلوا الملعب اثنين اثنين ثم جالا فيه على شكل استعراض ينبىء بحضور « لَعَيِّبَة »(٣) جدد ، فاذا انتهوا من استعراضهم دخلوا أحد الصفوف فقال كبيرهم :

سالامْ ، يَحيِيْي سالام(٤)

وخلال اللعب يشتغل الصف الذي ليس عليه دور الغناء بالصفق والردح المتناسق مع ضرب الدفوف ، ويخرج الشبان يحيّسُون وسط الملعبة ، فاذا فرغ من حيسه خفق الى الأرض

(١) با ماله الياء ٠
(٢) ما هجرنا ديارنا ٠
(٣) لاعبين ٠
(٤) سلام ٠

ثم قفز الى أعلى فقفز كل الصف معه ، وصفق وصفق الصف معه ، وتكون الصفقة من الجميع ، معاً مع ايقاع الزير ، فاذا حدث أن جاءت صفقة أحدهم مفردة دلت على جهله بهذه اللعبة، ولذا تجد الصغار يعقدون الملاعب في العصاري وفي ظلال النخيل للتدرب على هذا اللعب ٠

والحيس : أن يدور اللاعب حول نفسه في مكان واحد بسرعة لا يستطيعها الا من له مران به ، ويجعلون لذلك ثوباً مخصوصا يسمونه « الحوَيسِي » واسع من أسفله ، فاذا حاس اللاعب انتشر ذلك الثوب حتى يصير كالمروحة الكهربائية تماماً ٠

وهذا اللعب بما وصفناه سابقاً يكاد يكون موقوفا على وسط الحجاز ، أي من جدة جنوباً الى المدينة وينبع شمالا ٠

وتلعب هذيل وثقيف ومن جاورها بطبول صغيرة مفردة مع كل صف من صفي اللعب ٠ ومن أهل الساحل من يلعب الخبيتي ، وهو يتبع ٠

* * *

الخبيتي

لون من الأغاني الشعبية التي تعرف في « الخبت »(١) ذلك السهل الممتد بين جـدة وينبع بمحاذاة البحر والسروات ، ومنها انطلق الى القرى في المنطقة ، وله تأثير بالغ في النفس حين يؤدى سواء غناه فرد أو جماعات ، نساء أو رجال ، وهو ضرب من ألوان الزار(٢) ، وهو كذلك من الأغاني الوجدانية، التي تمتاز كلماتها بالرشاقة والسلاسة وله الحان عديدة منها ما يعرف بنهاياتـه مثـــل : « سَرِّبُوا قَضِيم الهَيْـل »(٣) و « حبيبي الناحي » و « اللي سرى رُدُّوه » ، ونحو ذلك ٠

ومنها ما ليس له نهاية يعرف بها ٠ وأما أدوات الطرب التي تصاحب المغنين فهي : السمسمية ، والناي ، والبُوص ، مفرداً أو مقروناً(٤) ، والطبول ، والدفوف ويؤدى بدونها ٠

ومن كلماته وألحانه :

---

(١) الخبت : يطلق على كل سهل واسع ٠

(٢) الزار : لعب مخصوص كما سيأتي وليس الخبيتي بالضرورة زاراً الا اذا قصد به ذلك ٠

(٣) قضيم الهيل : زيادة في تبجيل المحبوب أي يقضم الهيل ليعطر أنفاسه ٠

(٤) المقرون : قصبتان تقرنان فيعزف بهما ٠

أشـوف يا هاشـم على المـاء ورودي

ودّي أروّح يمهـم وش يكونون(1)

و :

يا اخـوي يا أحمـدْ وش بلاني بحبـكْ

تعبتْ عظامي ، كل مرقابْ أنا أبديهْ(1)

نماذج غنائه :

١ ـ يالاله يالالاله   ياليتنا واياكْ نرجع كما كان

حبيبي الناحي

يالاله يالالاله   نرعى الغنم في شويحطه والصعانين(!)

حبيبي الناحي

ومنهـا :

يالاله يا جادلٍ مرباه خشم الكنيتيل

يالاله وليا تشامل ما تعـدى كلّيهْ

ومن ألحان الخبيتي « أبو سليمان العسيري » ولحنه :

يا بـو سليمان العسيري   خليت رجلـي ما تسيري

وتسير وتعوّد عليّهْ

---

(١) البيتان لا يكونان من الخبيتي حتى يطوعا باللحن ، وفي هذه الحالة يسبقهما « يالاله » كما في ما بعدهما .

فاذا جعل هذا « عاجاً » أي نهاية المقاطع الغنائية . فهو من أعذب الألحان يظهر فيه التأثر والانسجام الى درجة «الزار» أي الانجذاب والغيبوبة بالنسبة للراقص . والرقصات التي تؤدى بمصاحبة ألحان الخبيتي تلك الرقصات الهادئة ، التي تواكب اللحن وضرب الطبول[1] .

ولألحان الخبيتي وقع عجيب اذا أداه المجيدون، ولا يعرف هذا الوقع الا من سمعه ، ومن أغرب ما روي لنا أن شيخاً كان في المجلس مع الرجال فقرعت الطبول وأخذ النساء يغنين :

لالَه ْ يـا خيزانــة في الهــوا ميلوكـي

لاله وان ميلوكي مالت الروح مَعْكِ

ولالهو زِمامْ سِيدِ يِطاحْ في جَمّة البيرْ

لاله وجنيــهْ أبو خيّال للّي يجيبسهْ

فما شعر من في المجلس الا وذلك الشيخ الوقور يهتز اهتزاز خصلة الشفا ! ثم يندفع الى مكان اللعب فيجعل بين صفي النساء يتمايل ويرقص ! ولعلم أولئك النسوة أنه ما أحضره الا الانجذاب وأنه غير شاعر بنفسه في تلك اللحظة لم يقطعن اللحن ولا الضرب حتى وقع الشيخ مغمى عليه من شدة ما رقص ، وهي عادة المزور في عرفهم ، فاذا قطع عنه اللحن والغناء يظل مريضاً زمنا ، ولا شك أن هذا تأثير في الأعصاب

---

(١) كل ما تقدم من مخطوطة تكرم الاستاذ عبد الرحيم الأحمدي بها ، وقد تصرفت في بعض نصوصها لتلائم منهج الكتاب . والواقع أن رقصات الخبيتي صاخبة كرقصات الزير وغيرها .

تحدثه روعة اللحن والعزف وصخب الموسيقى . فلما علم ذلك الشيخ فيما بعد خجل وندم !

وهذه الألوان هي ما يسميه البعض « الفلكلور الشعبي » وهي كلمة اجنبية تعني الالحان الشعبية الموروثة الموغلة في القدم « التراث الشعبي » .

ومن الخُبَيتي

مَسْيكِينْ يا حَيٍّ حلالهْ وردْ عسفان[1]

وَصدَّرْ مع أم الرَّيْنْ يبغَى الكنانيَّه

سقَى اللهْ سقى اللهْ من سقاني وأنا ظميانْ

وعلّقْ لِي البدرهْ على الدرب ماريّهْ

ومن ألحان الخبيتي في جنوب مكة :

هاضني بين عَمْر وبين شق الضلوعْ

في طرف برقها من يم مَلْكانِية[2]

ديرةٍ يا عُبيد اللهْ خلاها يروع

ما شربْ رَوْدها لو كان ظميانيَه

(١) مسيكين : كلمة تحسر وحنين .

(٢) جميع هذه المواضع وضحت في « معجم معالم الحجاز » .

المجرور الطائفي

غنـاء كثيراً ما نسمعه من معلمـي البنـاء ، ويسمع في السمرات الليلية ، وهو يكاد يكون وقفا على أهل الطائف ، فاذا وجد عند غيرهم فانه عنهم أخذ ، وليس في حافظتي شيء منه ، وفي ليلة ٢٤ رمضان سنـة ١٣٩٥ « كنت في زيـارة للأديب والمؤرخ الفاضل الشيخ محمد سعيـد حسن كمال فأبديت له رغبتي في شيء عن المجرور الطائفي ، فقال هم كثيرون الذين يمكن أن نأخذ عنهم هنا ، وعدد اشخاصاً • وفي هذا الاثناء دخل علينا شاب بدري الطلعة تعرف في ملامحه النبل والوقار هو الأخ الشريف محمد بن منصور الزيدي ، من ذوي زيد • أسرة من الاشراف • وهنا قال الشيخ • الكمال : هذا الشريف محمد يكتب لنا عن المجرور الطائفي • ووافق محمد مشكوراً• ثم عدت الى تبوك حيث عمَلي آنذاك ، وبعد مدة كتبت الى الشيخ محمد سعيد أستحثه وأخبره أن الكتاب أصبح معداً للطبع لا ينقصه غـير هـذا البحث ، وفي ١٣٩٥/١١/١٥ هـ وصلني البحث المرفق أقدمه بنفس النص من الاستاذ محمد ابن منصور •

المجرور الطائفي

المجرور من أشهر الالعاب الشعبية في الحجاز ومن أبعدها ذكرا وصيتا وبالاخص في منطقة الطائف التي تعتبر موطنه ومنطلق شهرته ، فهو لكثرة عشـاقه ومريديه من الطائفيين ـ حتى الآن ـ لا تكاد تخلو مناسبة من مناسبات أفراحهـم وأعيادهم الا كان المجرور طرب حفلهم وأنس ليلهم لا يفضلون عليه غيره من الالعاب ولا يبغون عنـه بديلا ، فلهـذه المكانة المحببة للمجرور لديهم أصبح يعرف بهم ونسب اليهم فيقال ـ المجرور الطائفي ـ .

أصـله ونشأته

والمجرور مع عراقته وقدم شهرته بين الالعاب الشعبية في الحجاز الا أن تاريخ نشأته مجهول ـ كغيره من الالعاب ـ ولا يعرف هل هو أصيل ومن بقايا ألعاب العرب الاقدميـن التي وصلتنا عبر القرون، أم أنه دخيل مع بعض الشعوب الاسلامية التي هاجرت الى الحجاز واستوطنته ، ومع أن الدليل المرجح الذي يطلبه الباحث في هـذا الموضوع معدوم لعـدم اهتمام مؤرخينا القدامى بالنواحي الاجتماعية ككل الا انني أعتقد أنه من الالعاب الافريقية التـي دخلت الحجـاز مع أصحـابها الافارقة منذ القديم كلعبة المزمار التي دخلت الحجاز من مصر على ما أعتقد ، وبدليل أن المزمار لا زال معروفا في مصر حتى

الآن، وصلات الحجاز بمصر وارتباطه بها في القديم معروفة وترتقي الى عهد الفاطميين • وأما الذي ذهبت اليه في أصل المجرور ورجحته كما ذكرت آنفاً مجهولا استئناسي بأنه كان لا يلعبه في القديم الا الموالي من الافارقة المستعربين ، وهذا يعطينا على الأقل فكرة عن ميول هؤلاء الموالي لهذه اللعبة دون غيرها التي فيها على ما أعتقد ما يشـدهم الى ماضيهم وتراث أوطانهم ، ولكنني مع هذا أعتقد بدون شك أنه طور حتى أصبح ملائما للذوق الحجازي والبيئة الحجازية على ما هـو عليه الآن بـل أصبح أكثر لاعبيه من الحجازيين انفسهم •

مرونة المجرور في التطور

والمجرور لم يكن جامدا كبعض الالعـاب الشعبية التـي تؤدى على وتيرة واحدة عبر الاجيال والقرون فهو مرن ومتطور وله من الالحان الشيء الكثير أكسبته حيوية وبقـاء على مر العصور وجعلت هواته ومريديه يطورون ويجددون طريقة أدائه غناء ورقصا، الا أن هذا لم يخرجه عن طابعه الاصيل الذي يتمثل في نغمة ولآلاته ومقابلة صفه عند لعبهم ، وقد نبغ بين هواته قديما من استطاع اثراءه بالحان كثيرة لا زالت تغنى حتى الآن من أشهرهم من الماضين دخيل الله الكبسي وكامل بن شحات وعبد الله بن قريبة، وللأولين منهم علاوة على هذا كلمات في المجرور ، ويعدان من أشهر شعرائه الذين أثروه بالكلمات كاثرائهم له بالالحان • وفي اصطلاح أهل المجرور أن من بلغ درجة التلحين فيه واستطاع أن يضع ألحـاناً جديدة استحق نعته بلقب (ركن) وهؤلاء الاركان الذين ذكرتهم مع مالهم

على المجرور من يد في تطويره واثرائه بالالحان والكلمات لم يبق المجرور بعدهم عالة عليهم فقد خرج بعدهم توابع من الاركان استطاعوا ان يأتوا في المجرور بما لم تستطعه الاوائل فأغنوه بالالحان الشجية والحركات الرشيقة ، من أشهره في عصرنا الحاضر الموسيقار الكبير طارق عبد الحكيم وسرور بن عائض الشنبري وعوض الله بن سليمان أبو زيد وبريك فلفل وغيرهم ، وهم الآن أركانه وأساطينه ٠

شعر المجرور

كلمات المجرور لها بحور خاصة ان صح هذا التعبير — لا مناص لمؤلفها الا أن ينظم على نهجها فليس كل قصيدة يمكن غناؤها في المجرور بل ليس كل شاعر يستطيع أن ينظم مجروراً لصعوبة ألحانه وغنائه، ونادراً ما تجد من يستطيع نظم المجرور من غير أهله ومتعاطيه فكلماته غالباً ما ينظمها الا بعض من لهم موهبة شعرية وذوق في المجرور من كبار مريديه وعلى سبيل المثال نورد هنا بعضا من كلمات المجرور وشعره ٠

قال علي باشا[1] :

بنفسكْ على نفسكْ حبيبـي ترجيتْ
تسامح ونعفيْ

(١) الازهار النادية من أشعار البادية ١ : ١٦٥ ٠

وان كــان لي ذنبٍ فانا قــد تربّيت°

وما زال° يكفــي

وان شفتني يا قرة العين أنــا اخطيت°

خــذ الحق واقفي

بزادي وشــربي ســيدي ما تهنيــت°

ولا بــات طرفي

اشخّص جمالك كل ما اصبحت وامسيت°

قبالــي وخلفــي

وان جدت لي بالوصل هذي النفس احييت°

واطفيت لهفــي

والا تعــاملني عــلى مــا توريــت°

والــرب يكفــي

وقال الشريف أحمد بن زيد آل يحيى[1] :

بوادي الحويــة خيــل الطرف تيهــان°

من الله° عطيّه°

---

(1) الازهار النادية من أشعار البادية ١٥ : ٦١ .

يغنـــي بنغم العـود وللقــاف طربانْ

ولِــهْ قابليّــهْ

رمش لي بطرف العين والطرف نعسانْ

وشلّش عليّهْ[1]

وانا حالتي رثّــهْ وفي القلبْ نــيرانْ

تزايــد عليّــهْ

وقلت العفــو يا لبيض ادوا بصفطانْ

ولو في شويّهْ[2]

وحِنّوا عليــه وارحموا حــال ولهانْ

دموعــهْ سخيّهْ

تــرى راحــم ابن آدم لجنات عدنانْ !

من اللهْ جَزِيّهْ

قال الشريف عبد الله بن محمد بن هزاع العبدلي : رحمه الله .

---

(1) عليّ ، وشلش : بهذل واعيا .

(2) قدر قليل . وهذا من الحدري وانما يغني في المجرور .

ردوا على عيني النوم الذي منهـا سلبتوه
والقلب لا تحرقونـه وانتـم اللـي ساكنينه°

خوفي عليكم وقلبي ما عليـه لو حرقتوه°
راضي ومختـار وامضـوا ما بغيتوا تفعلونه°

عـز الله اني سـعيد يـوم لـي قلب ملكتـوه
وافرح ليـا قيل قلبي في هواكم مالكينه°

وقال كامل بن شحات رحمه الله(١) :

سألتك الله يا باهـي السنا عن حمـرة الخـد
خد ك من الورد والا الورد من وجنات خـدك

أفيدني يا شبيه البـدر وانظـر حالة العبد°
العبد عبدك وافعـل ما تشا ممنون عبـدك !

قل لي تفرج على الفردوس وانظر جنة الخلد
وسال لظى مهجتك تنبيك عن مضمون قصدك

وقال الشريف ناصر بن مسعود الغالبي رحمه الله(٢) :

---

(١) الأزهار النادية من اشعار البادية ٢ : ٨٧ .
(٢) لم يفسر الكاتب هذه الخرجة .

يهل المجارير واهل الغي واهل الطار منقوش(١)

وش بصركم في جويهل يوم شفته سم روحي

راعي العيون الكحيلة والخُدَيد بالند مرشوش

والمبسم اللي كما ذوب العسل داوى جروحي

سبحان من هُوْ خلق ريش النعام أهداب ورموش

والثغر فيه البرد والورد والبرق اللموحي

الورد والنسرين والريحان والدوش

وليا عرق من جبين حُبَيِّبي هذي تفوحي

هذه بعض نماذج شعر المجرور ليكون القارىء فكرة عن اوزان المجرور وطريقة نظم كلماته ٠

آلات المجرور

ليس هناك آلات موسيقية تصحب المجرور عند أدائه سوى الطبلة والطار ـ نوعين من الدفوف ـ فصاحب الطبلة يوقع عليها وهو جالس بين الصفين ايقاعات رتيبة كمحط لايقاعات الطيران (الدفوف) وهو لا يغني مع الفرقة بل مهمته تنحصر في ضبط الايقاع على طبلته سواء كان واحدا أو أكثر وغالبا ماتصحب الفرقة طبلتان زيادة في ضبط الايقاع،وقارع الطبلة

(١) الغي هنا الطرب ٠

يجب أن يكون حاذقا ماهرا في الايقاع عليها اذ أنه متى اخطأ صاحبها ارتبك أهل الطيران في ايقاعهم وانفرط عقد الانسجام بينهم،وأما الطيران(الدفوف) فلا حصر لها عند الفرقة كالطبلة وهي من اختصاص لاعبي الصفوف ولهم عليها ايقاعات متناسقة مع الطبلة وحركات الاداء ونغمات غنائهم ، وقد استطاع الموسيقار طارق عبد الحكيم ان يدخل على المجرور بعض الآلات الموسيقية كالعود والقانون بارضاخها لمقاماته والحانه في بعض الحفلات الخاصة الا أن هذا التطوير لم ينتشر بين أهل المجرور ولا زال الطار والطبلة هما عماد آلاته ٠

كيف يلعب المجرور

تنقسم الفرقة الى صفين متقابلين واقفين وفي ايديهم طيرانهم ويبدأ صاحب الطبلة بالايقاع فيقتفونه بقرع طيرانهم ثم يغني أحد الصفين على اللحن الذي ارتضوه والصف الآخر صامت ولكنهم جميعا يوقعون على الطيران ويؤدون حركة رتيبة منسجمة مع ايقاع الطبول وعند انتهاء الصف المغني من المقطع يجاوبه الصف الآخر مكررا نفس الكلمات يفعلون ذلك في كل بيت مرتين حتى نهاية الكلمات غير ان الصف يخرج من بينهم أحد اللاعبين الحاذقين من الشباب يتبختر بين الصفين بحركات رشيقة من الجلوس والقيام والتمايل منسجمة مع ايقاعات الطبول وصفه يتابعه في الجلوس والقيام دون اخلال بنغمات الايقاع التي يؤدونها على طيرانهم وهذا الراقص بين الصفين يغير طريقة الايقاع على طاره بايقاعات متتابعة تعرف ـ بالكسرة ـ يظهر صوتها عاليا عن الطبول تزيدها

انسجاما وتطريبا ويجب عليه الرجوع الى صفه قبـل انتهاء الصف الآخر من الغناء ويجوز ان يخرج من الصف أكثر من واحد يلعبون بين الصفين وهكذا دواليك يفعلون ذلك بينهم حتى ينتهي المجرور • وقد تكون الكلمات غير محفوظة عنـد أفراد الفرقة فيضطر راويها لتلقينها الى صفه (فرقته) قبل الانشاد بيتا بيتا ليستطيعوا غناءها سويا في حـين ان الصف الآخر يتلقفها من أفـواه المنشدين من صف الراوي • واذا كان في الفرقـة أكثر من راو يقف كـل واحـد منهما في صف ليتبادلوا الرواية على الصفوف •

هـذا هو المجرور بكل اختصار كما عرفتموه • وأرجو المعذرة عما قصرت فيه(١) •

اخوكم الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله
بن سرور الزيدي الشريف

الدِّحيَّـة

من ألعاب أهل الشمال ، بني عطية والحويطات وغيرهم • يبدأ رنويهم باملاء قصيدة قصيرة على الصف الذي هو فيه ، فاذا انتهت هذه القصيدة اكملها بقوله :

دِ حيِّـهْ دِ حيَّـهْ

وقد سمعت أحدهم يروي على اللاعبين :

---

(٣) أضاف المؤلف بعض معاني المفردات ، كما حذفنا بضع كلمات تكررت •

حنا جيناك من الطائف متعلمين الوظائف

النوبة والأنقرية [1] دحيه دحيه

وقال آخر :

يا عينك عين الغزاله وان شافت خطو الوبّاله [2]

تجعل ساعة ثم تريّع [3] دحيه دحيه

الحاشي

والحاشي نوع من العاب عرب الشمال أيضاً · تقوم الملعبة فيكون الرجال صفين ـ كصفة كل ألعابهم ـ فيبدأ الغناء والصفق والردح ، فاذا صفا اللعب « زان » تأتي احدى الجميلات تتمخطر وتميس ، وفي يدها خيزانة ، فتأخذ في الاستعراض المصحوب بخطوات راقصة هادئة وهي تلوح بالخيزانة في يدها ·

وهنا يخرج بعض الرجال يسايرها في تلك اللعبة ، ولكي يزيد اللاعبين حماسة وطرباً فانه كثيراً ما يحاول الاحتكاك بتلك اللاعبة « الحاشي ! » فاذا اقترب منها جلدته بالخيزانة جلداً لا رحمة فيه ! ،

(١) النوبة : الخفارة والمناوبة ، والانقرية : مهمة مثل العمالة يندب لها بعض الجنود لأغراض عامة ·

(٢) خطو الوبّالة : بعض أهل الابل ·

(٣) تريع : تعود ثانية ·

وكثيراً ما تتابعه بالجد حتى يخرج من حلبة اللعب ! وهنا يبرز آخر أو آخرون ، فان تجرؤوا كرفيقهم حصلوا ما حصّل . فاذا اكتفت من اللعب سرت ، وقد تخلفها غيرها ، وهكذا حتي يقرب الصباح . والحاشي : الصغير من الابل ، كنوا به تحاشياً لاسم البنت أو صفتها .

الرديحي

لعبة من نوع القصيد ، منسوبة للردح بالأرجل ، وكثيراً ما تقال في حالة المزاح ، فتجد من يقول لك : أنت طول ليلك البارحة تلعب الرديحي وتقول : انك سهران • أي أنك قضيت ليلتك في لعب القصيد •

أو في حالة التعنيف ، كأن يقول والد لولده : أنت طائر عقلك مع الرديحي ! •

ولأهل ينبع طريقة خاصة في الرديحي ، وهو من أجمل ألعابهم ، وأكثر ما يعرف عندهم •

الزّار

نوع من ألعابهم • وقد اعترض بعض الاخوة على ايراده فحذفناه •

★ ★ ★

المزمـار

المزمار من الألعاب التي يترفع عنها علية القوم ، يجتمع له غوغاء أهل المدن في كل من مكة والمدينة وجدة ، ويبدأ لعبه بطبول ومزامير كالمقرون والشبّابة مع ألحان خاصة صاخبة ، فيقوم الشبان يدورون وسط الملعب بالشونة[1] في لعبة « الدّرق » وكل معه شون يدرق بها صاحبه لئلا يصيبه . ويحاول اصابة صاحبه اصابة خفيفة تريه أنك قادر على ضربه لو شئت ، واحياناً اذا أمنت الفتنة قد تستعمل السيوف .

وهذا اللعب من أنواع الفروسية الجيدة للتمرن على الدرق عن النفس . ولكن القوم كثيراً ما يجزع أحدهم لأن صاحبه اتكأ عليه في ضربة غير خفيفة الوزن ، فاذا بالشونة تصال في رؤوس الرجال ، واذا الحابل قد اختلط بالنابل ، وهشم رأس شخص حضر للفرجة ، واذا الفرح انقلب الى ترح ، وتفرق القوم شر متفرق .

ومن هذه الزاوية نظر إليه عقلاؤهم فظلوا يكافحونه ولا يسمحون لأبنائهم بالذهاب اليه .

* * *

---

(١) جمع شون : عصا غليظة طويلة ، وهي المنسأة .

السدّق

لعبة خاصة بالنساء ، هي غالبا عند أهل الجنوب الشرقي من الحجاز ، الطائف والخرمة وتربة وبيشة ، وغيرها .

وهي أن يحضر القيان ــ ولا يدق غيرهن لأنه في عرفهم عيب على الحرائر ــ طبولا فيطلب أحد أهل الفرح ــ زواج أو ختان ــ اليهن الحضور فيجتمع النساء في حوش مستور فيبدأ الدف بايقاعات خاصة وألحان خفيفة ، كقولهن :

يا ليلى يا هَلاً هَلاً   يا ليلى يا حَلا حَلا

فيأخذن في الصفق بالأكف فيتراسل الحاضرات على الرقص وحدانا أو مثنى . فتنقض الراقصة رأسها فتظل ترقص وهي تدفع شعرها ذات اليمين وذات الشمال، تتباهى به . فاذا كانت أطول شعراً وأجمل خلقاً أحجم كثير من النساء أن ينزلن الى الحلبة بجوارها أو بعدها تناقصاً في انفسهنّ !

ويكون لدى القيان صحن موضوع الى جانب كبيرتهن . فاذا نزلت احدى النساء ترقص أخذ صديقاتها يرمين نقوداً في ذلك الصحن فتزيد الضاربة في الايقاع اخلاصاً ! فاذا كانت للراقصة صديقة حميمة قد تثب الى جوارها فتشق ثوبها اكراماً لصديقتها ! وعندها وجب على الصديقة المشقوق الثوب من أجلها أن تكسو صديقتها ثوباً عوضا عن ذلك الثوب ، وهذا عندهم غاية الاكرام . فاذا أدخلت العروس على العريس انتقل الدف الى باب غرفة العريس فزيد فيه حتى يصم الآذان، ثم يعطين شيئاً فينصرفن .

السَّمسَمِيَّة

آلة تتكون من جسم نحاسي ــ جالون مثلا ــ فيوضع فيها عود من خشب وتربط فيه ثلاثة أوتار تحدث اذا نقرت عليها صوتا موسيقيا شبيها بصوت الربابة ٠

ولعبها غناء فردي غالباً ويكون حول الضارب بعض المستمعين . فيسمون هذا النوع من الطرب باسمها « السمسمية » ٠

نَقزَة النار

يمكن أن تكون هذه من المعتقدات القديمة الراسبة في مجتمعنا ، وهي الى عهد قريب عند بني سُلَيم ، يشبون النار في ليلة قيل انها السادس من صفر ، وقيل الخامس عشر منه ، ثم يتبارى القوم في النقز من فوق سنهاها ، وهم يقولون : روحي يا غبراء ، وتعالي يا خضراء ٠ يقصدون أن سنتهم السابقة غير حسنة ويتيمنون بالآتية أن تكون خضراء أي سنة خير(١) ٠ وكثير من بوادي الحجاز يعتبرون صفراً أول السنة ٠

ومن ألعاب السلميين الى اليوم اجتماعهم ليلة الخامس عشر من شوال كل سنة في مكان يسمى الغريف من « ساية ». ولا يحضرون طعاماً ولا يأكلونه في هذا المكان ، بل يظلون يتناشدون ويلعبون الى الفجر ثم يتفرقون ٠

---

(١) قال لي أحد السلميين انها تركت اليوم ، والله أعلم ٠

شــبة النــار

هذه رأيتها عند الروقة من عتيبة، وقيل لي: انهم تركوها اليوم ، وهي أن يحضر القوم للعب القصيد فيشبون نــاراً ، فتحضر الفتيات سافرات حاسرات الرؤوس . فتأخذ الواحدة منهن في الاستعراض بين الصفين وهي تميل شعر رأسها ذات اليمين وذات الشمال تباهياً وعرضا على الرجال الذين لا يرونها طوال السنة . وفي يدها خيزرانة فاذا اقترب منها مازح جلدته بها ليبتعد ثم لا تلبث أن تخرج لتأتي أخرى .

وواضح أن الغرض من هذا هو أن يرى الرجال جمال هذه الفتاة المتنقبة التي لا يرى وجهها طوال العام . ولكن ذلك في حدود معقولة . فاذا تجاسر متجاسر على غير ذلك كان جزاؤه الضرب[1] !

واختلاط النساء بالرجال في بادية الحجار في العاب الأفراح شيء معروف ولو أنه أخذ يضمحل نتيجة انتشار العلم ، ففي ديارنا كانت النساء اذا أردن لعب القصيد تأتي احداهن بمحرم لها فتقيمه في الصف ثم تقف بجانبه فتأتي بقية النساء فيقفن بجانب تلك المرأة فيأخذن في اللعب .

ولكن هذه العادة اختفت اليوم . وفي شرق الطائف بعض قبائل تلعب « السامر » وهو أخطر ألعاب البادية .

★ ★ ★

---

(١) هذا قريب من الحاشي المتقدم .

ألعابُ الأطفال

والأطفال لهم عالمهم الخاص ، يبحثون عن الألعاب الخفيفة فيمارسونها في براءة بعيدة عن كل ريبة وحرج ٠ ومن ألعابهم:

الدّرق

يأخذ كل واحد عصا أو نحو ذلك فيمثلان مضاربة وهميّة ، ويحاول كل منهما اصابة الآخر اصابة خفيفة ، ويحاول كل منهما أيضاً أن يدرق ضربة صاحبه ، فاذا أصاب أحدهما الآخر صارت « نقطة » أي حسبت على المصاب ٠

مُضَيمضَاح

يجعلون شيئاً له وزن خفيف نوعا فيلفونه في خرقة أو نحو ذلك ثم يخرج الاولاد في العراء بالليل ، فيأخذ أحدهم تلك اللعبة ثم يقول :

مضيمضاح وين سرى وين راح ! ثم يقذف به بعيداً ،

فيتسابق الأطفال للبحث عنه ،فاذا وجده أحدهم أعاد القول الأول ثم قذف به فتسابق الاطفال مرة ثانية للبحث عنه ، وهكذا حتى يتعبوا فيناموا .

الدَّسَّيسَة

وهي أن يغمض أحدهم عينيه ويدير للآخرين ظهره ، فيفر بقية الأطفال فيختبئون في أنحاء متفرقة من المكان ، فاذا اختبؤوا جميعاً صاح أحدهم : شَرْعَتْ ! فينطلق هذا يبحث عنهم ، بينما يحاولون هم أن يعودوا الى المكان قبل أن يمسك بأحدهم ، فاذا أمسك بأحدهم كان على الممسوك أن يغمض عينيه ويقوم بما قام به الأول .

وتسمى هذه اللعبة: الاستغماية، وشرعت . والغُميّمَة .

الدَّجَّة

لعبة يسمونها أيضاً الكرة ، تشبه الى حد ما لعبة (الجولف) الأميركية .

يؤخذ شيء صلب خفيف كقطعة من كرناف نخل أو مقلة دوم أو نحوه ، فيلفون عليه خيوطاً من الغزل المبروم حتى تصير دجة بحجم وشكل كرة صغيرة ، فيبرز الاولاد في ليلة مقمرة فينقسمون الى فريقين ، ومعهم كرانيف النخل[1] المعقوفة ، فتوضع الدجة بين الفريقين فيأخذان في ضربها ، كل منهم

---

(١) الكرناف : جريدة بقي فيها اصلها المتصل بالنخلة ، وهو اشد غلظاً من الجريدة ، وفيه انحناء لضرب الكرة .

باتجاه الآخر ، فاذا صدف واخترق بها أحد الفريقين الصفوف فانه يستمر في قذفها الى بعد كاف ، وبهذا يقـال : سرّى الفريقُ الفلاني الفريقَ الآخر ٠

وقد يشترك في هذه اللعبة الكبار ، فتوضع بين قريتين ، وتكون الغلبة لمن يدخلها قرية الفريق المقابل ٠

وقد تضيع الدجة بين القشع أو الجرفة والحفر ، فيشترك الفريقان في البحث عنها ، فاذا وجدت عاد اللعب الى أن يغيب القمـر ٠

الطّيبَـان

ست قصاصات من جريد النخل تسلُك بحيث يكون لها بطن وظهر ، فيجلسون فيأخذها الذي عليه الدور فيضرب بها من يمناه على يسراه ناثراً اياها على الأرض، فتحسب بحسب ماكان بطنه ظاهـراً ، فاذا كان الظاهر واحداً ، قالوا : طاب ٠ ثم يستمر نفس اللاعب في اللعب ، ويحسب له نقطة واحدة ، أما اذا كان الظاهر اثنان ، قالوا : دُكّ ٠ فصار على اللاعب أن يترك اللعب لغيره ٠ أما غير ذلك فيحسب نقطاً بعددها ٠ وهذه اللعبة قد يلعبها الكبار ، وهي غالبا لقضاء الفراغ ٠

* * *

هدهـــدة الأطفال

اذا أرادت العربية تنويم طفلهـــا أخذت تهدهده بألحان حلوة بصرف النظر عن معاني الكلمات ، فتجعل الطفل ينسجم فينـــام ٠

وأكثر الهدهدات شيوعاً تلك الهدهدة الحلوة :

دوها يا دوها والكعبه° بنوها ومن زمزم غسلوها

فلا تكاد حجازية حضرية تبدأ هدهدة ابنها بغيرها ٠

أما البدوية فتقول :

نانـــي نانـــي يا كليبـــة المروانـــي

وتتبـّـع الرعيانِ وتقول وين عيالي؟!

وظاهر أثر البيئة في هذه الهدهدة ٠

أما اذا خطا الطفل ، فتقول الحضرية :

دادي يـــا الله والله دادي يـــا مـــا شـــا الله

خطوه خطـوه° يا الله والله خطوه° خطوه ويا ماشا الله

أما البدوية فتقول :

هَدى هَدى	مشي وَعدا	وقطّع الجرُدا (١)

أو تقــول :

مرحَبا َبكْ يا هَلاَ	يا دَبْدُوبٍ بِشْعَلا
أما غيرك لا هَلاَ

واذا حج شخص لأول مــرة وضعوا أرجوحــة يسمونها « سرارة » والسرارة الشخص الذي يحج أو يزور المدينة لأول مرة ، وهــم يقولون للسرارة هــذه مديرهة يتدرهون فيهــا فيقولون :

حجاجنا حجوا وجَوْا	زاروا القرين وعودَوْا
اما أصبحوا والا أمسَوْا	والا شريق الشمس جوا .

ومن ألعاب الأطفال « المدون » وهو جسم صغير مخروطي الشكل ينبلونه الى حفرة فيظل يدور فيها .

* * *

(١) الجردا : الجرد ؛ وهي الأرض الجلد البراح .

اعتقادات

جاء الاسلام والعرب يموجون في فراغ روحي يتشبثون بكل ما يظنون أن له علاقة بالعالم العلوي ، وقد انتشرت فيهم عادات صاروا يحرصون عليها ويتشبثون بها ، ولما أبطلها الاسلام ظلت لها رواسب بقيت يرعاها قليلو الايمان أو من لم يصل اليهم من العلم ما يقتلع هذه الخزعبلات من نفوسهم ، خاصة ان المسلمين الأوائل ـ رضوان الله عنهم ـ كانوا مشغولين بتوسيع رقعة الاسلام ، فظل الحجاز وما حوله من الجزيرة ـ كما ألمحنا سابقاً ـ لا يأتيه من الوعظ والارشاد الا ما يسمعه هابطو الأسواق في المساجد وخاصة الحرمين اذا دخلوهما ، والى اليوم لدينا بوادي لا تعرف كيفية الصلاة الصحيحة ، من هنا ظلت هذه الاعتقادات التي تجد أن بعضها مضحكاً لا زالت يرثها الخلف عن السلف وربما ظهر من حين الى آخر من يزيد فيها ويذكيها · من هذه الاعتقادات :

التشاؤم بالأيــام والأرقام

الرقم « ٧ » :

يتشاءمون بهذا الرقم ، حتى اذا عدوا أو كالوا قالوا : ستة ، سمحة ،ثمانية ··· ويقولون في أمثالهم : سبعة لاري ولا شبعة ، يقصدون أن جماعة السفر أو الأسرة اذا كانوا سبعة فهم مشؤومون ·

ويظهر أنهم يظنون أن السبعة هم شياطين ، ففي السراة اذا دعوا على انسان وخاصة الطفل قالوا : شِلتُوه يا سبعة • ويقولون : سبعــة يشيلونه الى عنــد الخضيراء ويرمونـــه ! والخضيراء : السماء •

الأربعاء :

يتشاءمون بهذا اليوم ويتحاشون السفر فيه وعقد الزواج وجميع الأمور المرجو فيها التوفيق ، وكذلك عند بعضهم يوم الأحد •

يوم « ٢١ » من كل شهر :

وهذا اليوم أيضاً يعتبرونه شؤما ، ويبالغون في الحذر منه أكثر من يوم الأربعاء ، ويحسبون الوجبات من الظهر الى الظهر فاذا صار بعد ظهر يوم (٢٠) في الشهر ، قالوا : دخلت الوجبة • أي المحظورة ، فلا يسافر بعضهم في هذا اليوم ولا يعقد أمراً ذا بال ، ولكن هؤلاء قلة بين الناس •

الصريماء :

لعلها مأخــوذة من الصرم وهــو كسر الشــيء بشــدة • والصريماء أن يوافق يوم أربعاء (٢١) في الشهر ، فهذا عندهم لا يطير فيه الطير ! ولهم كراهية لهذا اليوم شديدة ، حتى أن بعضهم اذا غضب على ولده ولم ير منه خيراً قال له : ضراب الصريماء ! •

يوم الجمعة :

يوم من الأيام المباركة ، ولكنهم يرون أن التداوي في هذا اليوم لا يصلح ، ومن أمثالهم : دواء جمعة • ومعناه أنه لا يضر ولا ينفع! فلا يشربون شربة في هذا اليوم ولا يحتجمون ولا يفتصدون •

التطير بالطيور والحيوانات الأخرى

وهي من عوائد العرب القدماء كالسانح والبارح ، غير أن عرب اليوم بدلوا تلك بغيرها ، ومن ذلك :

الغراب :

يتطيرون بنعيقه ، وهو بزعمهم يخبر بصوته عن خير أو شر • فتسمعهم يقولون : خير يا طير ، ان كان خير لنا ولك ، وان كان شرّ لك عنا ! فما بال الخير مشترك والشر للمسكين وحده ؟!

أبو علاء :

طير في حجم القمري له صوت ليس بشعاً ولا مزعجا ولكنهم يقولون : انه نذير شؤم وخاصة مع الصباح ، ولذلك يقول شاعرهم :

أبو علا طير مع الصبح مكروهْ

لعل ما فال المسافر فالهْ

البومـة :

يتطيرون بنعيقها بالليل ، ويقولون : انها تنعي الى الحي أحدهم فاذا سمعوها أسرعوا اليها يطيرونها، وكذلك يتشاءمون برؤيتها ، ومن غريب الصدف ما روى لي أحدهم قال : نعقت بومة بجوارحي فطيروها ، فعادت فنعقت فطيروها ، فظلوا الى قريب الفجـر ساهرين لمطاردتها ، وفي الصباح أخـذ أحدهم البندقية ليرمي هذه البومة ويستريحوا منها ، فثارت البندقية على الرامي فقتلته ! وهي من صدف الأقدار ولكن الشيطان رسخ في نفوسهم صدق التشاؤم .

الحجـل :

طائر لطيف لذيذ طعم اللحم ، يتشاءمون بـه اذا طـار أمامهم ، ويتفاءلون به اذا سار على الأرض مشياً ، وهو يدرج في مشي لطيف حسن، وتسمعهم يقولون: درج وعلى اللهالفرج! .

الأرنب :

يتطير المسافرون اذا عرضت لهم ، ومن أقوالهم : عرضت أرنب ، ويقولون : ان عرضتها مقرودة أي منحوسة .

الشعرية :

حشرة طائرة تشبه النحلة ، اذا حامت حول أحدهم قال : لا والله الا جاني الشقاء ! أي أنه سيسير حتى يتعب ، كأن يظل له بعير فيذهب للبحث عنه ، ونحو ذلك .

التشاؤم أو التفاؤل بعمل الجوارح

رفة العين :

يتفاءلون بها ، ويقولون : انها تبشر بعودة حبيب غائب• ويقول شاعرهم :

عينـــي تـــرف مبشرتنـــي بغائب°
عساه يا عيني من اللــي توديــن°

وهذا يدل على اعتقادهم بأنها ترف لمجرد رؤية غريب يود أو لا يود •

عرام الأنف :

يسمونه اللغام ، ويقولون : انه يبشرك بأنك ستدعى الى وليمة دسمة ! وقيل : ان رجلا من بني سليم عرمه أنفه فقال : عرام شحم ولحم ! فماتت احدى غنمه • ثم عـاوده العرام فقال كالاول • فماتت أخرى ، فعاوده مرة ثالثة فقال : لغام زق وضربة مدق !•

حكة راحة اليد :

يدعون أن راحة اليمنى لمصافحة صديق عزيز ، أما راحة اليسرى فهي لقبض النقود ، وكل ذلك مشترط فيه أنه ليس عادياً . أي صديق لا تتوقع زيارته، ونقود لا تظن أنها تأتيك•

واذا أصيب كعب أحدهم بحكة ، قالوا له : وين بتروح ؟!
أي انها علامة لأن يسير حتى يتعب من المشي !

صرير الأذن :

من أحسن اعتقاداتهم ، ذلك أنك ترى الانسان فيهم يرفع اصبعه الى السماء وهو يقول : أشهد أن لا اله الا الله ! فتقول له : خيراً فعلت ، ماذا حدث ؟ فيقول لك : صرت اذني أو صر سمعي ! ويعتقدون أنه تذكير بيوم القيامة !.

اعتقادات أخرى

العـوذة :

عادة جاهلية ظلت راسبة في العرب لم يمحها الاسلام من سواد الشعب ، والنصوص الاسلامية صريحة في تحريمها « من علق تميمة لا أتم الله له » . والى عهد قريب كانت شائعة في الجزيرة ، وتعمل على عدة وجوه ، منها :

الحجاب :

كتاب يكتبه بعض متعاطي القلم فيعلق في رقبة الطفل أو المريض أو من تصيبه نوبات عقلية، ويزعمون أنه من القرآن.

الخرزة :

خرزة خاصة تجلب من اليمن يعتقدون انها تحمي من العين .

المسبّعة :

تعمل من سبعة أعواد من التنضب فترص متناسقة وتحبك بحيث تصير جسماً واحداً فتعلق في حلق الطفل ، يدعون أنها تحجب العين ٠

النكسة :

اذا نقه المريض يمنعونه من زيارة بيت « الرجوع » وهي التي قد تزوجت أكثر من مرة ، ويقولون : انه ينتكس اذا دخل ذلك البيت ٠ فاذا انتكس مريض بهذا السبب أو غيره جعلوا من يبرز الى حيث يسمع صوته ثم يقول : عندكم منكوس ؟! فيرد من عند المريض : ما عندنا لا منكوس ولا معكوس !

العصيدة الحلوة :

وعند الحاضرة يعصدون عصيدة أول يوم في السنة ويجعلون عليها السكر حتى تصير حلوة ، وهي بزعمهم تيمن بأن تكون السنة حلوة كحلا هذه العصيدة ٠

ويلاحظ أن هذه الاعتقادات ليست عامة عند سواد الشعب ، ولكنها توجد في بيوت ، وقد أخذت اليوم تضمحل أمام المد العلمي ٠

يشرقون مؤخرة الأذن :

ويشرقون مؤخرة أذن الناقة الضنينة ويسمون ذلك خرصاً ، وقد تسمى الناقة خرصة ، وهذا الخرص تزيينا لها

واختصاصا دون غيرها · وهو عمل ليس بعيداً عن عمل « الرعلاء » في الجاهلية ، حيث كانوا يشقون أذن الكريمة فيترك متدلياً تمييزاً عن غيرها ·

وقد يشقون أذن الولد أيضا :

وعند أهل وادي الصفراء وينبع ومن جاورهم كانوا يثقبون شحمة أذن المولود الذي يولد في شهر صفر خاصة ! قال لي مرة الاستاذ عبد الرحيم الأحمدي : أنا مولود سنة كذا في صفر ، وهذه شهادة ميلادي ! ومد يده الى شحمة أذنه فاذا هي مثقوبة ·

والنذائر تشرق آذانها :

والى عهد قريب غير بعيد كان البادية الجهلاء ينذرون للأولياء والصالحين ، وهذه النذيرة يشرق أذنها ـ يشق من الرأس الى قرب الأصل ـ تمييزاً لها ، وقد رأيت عند أناس نذائر عن الشيخ محمود ، والمهدلي ، والبرعي وغيرهم ·

وهذه لا يجوز بيعها ، وانما يجوز لهم لبنها وشعرها ، فاذا جاء رمضان ذبحوا منها صدقة عن ذلك الصالح،ذلك أنها تتكاثر عندهم بالولادة ، ومن غريب ما سمعت أن بعض فقهائهم الجهلة أفتى بأنها اذا كثرت يحق للحاضن أن يأخذ منها الثلث حضانة ! فهذا الفقيه لم يفتهم بتحريمها كما هو الواجب عليه، بل رسخ في عقول العامة أنها من الجائزات ·



الأطعمة والأكلات

الحجاز اقليم كثير المدن العريقة التي ظل اتصالها طوال القرون بالبلدان المجاورة وثيقاً ، وقد تأثر بتلك البلدان في معظم شئون حياته ومنها الأطعمة ، من هنا يتعذر القول بأن الأكلات الشائعة اليوم في مدن الحجاز كالسليق والمفطح والكوزي والبخاري والكباب والمحشي الخ ، يتعذر القول انها أكلات حجازية رغم ما صبغها الحجازيون به من صبغة خاصة ، وهذه الأكلات معروفة موصوفة كثيراً ، غير أني رأيت أن أذكر أشياء من القرى والبادية أصبحت مجهولة رغم أن لبعضها عراقة كالسخينة والسويق ٠

السخينة

يحضر شيء من الدقيق وشيء من الحليب ، فيغلى الحليب على النار ثم يذر الدقيق فيه بحيث يكون الدقيق أقل من الحليب ، فيخرج « شوربة » أو رشوفاً لذيذ الطعم ، ولا يملح لئلا يفسد ذلك حلو الحليب ٠

وهي أكلة السنوات المجدبة حين يقل الطعام ٠ وكانت قريش مولعة بالسخينة حتى عيرت بها ، فقال خداش بن زهير يذم قريشا ويعيرها بالسخينة في حرب الفجار :

يا شــدة ما شددنا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم

وقال عبد الله بن همام :

اذاً لضربتُهُم حتــى يعودوا   بمــكة يلعقون بهــا السخينا

ولا أرى في السخينة سبة فهي طعام لذيذ في شكل حساء ٠

الحيس

والحيس : سويق يحاس بالسمن أو بالتمر أو بهما معا . فتكون أكلة لذيذة جداً ، والحيس أيضاً قديم عنــد العرب . قال سويد بن هرمي :

واذا تكــون شــديدة أدعــى لها

واذا يحاس الحيس يدعــى جندب

السَّويق

السويق يحضّــر بحمس الحب براً أو دخناً ثم يطحن طحنا ناعما وهو جاف لا يصله الماء ، فاذا كانت الطحانة ماهرة صار يتماسك مع بعضه دون أن يمسسه بلل ، وقد قيل : ان امرأة طحنت لرجلها سويقاً فكان من النعومة الى أنه صار يتماسك كمن بل بالماء فجعلت منه كتلة ربطتها بخيط فعلقته أمــام البيت ، فلما عاد أشارت اليه متباهية ، فقال : لآتي بضده ٠

فطلب أن تجعل تحته اناء فبرز بعيداً وأخذ بندقيته فسدد على الخيط ــ وكان فيما يقال ــ سلك ابرة ، فأصاب الخيط ولم يصب السويق ! فاعتبرت أبرع طاحنة سويق ، واعتبر هو الى اليوم أبرع رام ٠

الثريــد

طعام ممدوح ، مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقــال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ٠

ويتكون الثريد من الخبز مفتوتاً بأدم ، قد يكون حليبا أو لبنا أو مـرقا ونحو ذلك ، غير أن أشهى ثريد رأيته هو ما ثرد بالعسل والسمن معاً ، وهو مألوف عند أهل السراة ٠

المعدوس

هو خلط العدس مع الرز بقياس معيّن ، وخير قياسهم وضع ثلث من العدس وثلثين من الأرز ، فاذا طبخ بالماء العذب ووضع عليه السمن البري كان شهياً ، وكثيراً ما يضيفون اليه الأبازير كالهرد والقرفة والقرنفل ٠

ولمعدوس « بحرة » شهرة عندهم لعذوبة مائها ، وكذلك عسفان ٠

* * *

المطفىء

يعمله أهل السواحل ، وهو عبارة عن احضار حوت مجفف وأخذ كسرة منه على قدر الحاجة ثم قليها بالزيت حتى تتحمص ثم صب الماء عليها بقدر معلوم فتجعل ادماً للأرز وهو لذيذ الطعم .

العصيدة

أسهل أطعمتهم تحضيراً ، يغلى الماء على النار فيؤتى بالدقيق ـ بعد قياسه وقياس الماء ـ فيكبس عنيه ثم يظلون يلكون بعود أو نحوه ويضيفون ماء كلما دعت الحاجة ، فيخرج المعمول جامداً ناضجاً فاذا غرف وضعت في وسطه فجوة يصب فيها السمن أو المرق .

التصابيع

طعام من أزهد الأطعمة يعمله التهاميون من عجين المسلتة[1] يضعون الماء على النار فيأتون بالعجين فتمسك المرأة قطعة قطعة فتأخذ في برضها بين الابهام والسبابة فتتنزل في القدر قطعاً صغيرة فاذا أكملت هذه التصبعة ساطت الطعام

---

(١) المسلتة : مطحنة مكونة من قاعدة ومدهاك يسمونه « ودي » يطحن عليها الحب الذي يغلى في الماء مثل الدخن والذرة .

بمسواط أعد لذلك من فروع الشجر حتى ينضج ، وهـذه شبيهة بالمرقوق عند النجديين ، غير أنها أكلة الفقراء فـلا يضاف اليها لا لحم ولا سمن ، وقد يأدمونها باللبن فقط ٠

الرغيـدة

لا تبعد عن التصابيع غير أنها أكثر رخاوة ، أخذوا اسمها من الرغد وهو رخاوة العيش ولينه ، ولكن الرغيدة طعام من لم يرغد عيشه ٠

الرشـوف

حساء يحضر لأغراض خاصة ، وكثيراً ما يعملونه للافطار في رمضـان أو لمريض لا يستطيع أكـل الأطعمـة القاسية ، وعمله : يغلى الماء على النار ثم يوضع الدقيق فيه بحيث يكون المعمول سائلا لقلة الطحين وكثرة الماء ، ثم يضاف إليه الفلفل الأسود وبعض البزارات ثم اللبن المخيض،فيكون كالشربة عند الحاضرة ٠

المغفوط

يعمل بريرة لصاحب البيت أو نحوه ، وهو أن تخبز المرأة قرصاً فتفتـه بالسمن البري فيكون قاسيا معبوكا ، وليس برخاوة الثريد ، وهو أفضل أكلة عندهم ، لا يعمل الا برأ لأحـد ٠

أدب الطعام

ولهم في الجلوس الى الطعام آداب مرعية متوارث اتباعها ، فاذا جلسوا على الطعام في قصعة عامة افترشوا الرجل اليسرى وركزوا اليمنى ٠

ثم لا يمد أحدهم يده قبل القوم ، وعادة يبدأ الأكبر أو الضيف ٠

ويقولون في تأديب بعضهم على الطعام وفي الكلام : أكل العيش قص ، وأكل التمر خص ، وكلام الرجال نص ٠

أي يجب أن تأكل مما هو أمامك مما يليك ، الا اذا كان تمراً فلا بأس أن يختار ، فاذا رويت عن شخص حديثاً فنصه فان كان كذباً سلمت منه ٠

ولا يقوم قبل القوم عن الطعام ، ولا يتنحنح ، ولا يتنخم، وعلى المضيف أن يقدم الماء ، فاذا لم يقدمه مع الطعام فشرق شخص فمات فالدية على المضيف ، أما اذا قدم الماء فلا عليه تبعة ، ويقولون : الماء دية الأكل ٠

واذا نصاهم شخص وهم يأكلون قالوا : انصا فألك ، ولا بأس أن يدخل معهم ، غير أن هناك قبائل تأنف من ذلك ، منها قبيلة سبيع ، لا ينضم أحدهم الى من أكل قبله ، ويقولون : سبيع ما تأكل الفجوة ٠

★ ★ ★

القضاء والأحكام

في عهود مضت تقلص سلطان الدولة عن البوادي والقرى، وتركز في المدن الرئيسية كمكة والمدينة وجدة ، وظل الناس هناك ـ كأي أناس في كل زمان ومكان ـ في حاجة الى من يحل مشاكلهم ويقضي لمظلومهم ويردع ظالمهم ، وكما يقال : الحاجة أم الاختراع ، أو أم الفنون ، فقد تولدت نتيجة تلك الحاجة وثمرة هذا الوضع الغريب أفكار اذا قيست بزمانها ومكانها كانت جيدة ، وأثبتت أن انسان هذه الصحراء قادر على التفكير السليم والعمل المثمر رغم أميّته وعزلته عن العالم، ومن هذا التفكير وضعوا قوانين وأعرافاً ، وجعلوا لكثير منها أسجاعاً تحفظ بها، واختاروا من بينهم قضاة يحكمون بين المتخاصمين، وجعلوا قواعد لاجبار المحكوم عليه على تنفيذ الحكم ٠

اختيار القاضي

يختار القاضي نتيجة ظهور علامات الفهم والبت في الأمور والنزاهة في الاحكام وعدم ميله الى أي من المتخاصمين ، ثم تكون وراثة في أبنائه ما داموا قادرين عليها ، فاذا ظهر من هو خير منهم مال الناس اليه ووضعوه قاضياً ، غير أن هـذا قـد

يحدث نزاعا يقتضي التقاضي عند قاض آخر فيحكم بينهما ، فاذا عرف القاضي أن هناك قاضياً أعلى منه ، وطلب أحد المتخاصمين الاستئناف حوله اليه ، ويسمونها « القِفْرَة » فيقول المتظلم: قفّرني أي ارفعني الى من يقفر حكمك ويصدق عليه أو ينقضه ·

وقبل أن يسمع القاضي دعوى المتداعين يطلب منهم مايجبرهم على تنفيذ الحكم ، وهو رهان مقبوضة كبندقية أو سيف ، ونحوه ، فاذا عجز أحدهم ، طلب منه الوجه ، وهو عندهم أغلى من الرهان ، وصيغة الوجه أن يقول : في سد وجهي أو في وجهي لا أنقض حكمك أولا أرفضه ، ثم يبدأ في سماع الدعوى ·

الدعاوى :

يدعي المدعي فيقول : أنا عند الله وعندك يا قاضينا يا اللي بالحق ترضينا في « فلان » ــ خصمه ــ اللي فعل كذا وكذا أولي عنده كذا فجحدني ، الى آخر ما يمكن أن يدعي به · فيطلب القاضي من المدعى عليه الجواب ، فاذا أراد الجحدان قال : « جحيد وعلمٍ بعيد ما حدث هذا » أو قال : « خير وحاشا الله ، ودعاه الله بالبينة » · وعندها يطلب القاضي من المدعي الاثبات فاذا عجز عاد على المدعى عليه باليمين ·

وقد يقول المدعى عليه : « دافع وسمي على خصمي » أي على خصمي أن يحلف ·

فيعود القاضي باليمين على المدعي ·

فـــاذا استقر رأي القاضي بالحكم قال : « حكمت وبالله التزمت ، ومن عندي ومن عند كل عارفة مثلي على فلان كذا وكـــذا ·

فاذا رفض فان كان له رهان ظلت عند القاضي حتى يذعن للحكم ، وان كان الوجه فكانت عليه سبة بين الناس حتى يسدد ما في وجهه ·

الضمن وعدمه :

من قوانينهم من أودع شيئاً أو ائتمن عليــه فهو ضامنه ما عدا الأحوال التالية :

١ ــ المطرة الصابّه ْ ، والنار الشابّه ْ ، والقوم الكابّـه ْ ·

أي ما يجرفه أو يتلفه المطر أو تحرقه النار أو يستلبه الأعداء قهراً فلا ضمن فيه ·

٢ ــ البهيمة في ثلاثة أحوال : اذا قتلتها آختها في المفلى أو والناس نيام ، أو قتلها بطنها ، أو قفزت من علٍ فتردت ·

٣ ــ العبد اذا أبق واجتهد الوديع في ملاحقته والبحث عنه ·

٤ ــ التمرة المكشوفة : أي مفتوح وعاؤها ، وذلك انها مغرية واللوم على صاحبها ! ·

٥ ــ المرأة اذا أمنت مع رجل وجاءت تشتكي وديعهـا لا يسمع القاضي منها ، وذلك في عرفهم لاحتمالات منها : انها قد تظالم الرجل لسبب أو لآخر ، ويحفظون في ذلك قصصاً وأساطير .

وثانيها : عدم استطاعتها اثبات ما تدعي به • وثالثها احتجاجاً على ولي أمرها الذي يودعها مع غير محرم ، وهو أمر يتنافى مع الاسلام ، غير انه في البادية مألوف ، والقوم أعفاء موثوقون ، ولكن لكل قاعدة شواذ !

ومن أقوالهم في ما تقدم : المرأة والتمرة لا تؤمَّن !-

ومن أحكامهم المتعارف عليها قتل الجمل الأكول ، والكلب العقور ، والكبش الردوس ، والثور أو التيس النطوح ، كل ذلك اذا قتله دفاعاً عن نفسه لا خسر فيه •

رأسها قود وربوعها زود

وهذه قاعدة من قواعد احكامهم على من يتعدى على ماشية لغيره فيذبحها أو يضربها صرباً يؤدي الى قتلها ، فاذا ثبت ذلك منه عمداً مع سبق اصرار كان حكم القاضي عليه بمثلها وأربع أخر نكالا له وردعاً لأمثاله ، فيقول القاضي : حكمت عليك برأسها قود وربوعها زود • أي أربع غيرها •

الحكم في المولود المشتبه

كان نساء البادية يتزوج بعضهن بعد الطلاق قبل اكمال العدة[1]، أو لم يلاحظ الآخرون بوادر الحمل عليها ، وقد تلد بعد زواجها الثاني بمدة سبعة أشهر أو أقل أو أكثر فينشب النزاع بين الزوجين على بنوة المولود ، فيحتكمان الى القاضي

(١) وهو أمر نادر .

فيحضر المرأة فيجعلها تضع يدها على رأس مولودها وتقسم اليمين أنه ابن فلان «أحد الزوجين» فحينئذ يكون قولها فصلا .

ومن غرائب ما حدث في ذلك أن امرأة أقسمت يميناً أنها لا تدري من من الرجلين أبو المولود ! فلم يستطع القاضي الحكم عليه فسمِّي المنصوف !

المبايعات

اذا تبايعوا في مدرأ حضر كاتب وكتب « حجة » للمشتري على البائع يشهد فيها شاهدان يقفان على تحديد الأرض من كل اتجاه ، ومن عادة الشهود حرصاً على عدم ضياع الحق أن يرووا تلك الشهادة كلما كان الوقت مناسباً ، فاذا توفي أحدهم وجدت أن الشهادة قد انتقلت الى العشرات بالرواية عنه وقد تظل أجيالا يتوارثها الناس بالرواية .

ومن كتابة تلك الحجة أن يقولوا : بمائها ومجراها وقسمها من سمائها ! وطريقها ومطرقها ، بحدودها الأربعة المعروفة .

وبهذا اللفظ لا يحجب عنها الماء ، ولا يسمح لجارها بأن تطول اشجاره حتى تغطي فروعها الأرض المباعة فتحجب قسمها من السماء ، ولا يقفل عنها الطريق ، ولا يغشى حد من حدودها الأربع ، وفي هذه الكتابة بلاغة شرعية تجعلها صكاً ممتازاً ، وجميع الجيران يعترفون بذلك ولا يعترضون عليه ، غير أن هناك حججاً رأيتها تقول : مما وهبني الله ، أو مما

أكسبنيه الله • وتعني الأولى أنه أحيا أرضاً ميتة ، والثانية أنه اعتدى على أعدائه فأخرجهم من ديارهم وكسب أرضهم !

أما اذا كان المباع ماشية ، فيقول البائع : بعتك هذا الجمل أو الشاة ونحوهما ، السليمة المستقيمة ، لا عوراء ولا صوراء[1]، ولا عرجاء ولا جرباء ولا هيماء • فان ظهر فيها عيب من هذه العيوب فالبائع ملزم برد الثمن •

أما اذا لم يرد البائع أن يشرط على نفسه ، فيقول : بعتك الحاضر الناظر ، نقس في ماء[2] وعينك ما تغشك ! فاذا اشترى المشتري على هذا الشرط وظهر عيب في المشترى فلا يلحق البائع للشرط المقدم ، غير أن بعض القضاة أمر برد الهيماء بعد القرء ، وقرؤها من (١٥) الى (٢٠) يوما[3] •

القالية وادعاء الغبن

ومن عاداتهم أنه اذا شرى أحدهم شرية وظهر فيما بعد أنه مغبون فيها عاد الى البائع وقال : طالب القالية[4] على وجه النية[5] • فاذا لم يفعل البائع توجه اليه بكرام أهل الحي فخطّوّوه وقالوا : « لا تغنم رفيقك » وكذلك يفعل البائع اذا شعر بأنه باع بغبن أو تسرع ولم يرد البيع •

---

(١) الصوراء : التي تميل برأسها اثناء المشي ، وهو مرض يحدث غالباً عن ضربة على الرأس •

(٢) النقس : كسرة من الملح أو السكر ، فاذا وضع في الماء ذاب وتلاشى ، أي لا تعود علي بشيء اذا حدث للمباع حادث •

(٣) ذكر في البيطرة •

(٤) الاقالة •

(٥) على الصورة الصحيحة •

طَرحان عقال !

ومن عاداتهم في المبايعات انهم اذا اتفقوا على البيع وعرف الثمن وقبل كل من البائع والشاري ، طلب المشتري من البائع أن يحط عنه من الثمن ، قائلا : « أنا طالبك ــ كذا وكذا ــ طرحان عقال » •

ومن العادة أن يحط البائع من الثمن ولو يسيراً •

الشـفعة

والشفعة قاعدة شرعية غير أنهم يحتالون عليهـا باشياء غير شرعية ، فاذا اشترى أحدهم شيئاً كالمدر ونحوه وخاف من الشفعة اتى في الثمن بما يعجز الشافع ، ذلك أن من شروط الشفعة عندهم أن يدفع الشافع للمشتري كل ما دفعه عيناً بعين، فمثلا شخص اشترى أرضاً بالف ريال ، فدفع خمسمائة من فئة مائة ريال ، وثلاثمائة من فئة عشرة ريالات ، وحدث انه دفع مائة ريال من فئةقرش واحد ! فعلى الشافع أن يدفع له مثل ذلك وخلال ثلاثة أيام • وكان يحدث أن يضعوا « الزهو في السمن فيظل زهواً الى الشتاء ، فاذا اشترى أحدهم شريـة في الشتاء أدخل في الثمن كذا من الزهو فاذا أراد أحد أن يشفع عليه كان عليه أن يحضر ذلك الزهو في الشتاء ضمن الثمن !

لمن الشفعة ؟

والشفعة موقوفة على ثلاثة : الحديد ، وهو جار الأرض المباشر ، والوريث ، والشقيق ، ومن البدهي أن أي اختلاف يحدث بين البائع والشاري يعودان فيه الى القاضي الذي يحكم بكل ما قدمنا كقانون محفوظ ، فاذا لم يقتنع أحدهما ساقه القاضي الى آخر ليميز ذلك الحكم ويكون بعده ملزماً أو متحللا .

ومن القضاة الذين كان يساق اليهم طالب الاستئناف : القرف الحازمي من أهل وادي الصفراء ، وابن طُرَيِّف من بني علي من حرب[1] ، وبحكمه يضرب المثل « مصدَّرة من عند ابن طريِّف » ذلك أن أحداً من قضاة البادية لا يتعرض لحكمه بالنقض ابداً .

السرقات والمجاحدات

واذا سرق أحدهم شيئاً لآخر ولم يعرف السارق احضروا رجالا ماهرين في تقفي الأثر ، يسمونهم « قصاصين » .

فاذا أنكر ذهبوا به الى :

---

(١) أتيت على أخبارهما في كتاب « نسب حرب » فأغنى عن الاعادة

المُلحِس

وهو رجل يعمل شيئاً لا اعلمه على حديدة كالسكين ونحوها ثم يضعه على لسان المتهم ، فاذا كان صادقاً لا يصيبه سوء ، واذا كان كاذبا أثر ذلك في لسانه تأثيراً يشبه الكي ٠

وهو أمر ثابت شاهده الثقات ، غير أنه محير ومشكل فعلا، وقد حاولت كشف سره من رجل دلوني عليه كان يعمله الى عهد قريب ، فجحد ذلك وأنكر انه عمله من قبل ، وكان يرافقني أحد مشايخ قبيلة حرب الذي أكد له أنه قد عمله لفلان وفلان، واضاف : ان هذا ـ يعنيني ـ من عيالنا وليس من طرف الحكومة ! فأصر الرجل على الانكار ٠ فما كان من الشيخ الذي معي الا أن قال مازحاً : أجيب الملحس ؟!٠

ولكن الأحكام في السرقات لا تنفذ على حكم الشرع بل تجري بعرف منهم ، من ذلك أن السارق لا يعيد السرقة بنفسه ولا يستقبل لو جاء بها لاحتقارهم اياه ولكن يعيدها عاقلته ومعه من وجوه الرجال ، ثم يطلبون ما في خاطر المسروق ماله٠ وقد يرفض ذلك فيصلان الى القاضي الذي يحكم على السارق بجزاء مثل « رأسها قَوْد وربوعها زود » المتقدم ، وغير ذلك ٠

الهيئات وأحكامهم

اذا تخاصم اثنان في مدر أو اقتسام ماء ونحوه ، فعادة يختارون من الرجال الذين لهم دراية بمثل ذلك فيحضرون ويعاينون المكان ، ويسمى ذلك « النظر » ويسمون أولئك

الرجال « النـّظـَرية أو الأمـَنـِية » أو الأمناء • ثم يحاولون الصلح ، فاذا كان الخصام في ماء السيل فلهم فيه طرق لقسمته، وان كان في الحدود بحثوا عن حـَد ين قائمين ثم صفوا الرجال بين حـَدّين في قطار كل منهم يدرق في الآخر حتى اذا أتيت من خلفهم أو أمامهم لم تر منهم الا واحداً فقط ، ثم يضعون تحت قدمي كل رجل حجراً طويلا ينصبونه نصباً والى جانبيه حجران أصغر منه يسمونهما الشهود ، ولهذه الحدود احترام حتى أن بعضهم يظن أنه لو لمسها بعد ذلك غضب الله عليه ، وعـادة يرضى الطرفان بهذا العمل ، وهو لا زال معمولا به من باب الصلح ، ولدى الامارات اليوم أناس تنتدبهم لذلك من أهـل الخبرة •

وبعد حل هذا النزاع يقوم ـ عادة ـ المتنازعان بعمـل وجبة طعام لهؤلاء الأمناء، واذا كان المتخاصمان يدعي أحدهما في السهل والآخـر في الجبل ويريد كل منهما أخـذ شيء من أرض جاره أو لم تعرف الحـدود بينهما ، حكمـوا باسلوب غريب فيه الكثير من العدل والفطنة •

الجمل المُعـَتـّب :

ذلك أنهم يأتون بجمل من خيار الجمال قادر على الصعود في الجبل ثم يعقلونه في السهل فيساق صعداً في الجبل ويلحون عليه بالضرب وهو يعتب صاعداً فاذا كل برك ، وحيث يبرك يضعون الحد بينهما ، فما سفل منه فلصاحب السهل ، وما صعد لصاحب الجبـل • ولا يملـّكون أحـداً أرضاً الا بالاحياء أو

ما ثبتت ملكه لها قديماً ، واحياء الجبال أن ينشىء فيها المعاسل أو يحفر فيها الثمْـد ٠

الوُجَهِيّةُ والألفَوِيّةَ

من قواعدهم الصحيحة قولهم : « الحق لا يرضي اثنين » وهذا صحيح ، لأن المحكوم عليه لا يرضى ولو كان الحكم حقاً ، ولو كان كذلك لاعطاه عن طيب خاطر قبل الخصام ٠

ولذا فهم يلجؤون الى الصلح ويحاولونه بكل طريق ٠

فاذا ادعى رجل أن آخر أهانه أو عمل به عملا لا يليق ، أرسل اليه الآخر قائلا « افتح السُّدة » أي اسمح لنا بدخول بيتك ، فاذا وافق جاء المدعى عليه ومعه رجال حشام فقالوا : نحن طالبو ما حدث بينك وبين فلان ، فاذا ساق القهوة توقفوا عن شربها حتى يسمح ٠ وقد تكون القضية كبيرة فيلزم المدعى عليه أن يحضر خيالا ومعه أرز وبن وهيل وكل ما يلزم لأكلة كاملة ، وفي هذه الحال لا يذبح الخيال حتى يحصل المطلوب، ولو ذبح ولم يعطوا مطلوبهم امتنعوا عن أكله حتى يسمح فان لم يسمح سروا وتركوا الطعام على الفراش ٠

وهذه أساليب كانت ناجعة في غياب الحكم ، ولو لم تكن هذه القوانين مرعية لأكل الناس بعضهم بعضاً وقطعوا أرحامهم ٠

وهذا العمل ينسحب على معظم مشاكل الناس مثل : خروج المرأة من بيت زوجها غاضبة ، ومضاربات الاولاد بل وحتى الكبار ، وضرب البهيمة ، وتكذيب الرجل وسبه والانتقاص منه ٠ الخ ٠ ٠

ويستثنى من ذلك القتل أو التعرض للعـار فلا يغسله عندهم الا الدم،وذلك قبل العهد الحاضر الذي ألزم الناس بحكم الشرع الشريف ومن لم يرض وتعدى فلـه العقاب المناسب ، وكانوا يعرفون الدية في قتل الخطأ ، ولكن قتل العصا أو الحجر لا يعتبرونه خطأ وفيه ــ عندهم ــ قتل مثله ٠

قضايا المـرأة

أهل الحجاز شديدو الغـيرة على المرأة ، وهذه صفة كل عربي ومسلم ، غير أن هؤلاء أشد ما عرفت من الناس ، فاذا تعرض انسان لامرأة فلهم فيه أحكام وقوانين متوارثة مرعية ، من ذلك :

١ ــ وطء الفراش : اذا وجد أحدهم رجلا في بيته فليس أمامه الا أحد طريقين : اما أن يقتله ، وفي هذه الحالة يجمع أهل الرأي منهم بأن ليس لأهله حـق المطالبـة بدمه ، فهـو « واطىء فراش » ودمه مهدور ٠

أو أن يطالب بالنقاء ، وهو أن يحضر الجاني في جمع من الناس ثم يحكم عليه بأن يضرب بالجنبيـة(١) ثلاث ضربات ، اثنتان منها على قنة الرأس على شكل عراقي،وواحدة في الوجه٠

وقد تنفذ التي على الرأس، ولكن التي في الوجه كثيراً ماتشترى بالمال تحاشياً لما تسببه له من خجل بين الناس ٠

---

(١) الجنبية : آلة كالسيف معقوفة ٠

وقد عرفت ـ في صغري ـ قضية من ذلك فاشتريت ضربة الوجه بأربعمائة ريال فضة ، ثم دفع لزوج المرأة غنماً بالثمن ، فكان الناس اذا رأوا الغنم يتندرون ويقولون : ثمن (...) فلانة ! . فكان أخذها أشد عاراً من تركها .

٢ ـ الاسفار : اذا تعرض رجل لامرأة فأماط لثامها أو خلع برقعها أو غدفتها ، فان في ذلك قطع يده ، وهي قاعدة غير قابلة للنقض ، وهنا تحدث المشكلة ، حيث ولي أمر المرأة يريد التنفيذ ، وأهل الجاني يرفضون ، وقد حدثت قضية قريبة من ذلك بين قبيلتي حرب وعنزة أدت الى حروب طاحنة بين القبيلتين(١) ولكن المسألة غالباً تسوى بشراء اليد .

وقد تحدث المشكلة نفسها عند ثمن اليد ، وكان من حرصهم أن عليك اذا رأيت امرأة سافرة غافلة أن تنبهها بوجودك ، واذا لم تفعل كان ذلك مأخذا عليك .

٣ ـ تصييح المرأة : وتصييح المرأة اذا غمض لها الرجل باحدى عينيه وهو في عرفهم طلب الفاحشة أو مجون لا يسمحون به ، أو صافحها فظهر منه ما يريب كالحك بالاصبع في راحة يدها أو الضغط بشدة على كفها ، فاذا حدث من ذلك شيء صاحت صياحاً يسمعه كل من حولها ! فيسرع القوم الى مكان ذلك المنكود فان وجدوه ضربوه ضربا مبرحا ، ولا يقتل . فان لم يجدوه ظلوا يتربصون له حتى يقبضوا عليه أو يقوم عاقلته بالتسديد .

والى عهدقريب كانت القاعدة« ضارب القَوّاس ومصيّح بنت الناس عليه أربعمائة ريال » .

---

(١) انظر : كتابنا « نسب حرب » .

والقواس : الشخص الـذي يرسله الأمير لاحضار آخـر بالقوة ، فاذا ضربته كان عليك أن تدفع اربعمائة ريال ٠

٤ ــ ضرب المرأة : العرب يستعيبون ضرب المرأة ، الا أنهم جعلوا لذلك ضوابط وقوانين ، من ذلك أن التعدي عليها في بيتها أو حرمه « ٤٠ خطوة حول البيت » فان في ذلك عقاباً يعود تقديره الى القاضي الذي ينظر في الدواعـي والمسببات وأيهما البادىء ٠ الخ ٠

أما اذا كان خارج ذلك، فان كانت مضاربة هي مع الرجال فالحكم كالرجل ، وان كانت سلماً واعتدى عليها الرجل لسبب أو آخر وضربها فان حكمها غير ذلك ، وأهل القرى يتشددون فيقولون : اذا خرجت المرأة عن حرم بيتهـا فليس لهـا الا ما للرجل ٠

القتال بين القبائل وطرق معالجته

اذا حدث قتال بين فئتين فغلبت احداهما الأخرى ، لجأت الغالبة الى شيخ مقدَّر أو قاضي محترم وطلبت منه أن «يقرع» تلك الفئية الى أن يجمعوا قومهم غائبهم وشاذهم ، لأن من حكم القبائل أن يضربوا من يجدونه من الفئية الأخرى حتى لو لم يحضر القتال ولم يعلم عنه ولم يسمع به !

وحينئذ يذهب ذلك الشيخ فيقف أمام الحي أو القرية فيقول : « يا آل فلان تراكم مقروعين عن آل فلان » ٠

وحينئذ يثور اليه هؤلاء يضربونه حتى « يفك قرعته » !
وقد يرفض فيضرب حتى يغمى عليه ، ولذا لا يتعرض للقَرعَة الا أولي العزم الشجعان ٠

وترسل الفئية الغالبة نذيراً الى كل أفرادها بأنه قد حصل كذا وكذا ، ويقولون : « ما يقعد بعد النَّذَر غير البقر » ٠ وقد يجتمعون في مكان واحد يسمونه الحَنيِّة لا يشذ منه أحد حتى تسوى المسألة،وليس دخولهم الحنية خوفاً في الغالب وانما لعدم تحويل نصرهم الى هزيمة اذا أخذت الفئية المغلوبة بالثأر ٠

العاني

أما اذا كانت الحرب بين قبيلتين كبيرتين كحرب وسليم أو عتيبة ومطير مثلا ، وكان قتالا وغزواً قتل فيه أناس ، فان القبيلة الغالبة تطلب عاني وهو هدنة مدتها سنة وشهران ، ويكون العاني في وجه شيخ القبيلة المغلوبة ، فاذا حمل العاني فان الاعتداء خلاله عيب وبوق ، وفي ذلك يقول البلادي :

مشينا للمواسمْ يومْ عانيها على الرّبعانْ
حلَيْلْ الرْبعة(١) اللي بوقها جا في عوانيها

وحنا لو درينا ان ما سد الوجيهْ أمانْ
يبلِنْنا(٢) في المخافهْ يا محمد ما نخلّيها

(١) الربعة : القوم ٠
(٢) ابلنا ٠

وذلك انه كان لهم عاني على الربعان من شيوخ بني عبد الله من مطير فاعتدت مطير في العاني وأخذت ابل البلادية ، ولذلك يقول المطيري :

وشدوا من تمايه يوم سمعوا طـاري النفضان[1]

وحلّـوا في حيـا ليـلة عشر مدري حراويهـا[2]

وجيناهم شرَيْقْ الشمس يوم المـال في المرحان

وزفينـا أمهـات الباب[3] مـع ضين يباريهـا[4]

قصص من قضاء البدو

الثلاث سرت بالواحدة :

غزا أربعة أشخاص فنهبوا بعيراً وعندما أرادو المبيت قالوا لأحدهم : اعقل الجمل . وفي الليـل انطلق الجمـل فسرى ، فحاكموه الى قاضي القبيلة فحكم عليه أن يدفع للثلاثة ثلاثة أرباع ثمن الجمل .

ولما خرجوا من عند القاضي كان للقاضي ابن يلعب مع الصبيان ، وكا نقد سمع أول الدعوى ، فقال للمحكوم عليه : هاه ! ويش صار ؟ فقال : حكم القاضي علي . فقال الصبي :

---

(١) التجمع .
(٢) العاشرة من ذي الحجة .
(٣) ابل البلادية والباب وسمها .
(٤) ضين : جمع ضأن

ما قلت ؟ قال الرجل اعترفت بأني عقلته فانطلق • قال الصبي: أخطأت ، عد للقاضي وقل : انا أربعة ولكل منا ربع الجمل ، وقد عقلت أنا ربعي وتركوا هم أرباعهم فاطلب أن تحكم لي عليهم ! فعاد الرجل واستأذن من القاضي أن يعيد اجابته فأذن له ، فلما سمع قوله حكم على الثلاثة أن يدفعوا ربع الثمن للرابع •

محمد يرث ومحمد ما يرث :

وقالوا : رأى رجل سوءاً على زوجته فشك في ابنه فسمى عياله ثلاثة باسم واحد « محمد » ، ولما حضرته الوفاة قالوا له : وصِّ • قال : محمد يرث ، ومحمد يرث ، ومحمد ما يرث » •

فحاروا في هذه الوصية أي المحمدين يحرمونه من الميراث وبأي دليل ؟ فذهبوا بهم الى قاضي الحي ، فاختلى بكل منهم على حدة وطلب منه أن يشركه في نصف الورثة وهو يساعده على قتل أخويه ، فرفض اثنان ووافق الثالث • عندها حكم القاضي بأنه المقصود بالوصية ! •

جئنا من بطن وظهر :

وقالوا: ربى رجل ربيباً وله أربعة أبناء فأوصاهم أن يكون أخوهم ، وظهر الربيب فالحاً وكان الاخوة كل اثنين من امرأة فتخاصموا عند الربيب كل ابني امرأة يريدانه دون أخويهما ،

فذهبوا الى القاضي ، وكان الربيب يميل الى اثنين منهم فسار معهم ، وفي الطريق وجدوا هيكل جمل قد مات ·

فلمعت لهم فكرة فدخل الثلاثة في جوف البعير الميت وخرجوا منه ، وعند القاضي حلفوا جميعهم أنهم خرجوا من بين بطن وظهر واحدة !

فحكم لهم ، فسموا البطنان : بطن من حرب !

وهذه أساطير قد تكون وقد لا تكون غير أن فيها شيئاً من التفطين والترفيه ·

* * *

التكافؤ في الزواج

لا شك أن المسلمين أكفاء ، وهناك أثر يقول : من أتاكم ترضون دينه وخلقه فأنكحوه • وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » •

غير أن القبائل العربية اليوم لديها قواعد وتقاليد تمنع بعضها أن يزوج بعضاً ، وهي فروق طبقية تجعل كل قبيلة من طبقة معينة ، كما يلي :

١ ـ الأشراف : وهم ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهم في عرفهم لا يزوجون بناتهم لغير هذه الطبقة ، بينما يتزوج رجالهم ممن شاءوا من القبائل الأخرى ، ولديهم بنات جاوزن الثلاثين عوانس لا ذنب لهن الا انهن من أرومة شريفة طاهرة ، وكان أولى بهن الاحصان ، وهذه العادة متأصلة حتى في المثقفين منهم فقد قلت مرة للشريف شاكر بن هزاع قائمقام مكة : لماذا الاصرار على هذه التقاليد ؟ فرأيت منه اصراراً جعلني أحول مجرى الحديث ، وهو من المثقفين الواسعي الاطلاع •

٢ ـ السادة : وهم ابناء الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهؤلاء يزوجون بناتهم للأشراف ولا يزوجون غيرهم ، ويتزوج رجالهم كالأشراف ممن شاءوا من القبائل ما عدا الأشراف ،

ومع أن الحسن والحسين ــ رضي الله عنهما ــ أخوان فلا يجوز للحسيني الزواج من الحسنية ·

٣ ــ بقية بني هاشم كالعباسيين والعقيليين : يزوجون الطبقتين الأولى والثانية ولا يتزوجون منهما، وقد لا يتزاوجون هم ــ أبناء هذه الطبقة ــ بينهم،فكل يرى له فضلا ومقاماً أكبر، ومن هؤلاء : الجبرت أو الجباريت في سليم،ويدعون انهم أبناء عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه

٤ ــ الشيوخ أو المشايخ وعدوان : وهم يزوجون الطبقات المتقدمة ولا يتزوجون منها ولا يتزاوجون بينهم ولا يزوجون بقية القبائل ، والشيوخ منتشرون في الحجاز ويدعون أنهم من الأنصار ، والله أعلم ·

٥ ــ عامة القبائل مثل حرب وعتيبة وقحطان ومطير الخ : وهذه تتزاوج فيما بينها وتزوج الطبقات الأربع السابقة ، ولكن هناك قبائل أخرى تمتنع عن تزويجها · وهي قبائل ثابت أصل معظمها ، بينما جهل بعضها وجهل المؤرخون نسبها ·

٦ ــ عوج دخان : اسم غريب يطلقونه على القبائل التي لا يرون التكافؤ في الزاوج معها ، فلا يزوجونها ولا يتزوجون منها ، من هؤلاء :

أ ــ هتيم : قبيلة عربية ، أوفيت الحديث عن نسبها في كتاب «معجم قبائل الحجاز» وكذلك في كتابي «رحلات في بلاد العرب» ·

ب ــ [illegible] : وهم فيما ظهر لي بقايا جذام · وقد أوفيت الحديث عنهم في المرجعين السابقين ·

جـ ـ الخضيريون: بطون كثيرة منتشرة في نجد، لا يتزاوج معهم من يعتد بأرومته ، وليس في هذا الكتاب مجال للحديث عن الانساب وأسباب ذلك ، وقد تحدثت عنهم بأوفى من هذا في كتابي « الرحلة النجدية » ·

وخلاصة القول : ان العرب أكفاء ولا يجيز الاسلام هذا التمييز ، ولا شك أن العلم سيقضي على مثل هذه العادات ، فكلنا لآدم وآدم من تراب ·

* * *

العُلوم الشعبيَّة

في زمن تقدم ـ كما ألمحنا مراراً ـ ما كان لجمهرة الشعب مصدر ولا مرفق مما لنا اليوم من مستشفيات وعيادات ومراصد تخبرنا عن تقلبات الجو وفرص هطول الأمطار ، وكانت الجماعة ككل وحدة متكاملة تقوم بجميع شئونها ، من هنا ومن مسيس الحاجة كان لا بد أن يكون في المجموع من يعالج مريضهم وينظر الى السماء ليبشر بالخير المقبل ، ويخبرهم متى يزرعون ومتى ينضج ذلك الزرع ، ولا شك أن هؤلاء الرواد كانوا يخطئون وكان خطؤهم يدفعهم الى مزيد من الممارسة والاتقان، وعلى مر الأجيال مع اضافة ما يسمعون عندما يفدون على المدن فقد كوَّنوا لهم علوماً ظلت الى زمن غير بعيد نافعة، ولا نغالي اذا قلنا : ان بعضها لا زال نافعاً .

وقسموا علومهم الى : طب ، وفلك .

وقسموا الطب الى : بشري ، وبيطري .

الطب البشري

ويعالجون به جميع أمراض الانسان ما عدا المستعصية أو الأمراض غير المعروفة في بيئتهم ، كالسرطان والسكر . وقسموه الى : طب علاجي ، وطب وقائي .

الطب العلاجي :

ومن الأمراض التي يعالجونها وعلاجاتها :

١ ـ أوجاع الرأس :

الصداع : وله عدة علاجات : منها خمس كيات ، اثنتان في الصابرين ، وواحـدة فوق الجبهة ، وواحـدة في مؤخـرة الرأس ، والخامسة في قنة الرأس ٠

ومن علاجات الصداع اذا كان ضربـة شمس ، طبطبته بالماء أي ارواء الشعر ثم لفه برداء متين والنوم عليه ، فيقوم معـافى ٠ عصـابة الرأس ، يعصبون الرأس بشطيبة قويـة عريضة فيشدونها عليه شداً محكماً فيسلم أو يخف عنه الوجع اذا كان الوجع ناتجاً عن ضربة أو صدمة ٠ أما اليوم فقـد أخذوا يتعاطون الأسبرو والنوفالجين وغيرهما ٠

الم الضرس :

وعلاجه الشائع عندهم خلعه ، غير أن له رقيا عند أهل القرى رأيتها ذات نتائج باهرة ، فقد كان لي خال يكتب شيئاً من القرآن على ورقة خفيفة جداً كالتي يلف فيها التبغ ثـم يكورهاحتى تصير في حجم حبةالذرة،ثم يضعها على أعلى الضرس المصاب فيطلب من المريض أن يعض عليها حتى تلج في الضرس، وقد شاهدت الكثيرين لم يعودوا يشكون من ذلك الضرس الى الأبد ٠ وينصحون للوقاية من أمراض الأسنان بعدم أكل التمر حـاراً ٠

لسان المزمار :

وهو اللهاة ، ويسمونه « حُلَيق موت » : وهذا كثيراً ما يلتهب فيصير على شكل كورة قد تصل الى حجم المشمشة الصغيرة ، فاذا حدث ذلك أدخلوا في فم المريض خشبة عريضة تجبره على فتح فيه، ثم يدخل الطبيب الموسى فيستأصل اللهاة، ثم يضع على أصبعه ملحا ناعما ثم يجعله محل القطع ، فلا يلتهب ولا تحدث أية مضاعفات ٠

اللوزتان :

لا يستطيعون استئصالهما، وانما ينصحون بدهنها بالريق صباحاً قبل الفطور فيخف التهابهما، وما كانوا يعرفون المثلجات والا لنصحوا بعدم تعاطيها للمصاب ٠

الزكـام ٠

ويسمونه اللّبطة أو الغُدّة ، وعلاجها عصير الليمون أو ليمون ناشف محفوظ يبـل في المـاء ويمرس فيسقى المريض فتخف عنه اللبطة ، ويسعط المريض ببعض توابـل ويسقى الزنجبيل ويطعم الفلفل الأسود ويسمونه الطبيب الأبكم لأنهم يعطونه عن كثير من الامراض ، واذا كان الزكام من الشمس عرفوا ذلك بأن قرءه أن ينـام الانســان فيستيقظ مزكوماً ، وعلاج هذا علاج ضربة الشمس المتقدم ٠ ويمنعون المزكوم أن ينام في ضوء القمر ، لأن ذلك يضاعف المرض ٠

٢ ــ أمراض العيون :

ألعشا ، فاذا كان عدم الابصار نهاراً سموه « جَهَر » وليس له علاج ناجع ،وانما يأسرونه بالاكتحال بالكحل ، وعدم

المشي في الشمس الوهاجة ، أما اذا كان العشا عدم الابصار ليلا فيسمونه « عمى الدجاج » ذلك أن الدجاج يرى في النهار ولا يرى في الليل ، وله علاج ناجع ، وهو شي لسان الكبد ـ وهو زائدة معروفة من كبد الذبيحة ـ شياً نصفيا ثم وضعها على غاذية الرأس وكيه بها حتى يحس بحرارة شديدة ثم يأكلها ، ولا أعلم أللأكل دخل في العلاج أم أن الكي بالكبد يكفي ، وعلاج آخر لا يقل أهمية ، وهو الاكتحال بمرارة الذبيحة عدة مرات • وهذان العلاجان مجربان ناجعان لا شك، والغريب أن الطب الحديث ـ على حد علمي ـ لم يتوصل الى علاج للعشا ، فقد قرأت اجابة لمجلة « طبيبك » تقول : انه لم يكتشف حتى الآن علاج للعشا الليلي •

أم ذيل :

غدة تلتهب في عروة العين فتجعل العين تهمل بالدمع باستمرار ، وعلاجها كية خفيفة على مؤخرة حجاج العين ، يعرف أطباؤهم مكانها ، وسمعت أن منهم من يعقم ملقطاً صغيراً فيقبض على تلك الغدة فيستأصلها بعملية جراحية •

الرمد :

يعالجونه بذرور يسمونه « الكبوس » أو « التشمة » اسمان لشيء واحد ، وهو موجود عند العطار ، ولكن هذا العلاج كثيراً مالا يعطي نتائج طيبة ، وكثيراً مايصاب المريض بالعمى بعده ، وقد يشفى المريض فيصاب بالكُوَس كاحدى مضاعفات المرض ، هو أن يظل الانسان مكيساً الى الأرض لا يستطيع أن يرفع نظره ، وهذا يعالج بعدة شرطات

على حجاجي العينين ، أو برشه بكيات صغيرة جداً برأس المخيط فوق الحجاجين ، ويقولون : اذا كانت الكيات كبيرة أثرت على النظر وربما أفقدتــه • واذا تطور الرمــد الى صديد غزير غسلوا العين بمطبوخ بعض النباتات كقرم السمر اليابسة العتيقة، ومصفي القرظ وغيرها مما يدبغ به جلود الحيوانات•

الظفــرة :

لحمة ناتجة عن التهاب تتدلى من داخــل الجفن فتغطي بلحة العين العليــا ، تصغر أو تكبر ، ويعالجونها بالكمد من فوق الجفن ، فاذا لم يفد ذلك عمدوا الى استئصالها بواسطة قلب الجفن الى أعلى فاذا برزت تلك اللحمة قطعوها ثم ذروا عليها شيئاً مما يعرفونه فيأمرون المريض باطباق عينه مدة كافية كاجراء وقائي •

الحَمَرَة :

حمرة يحدث في العينين فيحدث التهاباً شديداً يجعل المريض لا يستطيع فتح عينيه ، وكثيراً ما يصاب به الانسان بمصاحبة مرض الحصبة ، وعلاج الحمرة الناجع تخميس الرأس بالكي كما ذكرنا في الصداع ، ولكن الكي ــ كما يقولون ــ مكروه ، وقد يرفضه المريض ، عندها يلجؤون الى الحمية عن الأشياء التي يسمونها ناقضة ، ذكرت في الطب الوقائي •

الجلجل :

الجلجل ، ويسمونه الجليجل : بثر صغير يخرج في رمش العين كحبة صغيرة شديدة الألم لا يستطيع الانسان أن يفتح

عينه الا بصعوبة ، ولم اسمع له علاجاً عندهم غير ما يعمله الصبيان ، وهو أن يغموا عيني المصاب فيقودوه دائرين به على البيوت وهم يقولون : عطوا الجليجل حقه والا رماكم بزقّه ! ويحملون معهم من دمن الحمير أو الجمال ما تعافه النفس ، فاذا لم يعطوا قذفوا به في بيوتهم ! وخوفاً من ذلك تسرع النساء لاعطائهم مما في البيوت ، فيتكون لهم خليط عجيب من تمر وحب وطحين وغيره ، فاذا فرغوا جلسوا في مكان ما وطبخوا ما يحتاج الى طبخ مما جمعوا فأكلوا ذلك،ويزعمون أن المصاب يشفى بعد ذلك ، وقد رأيت مرة الأولاد يقودون شيخا معصوب العينين بطريقة مضحكة ! كل ذلك طلبا للشفاء .

٣ ــ الأمراض الجلدية :

الجروح : اذا أصيب أحدهم بجرح متقيح عمدوا الى غسله بالمطهرات ، وهي عندهم مطبوخ قرم(١) السمر ، أو ورق الشث أو العرعر ، ونحوه ، فاذا نظف الجرح ذروا عليه أحد الذرورات المتعارف عليها عندهم ، ومن أهمها مسحوق لحي الجمل ، يحرقونه في النار ثم يدقونه وينخلونه فيذرون به الجرح حتى يغطيه ، فاذا لم يجدوه ذروه بفتيت الدمن المحيل ، وخاصة دمن الغنم لنعومته ، وفي المدة الاخيرة صاروا يضعون البودرة والأدافور والمراهم ، وكلها حديثة ، مع أن الطب العربي القديم يعرف المرهم واستعمل في عصور متقدمة ، ويمنعون المجروح من شم العطور،ويقولون:انها تعفي الجرح، وكذلك يمنعونه من غسله بالماء العادي وقت الشتاء ، أما في الصيف فيعتبر الماء دواء .

---

(١) القرمة : بضم القاف ، جذر الشجر الذي مر عليه زمن وهو يابس .

أما اذا كان الجرح ينزف دماً أي قطع سكين أو آلة حادة فان أنجع علاج له هو « الجاوي » معروف عند العطار يسحق ويحشى به الجرح فيشفى من حينه ٠

الدمامل :

الدمل العادي يسبخون عليه العجينة ـ من قمح أو ذرة ـ المخمّرة المخلوطة بالبصل ، فلا يلبث أن يتقيح فيبرأ ، وكثيراً ما يتركونه للزمن !

العنكبوت :

نوع من الدمامل حاد الالم لا يصيب الا في المفاصل وخاصة أصابع الايدي والارجل ، وعلاجه أن يدق الثفاء ـ الرشاد ـ ويطبخ ثم يسبخ به على الدمل ، أو تشوى بصلة فتفرغ من الداخل فيدخل الأصبع فيها فيتقيح ، فاذا تقيح لا بد من عصره بشدة حتى تخرج بيضته ، وبيضته حصدة أكبر من حبة الذرة البيضاء ، اذا لم تخرج يظل يتجدد الالم ، واذا خرجت برىء الجرح ، فاذا خرجت البيضة يكوى العضو في مكان يعرفه الطبيب ، فاذا لم يكو أصيب بالصبَّة ، وهي صغر في ذلك العضو يجعله لامشلولا ولا سليماً ٠

والدمامل عموماً اذا اشتد ألمها ولم تنبعج عملوا لها عملية جراحية ، وهي « وضع المخيط أو آلة تشبهه في النار حتى تصير حمراء من شدة الحرارة ثم يدخلونها في الدمل من رأسه » وبذلك يتفرغ مما بداخله فيبرأ ٠

الواكـلة :

نوع من الدمامل الضخمة يخرج تحت سيف اللحـي أو مؤخرة زاويته فيأخذ في الانتفاخ حتى يصبح مثل « الحدرة » ٠

وعلاجه رأيتهم يرشونــه بكيات صـغيرة برأس المخيط ويجعلون فم الجرح خالياً من الكي ليعطوه فرصة الانبعاج،وقد يستعملون له العملية المتقدمة ٠

القوَبـة :

أثر في الجلد ليس جرحاً يصد ولكنه على شكل بحصـة يتوسع بشكل دائري كقطعة النقد ، وهـي عندهم من نـوع الأكلة الخفيفة ، ومن أغرب ما رأيت أنهم يمسكون الخنفس فيقطعون رقبته ويضعون نخاعها على تلك القوبة فتبرأ ، ولها علاج آخر ، وهو « يقوم أحد أهل العلم بكتابة آيات من القرآن الكريم عند الغروب بماء الزعفران على حواف القوبة » فتبرأ٠

الأكلـة :

جرح يظهر على جلد الانسان ثم يأخذ في التوسع دائرأ غائرأ في اللحم حتى يلحق العظم ، ويسميها بعضهم « السّلعة » فليس لها دواء الا أن يؤتي بآلة على حجم فوهة الجرح مهما كان كبيرأ فيكوى بها ، أو أن يدار عليها دائرياً بالكي البليغ ، وفي الطب الحديث يبترون ذلك العضو حتـى لا تسري في باقـي الجسم كالسرطان ، وقبل سنوات زار طبيب عربي المستشفى الحكومي بجدة يعود صديقاً له، ورأى بعض الحاضرين مهموما، فسأله فقال المريض : أصبت بأكلـة في ابهـام القدم ، وظـل

الأطباء يعالجونه بدون جدوى حتى أكلت كل الأصبع ودخلت الى عرش الرجل فقرروا قطعها من عند الكعب ! فعرض عليه هذا الطبيب أن يعالجه ، ورغم ما كان يشعر به المريض من يأس وافق وطلب من المستشفى تأجيل العملية ، فذهب الى الطبيب العربي في بيته فكواه ، وحماه أسبوعاً ، عوفي تماما بعده ، فذهب الى المستشفى يريهم ما حدث ، وفعلا أبدى أطباؤه تقديرهم لذلك الطبيب ، وهذا الطبيب يدعى مغني العرادي ، بدوي يسكن ضواحي جدة ، تفد اليه عشرات السيارات من مكة وجدة،حتى صارت عيادته مذكورة مشهورة٠ ومن غريب أمر مغني أنه اذا جيء له ببعض المرضى يعطيهم علاجاً مجاملة ، ويسر الى مرافق المريض بأن مرضه الأجل المحتوم ، وفعلا حدث ذلك مرات ، وقد عالج انفصام الظهر بمهارة عجزت عنها المستشفيات في الخارج ٠

الحبّة او العدسة :

دمل صغير يخرج غالباً في وجه الانسان ، فلا يلبث أن ينتفخ وجهه فيموت ، ولم يعرفوا لها علاجاً ، ولا أعرف اسمها بالطب الحديث ، غير أنها عندهم رسول الموت ٠

قبلة الحمّى :

حبة تظهر على قم الاتسان بكرة ابلاله من الحمى ، وهي معروفة من قديم الزمان ، قال أبان بن عبد الرحيم اللاحقي يهجو محمد بن خالد الثقفي وكان جاراً له ، من قصيدة هجاء :

ومـا هــذا على فيــك قــلاع أم دمامــل

أم الحمى أحبتك فهذا البثر تقبيل !؟[1]

الجرب :

نوع من الشرى يصيب الانسان والحيوان مصحوباً بحبوب صغيرة ، وعلاجه في الانسان الملح المعجون بالماء ، فـاذا جف الجلد يدهن بما يلينه ، ثم يعاد الملح الى أن يشفى ، وهو مرض معد ، ينتقل بين الناس والبهائم سريع الانتشار •

الجدري :

يعزلون المريض ثم يأتون بشخص قد أصابه هذا المرض يسمونه المجدر ، فيقوم بتمريضه « تجديره » فيعالجه بغسله بالدباغات ـ المتقدمة في الجروح ـ ثم يضع الملّة على الجروح المتقيحة[2] ، ويخرجه في الرمضاء ، ولكن هذه العلاجات شيء لا بد منه وليست ناجعة ، وقد يصاب المريض بالعمى والعقم •

ولا يبعد عن ذلك علاج الحصبة والعنقز مع أنهما أخف كثيراً من الجدري •

والجدري لا يعود على من أصيب به ، غير أن أطباء الطب الحديث لا يعترفـون بذلك ، ويقولون : ان الحصبـة فقط تعتق ، أما الجدري والعنقز لا يعتقان ، والمشاهد أنه لم يصب شخص واحد بالجدري مرتين •

---

(١) كتاب « الاوراق » للصولي ج ٤ •

(٢) ما تحت النار من رماد حار •

البرص :

ويسمى البهاق ، مرض جلدي يجعل جلد الانسان أبرق به بقع بيض تكبر أو تصغر على قدر قوة المرض ، يقال : ان من أهم أسبابه اتخام المعدة بالطعام ، وهو ينتقل وراثياً فيتحاشى كثيرون التزاوج مع البُرص ، وليس له أثر رجعي ولا مضاعفات على المريض ، وكل ضرره نفسي ، وليس له علاج عندهم ٠

لدغة الأفعى :

يعالجون لدغات الأفاعي والحيات بعلاجات كثيرة ، منها :

شرط محل اللدغة بالموسى ، ومصه بالفم لجذب السموم من الجسم ، ولكن أول عمل يعملونه هو ربط العضو الملدوغ مما يلي القلب ، لمنع سريان السم اليه ، والحجامة اذا أمكنت لنفس محل اللدغة ، والشث : نبات معروف ينبت في السراة وفي الجبال العالية ، يقطعون أوراقه وييبسونها ويسحقونها ، فاذا لدغ انسان عجنوا ذلك المسحوق وطبخوه على النار ثم سبخوا به مكان اللدغة فيشفى باذن الله ٠ كرش الذبيحة : يشبون ناراً في حفرة حتى يكثر جمرها ويصير يتوهّج ، فيضعون رجل الملدوغ ـ وهي غالبا ما يلدغ لكون السوام تمشي على الأرض ـ في كرش الذبيحة ويربطون عليها جيداً فيضعونها في تلك الحفرة الملتهبة ، ويدمون التراب من حولها حتى تصير مدفونة تماماً الى هبرة الساق ، فيظل المريض يشعرهم أنه لم يعد يطيق صبراً على تلك الحال ، وهم يمنونه اخراجها ، الى أن يغمى عليه أو يكاد فيحفرون عن رجله ويخرجونها فيشفى ٠

وهنـاك أناس مختصـون بالرقيـا على لدغات الحيـات، والأفاعي ، وتكون رقياهم ناجحة ، الا انهـا موروثة يخـرج بعضها عن المشروع ٠

السَهرة في السابع :

اذا لـدغ ثعبـان انسـاناً وشـفي وجـاءت الـليلة السابعة لتلك اللدغة اجتمع الحي عند الملدوغ يساهرونه حتى تطلع الشمس ،وهوبزعمهم ان نام حلم بأن تلك السامة لدغته مرة أخرى فيموت .

لدغة العقرب :

اذا لدغت أحدهم عقرب عمدوا أولا الى ربط العضو مما يلي القلب ، ولكن العقرب ليست كالأفعى ، فكثيراً ما تلدغ الانسان في أماكن يصعب ربطها ، كالظهر أو المؤخرة وغيرها ٠ ثم يعمدون الى شرط الموضع ومصه ، فان تعذر ذلك وضعوا على الموضع ملحاً أو ثوما ، فيظل السقم مدة فيزول ٠

وهناك من يرقى العقرب أيضاً، فقد لدغت مرة في الجموم بمر الظهران فجيء لي برجل لا يحسن قراءة الفاتحة ، فأخذ عـوداً وصـار يمرره على أصبع رجلي الملدوغ ويتلو شيئاً لا أسمعه ، وما هي الا لحظات فاذا بالالم ينحدر من جسمي حتى يعود الى نفس الأصبع ، وبعد سـاعة صرت أمشي ، ورفض اخباري ذاك الراقي بما رقى به ٠

٤ ــ الأمراض الباطنية :

الاسهال : يعالجونه بخلط البن المحمص المدقوق بالليمون

وجعله عجينة رخوة ثم يبلعه المريض فيتوقف الاسهال، ويأمرون بالامتناع عن الدهنيات كاللحم والسمن ٠

الامساك :

اذا أصيب أحدهم بالامساك سقوه شَرْبة ، والشربة أنواع شتى ،فمنها : السنا المكي : ييبس ويدق فيسف ، أو يطبخ بدون دق مع بعض التوابل المزيلة لرائحته وطعمه الكريهين ، وقد يؤكل ورقا يابسا مع الزبيب ، وهذه الطريقة أمثل من غيرها ، فلا يكون له طعم مر ولا رائحة كريهة ٠ ثم يؤمر بعده بأكل الملينات ٠

والشِّبْرِم :

وهي شجيرة زاحفة كثيراً ما تنبت في المسارب ، يقلعونها ويأخذون قرف عروقها فتيبَّس وتدق فتسف أو تخلط مع اللبن أو الحليب فتشرب ، ويحرصون اثناء قلعها ألاّ يلتوي عرقها ، ويقولون : اذا التوى العرق يصاب شاربها بالمغص ٠

والحدج :

بعضهم يأكله،وهو لا يساغ مرارة ، ومن امثالهم: أمر من الحدج ، والأمثل من ذلك شي الحدجة في النار حتى تسخن جيداً ثم تقطع مع النصف فيضع الانسان باطن قدمه على داخل الحدجة المقطوع ، فيصاب بالاسهال فوراً ٠ وكثيراً ما ينصحون الانسان بالملينات ، كالتمر واللبن ٠

أما اليوم فقد انتشرت المسهلات كالملح الانجليزي ونوع من الحلاوة تسمى « فملك » وغيرها من المصنعات ٠

الحمى وأنواعها :

غالباً ما تحدث الحمى من جراء المياه الوبيئة أو من تفاعلات داخل الجسم •

وحمى الوباء تكون على اشكال وورود ، فمنها الغِبِّية : وهي تأتي الانسان يوما بعد يوم ، ومنها الرِّبعية : وهي تأتي الانسان يوماً بعد يومين ، وفي طبيعة فعلها بالانسان منها النفاضة التي تجعل الانسان ينتفض ويبرد حتى توضع عليه أغطية كثيرة ، وهذه لا شك هي الملاريا في الطب الحديث •

وليس لديهم علاج للحمى ، غير أن بعض المشعوذين يذهب مع شروق الشمس فيأتي بشي يضعه في عضد المريض يسمونه عرق الحمى ، وقد أسر لي بعضهم أنه مجرد ايهام المريض بالعلاج ! ومنهم من يذبح قدياً فيوزع لحمه على الناس صدقة عن المريض ، وهو أمر مشروع مأثور • ويعمل بعض المشعوذات ما يسمى « المِسْحة » وهي أن تحضر الى المحموم فتأخذفي سجع سخيف كقولهن : جيتكم من قبلة وحتيتكم حت الحبلة ، وجيتكم من شام وحتيتكم حت البشام ، وجيتكم من مشرق وحتيتكم حت العشرق ، وجيتكم من حدر ولا لكم عند اللهقدر!ثم تتثاءب وتشبر يدها اليسرى بشبر يدها اليمنى ، وهي تزعم أنها بذلك تعرف ان كان المريض أصيب بعين ذكر او انثى،وقولها : جيتكم ، تخاطب من يظن انهم اعانوه . وقد انتشرت اليوم شجرة الكينا « الكافور » وهي علاج ممتاز يشرب ماء ورقها •

الغويشية :

مرض يصيب البطن يغشى الأمعاء يعرفه طبيبهم بالجس على الريق صباحاً ، ويداوى بالكي كيات معلومة على البطن ٠

القحيفة :

وهي الزائدة الدودية ، يحمون مرقاماً ــ مسمار رأسه دائري بقدر اصبعين ــ ثم يكوون القحيفة على الموضع المعروفة فيه ، ثم يحمى عن الاكل الا السوائل وما شابه لمدة أسبوع فيصير معافى، والاطباء اليوم يكافحون الالتهاب أولا ثم يجرون عملية استئصال ، ولا أدري كيف الكي يكون علاجاً مع ما فيه من حرارة ؟٠

وحكى لي أحدهم أنه رأى من يشكها جانباً بمخيط فيه خيط خشن ، ينفذ المخيط في الجلد من جهة ويخرج من جهة أخرى ماراً بالزائدة ، وكلا الجهتين عرضية أي يصير المدخل والمخرج بينها قرابة ثلاث قفال ، ثم يخرج ذلك الخيط فتظل الزائدة تصد مع الثقبين الى أن تفرغ فتبرأ ! وهو علاج غريب لا شك ٠

الشرية :

نبتة تخرج في داخل البطن ثم تأخـذ في التمدد فيصاب المريض بالحمى ويفقد شهية الطعام ، فيقصها الطبيب صباحاً على الريق فيكويها بما يعلم ، ويحمى المريض مدة طويلة ، وهم يقولون : انها تنتشر في الجسم على شكل شرية الحبحب فتظل تمتد الى أن تكوى أو تقتل الانسان ، وصاحبها يظل منتفخ البطن ٠

الطحال :

طحال الانسان في آخر الخصر من الجهة اليسرى قريباً من موضع الكلية ، فاذا أصيب بتورم أخذ بالتمدد حتى يملأ البطن كله ، ويأمرون المريض بالمشي في الرمضاء حافياً ، والنوم على الجنب الأيسر لمنعه من زيادة التمدد ، وأنجع علاج له عندهم ــ رأيته ــ كية واحدة كبيرة عند آخر أقصر الضلوع من يسار الانسان . ثم يحمى عن الحالي والحامض وكل ناقض .

والمطحول يكون منتفخ البطن قصير النفس لا يستطيع المشي .

المغص :

لا شك أنهم مدركون أن أصل المغص غالباً التسمم ، ولكن علاجاتهم محدودة ، غير أنها كثيراً ما تكون ناجعة ، ومن ذلك : سقي المغوص عصير الليمون فان لم يوجد طازجاً لا تخلو بيوت عجائزهم من ليمون مجفف يمرس في الماء فيسقى المريض ، والعشرق : نبتة تشبه السنا المكي ، غير انها أكبر ورقاً وأصغر شجراً وأخبث ريحاً ، لا [illegible]اد تلمسها بيدك حتى تشم رائحة عفنة فيها ، وهي علاج ناجع ضد جميع السموم ، فتحضر ويرضخ ورقها الأخضر فيوضع في ماء يشرب فيسلم المغوص .

والطبيخ :

وهو الزهو من النخل يطبخ حتى يتغير لونه ، ثم يجفف فيجمع في قلائد ويحتفظ به فاذا أصيب أحد بالمغص أو التسمم أعطي منه ، فاذا أكله خفف عنه الألم .

التقيؤ :

لاسعاف المتقيء يشدون على أعلى معدته شداً لطيفاً ، ثم يسقونه عصير الليمون الطازج أو الناشف ، فاذا لم يوجد أعطوه الفلفل ، وكذلك الطبيخ المقدم ذكره ، فان عاوده باستمرار بحثوا له عن عسل ، وهي من أحسن العلاجات ، فاذا ظن أنه تسمم أسقوه ماء العشرق •

المَوَج :

هو أن تدول الأمعاء في جهة من بطن الانسان فيقولون « شواؤه مائجة » ويحس الانسان حينئذ بآلام شديدة في بطنه وتسوء صحته ، فيقوم طبيب القوم بدهن البطن صباحاً على الريق ، ثم يظل يمسده مسداً خفيفاً عدة أيام ، يعود بعدها الى حالته الطبيعية ، فاذا لم يشف استعملوا له الجَرَة ، وهي نوع من الأوعية كان يصنع من الأشياء رديئة التوصيل وغير قابلة للاشتعال كالفخار مثلا ، يكون مستطيلا ذو فوهة ضيقة نوعاً ، فيأتون بشمعة فيشعلونها ويقعدونها على سرة المريض ، ثم يأتون بذلك الوعاء فيضعونه عليها بحيث تنطبق فوهته على البطن فلا يترك مسرباً للهواء ، فتأخذ الشمعة في الاحتراق مفرغة الهواء الداخلي ، وعندها تأخذ الجرة في شد البطن الى داخلها فيجتمع من الطرفين منحجماً الى الداخل ، فاذا تجمع فوق السرة قلعوا الجرة ومسدوا البطن يميناً وشمالا ، ويستمر هذا ثلاثة أيام مع اعطاء المريض راحة ومنعه من حمل أي شيء ثقيل •

الهبوب :

مرض يصيب الانسان بنفخ في البطن وتنفّخ في باقي أنحاء الجسم فتسوء حاله ، فلا يعود قادراً على عمل شيء ، ويعالجونه بماء القرظي ، وهو شجرة تنبت في شعاب تهامة متلبسة بشجرة أخرى ، وقد تعيش منفردة ، يحفرون عن عروقها فيأخذون قرفها ، فييبّس ويدق فيعطى المريض مغلياً، ولمرارته الشديدة يخلط باللبن ، واذا داوم عليه المريض صار يشتهيه ، وله رائحة خاصة محببة ، فاذا لم يوجد القرظي أو لم يشف المريض عليه عمدوا الى علاج غريب ولكنه ناجع، ذلك هو بول الحمار! ولتفادي كراهية المريض له يتركونه يبول في أرض نظيفة ثم يأخذون ثراه فيصبون عليه الماء فيشخلونه فيشربه المريض فيشفى ·

٥ ــ الأمراض الصدرية :

السعال العادي بأنواعه :

يعالجونه بمغلي الزنجبيل والحَسَاء بالفلفل ، ثم يغطون المريض حتى يعرق ، وقد يجعلون تحت لسانه كسرة زنجبيل ، ويمنعونه عن الحلا ، وعدم النوم على الظهر ·

ذات الجنب :

وهم يفرقون بين الجنب والجنبة ، بالتأنيث ، وللجنب كيات بالغة في الصدر والجنبين ، وللجنبة كيات منها اثنتان على جانبي الرقبة على الوريدين الأيمن والأيسر ، ثم يحمون

المريض عن النواقض[1] ولا علاج عندهم لهذين المرضين غير الكـي ٠

الربـو :

ويسمونه «الصدر» ويداوونه بمغلي الشكاعي فيشربه . أو أكل الغـُلـَّـثـِي اليابس : وهو نبت يكثر في الحرار له رأس أسود يسمونه رأس العبد ، اذا أكلته الغنم صرعها فصارت مغلوثة ، وقد تموت ٠

السعال الديكي :

ويسمونه « القحيقحان » : وهو يأخـذ الأطفال ، سريع العدوى بينهم ، ولم يعرف له الطب الحديث ـ حسب علمي ـ سوى المهدئات ، وكذلك عند عامة الشعب يعالجونه بالحمية عما يعرفون أنه يزيد في المرض ذلك ٠

السـل :

ويسمونه : « أبو باري » لانه يبري الانسان كما تبرى المرسمة أو القوس فيجعله هزيلا ثم يأخذ في تناقص مع سعال خفيف حتى يموت، وعلاجه عندهم كي معلوم وحمية عن أطعمة معينة لمدة قد تصل الى سنة كاملة ، وقد شاهدت بعضهم قد شفي تماماً ٠

---

(١) النواقض في باب العلاج الوقائي ٠

الفجور :

خرم تظهر في الجوش بين الضلوع ، من جراء حمل ثقيل أو ضعف بنية المريض ، ويعالجونها بابتلاع ما بداخل بيض الدجاج نيئاً ، وكثيرهم يعافه ، وكذلك يعالجونها بسبخ مدقوق الثفاء بعد تسخينه ، ويكوون المريض كيـات يعرف الطبيب مكانها من الجس ٠

٦ ـ الأمراض البولية والتناسلية :

الحصر :

يعالجون حصر البول بالبقدونس، يأكله المريض أكلا أو يعصر فيسقى ماءه ، ويعالجونه بصب المـاء البـارد على القدمين والاكثار من أكل المدرات الباردة ٠

السـرّدة

مرض جنسي خبيث شبيـه بالحصر ، ينتـج عن علاقات جنسية مشبوهة،ويقول بعضهم :انه ينتج عن الاحتلام،وأعتقد أنه غير صحيح ، واذا باشر المصاب بالردة انتقلت العدوى الى القرين ، وعلاجه كية معلومة لدى أطباء البادية وعلاج آخر قيل : انه ناجع ، ولكنه غير وارد هنا ! ٠

الشجار :

وهو الزهري : ينتقل بالعدوى ، ووجوده لدى الحجازيين نادر ٠ ولا يوجد له علاج لديهم غير الكي ، وعزل المريض ٠ ولكن علاجه اليوم بالأدوية الحديثة متيسر ٠

العقـم :

العقم الدائم لا يحاول أحد علاجه ، أمـا العقم العارض وخاصة في النساء فلديهم محاولات لعلاجه ، منها : شرب ماء الشكاعي ، وهو نبت يخرج في البادية ضعيف شوكي يشبه العلقاء ولكنه اصغر منها حجماً وأقل اخضراراً ، ييبسونه ثم يطبخونه فيسقون المرأة ماءه ، فقد تحمل ، والفقع « الكمأة » يطبخ ليلا ثم ينجّم أي يترك مكشوفاً للنجـوم الى الصباح ، فتأكله المرأة وتشرب ماءه · فتحمل اذا شاء الله ·ومسد الموج كما في الأمراض الباطنية ، أما الرجل العقيم فعلاجه غريب ، وهو أن يتزوج زنجية ! ويقال : انها تحمل منه ·

وقد شاهدت أنا رجلين من قبيلة عتيبة أسودين يرفض أقاربهما أن يزوجوهما ، فسألت عن السبب فقيل : ان أباهما كان عقيماً فتسرر جارية له فأنجبت هذين ·

والقول شائع في انحـاء الجزيرة ، والله أعلم بالصواب والأسباب ·

وترى في البادية الرجل العقيم وله بنت غالبا ، وقد يكون له ولد واحد ، فتسأل فيقال لك : بيضة عقم ! وهو في عرفهم أن الرجل العقيم يحمل زوجته مرة واحدة في العمر قد تتقدم وقد تتأخر ، وهي بيضة في عرفهم وحيدة لا قبلها ولا بعدها ! والله أعلم ·

٧ ـ أوجاع العظام :

الكسور : لهم مهارة في التجبير لم يستطع الوصول اليهـا الطب الحديث ، وقد شاهدنا من يجبر في المستشفيات فيخرج

وبه عرج أو قصر عضو فيعمد أطباء البادية الى كسره مرة أخرى ثم يجبّرونه فيلتئم العظم حتى يعود كما لو لم يكسر ٠

وصفة تجبيرهم : يمسك الطبيب العضو المكسور فيأخذ في تصفيف العظام من وراء الجلد حتى يعيدها كما كانت ، فيلف عليها من وبر الابل أو صوف الضأن ، وصار اليوم القطن ، فيأتي بقرفتين من قرف الشجر الصلب يكون حجمهما يتلاءم وحجم العضو المكسور ، فيضعهما متقابلتين ، فيأخذ خيطاً معداً لذلك فيظل يشد بعضهما الى بعض فيربطهما، ويعطي المريض أمراً بعدم الحركة مدة كافية قد تصل الى أربعين يوماً ٠

ويطعم اللحم طعاما رئيسيا ، فاذا جبر كوي عن الصبّة ٠

واذا كان الكسر في الظهر أو الفخذ مما يلي المقعد أو نحوه ، فلديهم طرق عديدة لجبره ٠

الفك :

هو اختلال في مفصل من مفاصل أعضاء الانسان ، وعلاجه كية واحدة أو كيتان يعرفونها ، ولا يعرف له علاج غير ذلك ، والمفكوك اذا كوي يشفى بسرعة ، ومن امثالهم : (كية على فك) يضربونه للعلاج الناجع السريع ٠

ألم الركب :

من أنجع علاجاته السبخة بمرضوض ورق العِشْرق ٠

الم الظهر :

له علاجات عديدة حسب استنتاج الطبيب ، منها : يعطى مسحوق اللك في عسل أو نحوه ، والثفاء مع العسـل أيضاً ، والبيض النيء ، وآخر الطب الكي ! وهو من امثالهم • ومريض الظهر مع كل تلك العلاجات ينصحونه بالراحة •

الانفصام :

مرض مستعص يصيب النساء غالباً عند الولادة ، والطب الحديث يجعل علاجه حزاما للظهر ، ومرة رافقني رجل من الرياض الى مكة بطريق البر ، وكان طيلة الطريق مهموماً متذمراً من اجراءات وزارة الصحة ، فسألته فقال : ان زوجته أصيبت بالانفصام مرتين على ولادتين متتاليتين ، وقد أرسلت كل مرة الى القاهرة فوضع لها حزام ، وهي الآن تستعد لوضع حملها الثالث ، وهي كارثة كبرى •

لم أستطع مساعدة هذا البائس غير اني من باب الرجاء أو التخفيف نصحته بمراجعة مغني العرادي •

ومرت مدة لا أتذكرها ، وذات يوم فاذا بشاب يتقدم الي في سوق الغزة بمكة ويعتنقني اعتناق الملهوف على ابنـه ! فدهشت لذلك ، فسألته من يكون ؟ فقال : خويك (رفيقك) من الرياض في كذا ـ وذكر التأريخ ـ وهذه زوجتي تسير على قدميها معي ! فنظرت خلفه فاذا بشابة في أحسن صحتها •

فقال الرجل : انه ذهب الى حيث ارشدته فنالت زوجته الشفاء ، ولم يكن المقام مقام سؤال عما عمل لزوجته . ولا أعلم ذلك العلاج •

٨ ـ أمراض النساء والولادة :

يتعفف رجالهم عن معالجة النساء مالم تجبرهم الضرورة، فاذا كان لا بد من ذلك أتوا به بأقصر الطرق وأيسرها ، ففي الكي ـ مثلا ـ كثيراً ما يثقبون ثوب المرأة فوق موضع الكية ليتسنى للطبيب كيها دون النظر الى شيء من جسمها ، ولكن قد يحدث غير هذا كما سترى بعد قليل ٠

الولادة : لديهم قابلات متمرسات على اساليب التوليد ، وليست لديهم عقاقير لذلك ، وكل عملية الولادة تتم بتسهيل المَوْلى عز وجل ، فاذا ولدت المرأة اسرعن الى بطنها فشددنه برباط ثم قدم لها طعام على شـكل حساء تكثر فيه التوابـل الحارة ، ثم يعمدن الى الطفل فيقطعن سره ويغسلنه بماء ساخن نوعاً ثم يلف بأردية نظيفة ، وتبقى المرأة مدة في حالة راحة ، ولا يقربها الرجل مدة اربعين يوما ، وخلال مدة ليست قصيرة تعطى المرأة النفساء في معظم أكلاتها أو كلها ـ ان استطاعت ـ أدوية تجمع وتسحق فتخلط لها ، وهي حسب تجاربهم تعيدها كالبكر ٠

وهذه الأدوية هي : اللكّ ، والصك ، وفلفل الهواء ، والكلى ، وهي ليست بكلى حيوان ، ودورة القمر، وعرق الظهر، والكسبرة ، والحلبة ، والنانخة ، والشمر ، والحبّة السوداء ٠

ومن المرغوب أن تخلط مـع العسـل على الريق ، وقـد يعطونها الثفاء منفرداً مع العسل علاوة على ما تقدم ، وهذه ، الأدوية معروفة عند العطارين ٠

ويبادر النساء بتقديم وجبات طيبـة للنفساء يسمونها « نفاسة » ٠

عدم الحمل : انظر : العقم قبله ·

التعسير : وقد تتعسر ولادة امرأة ما ، وفي الوقت الذي لم تكن فيه مستشفيات كانت مثل هذه المرأة على قاب قوسين من مصيرها المحتوم ، ولو أن الموت لا يتقدم ولا يتأخر ، ولأن الناس لا بد باحثون عمن يعالج مريضهم فكانوا يذهبون للقراء الذين يكتبون لهم مالا أعلمه ، غير أنه كثيراً ما يصادف قبولا ·

وذات مرة كنت بالبادية فاذا بشخص أقبل وعلائم الأسى على وجهه ، فطلب محادثتي على طرف ، فبرزت له فقال : تكفي ! عندنا مرة معسرة من البارح ، أكتب لنا ما يسهّل ولادتها! وقد فوجئت بهذا ولم أكن ممن يتعاطى هذه الكتابات، غير أن المسكينة في حاجة الى عمل شيء ولو من باب المشاركة والمواساة ، فأخذت ورقة وكتبت فيها « ان مع العُسْرِ يُسْراً ان مع العُسْرِ يُسْرا » فقلت : ضعها في ماء واسقها المرأة ! ولم يمض الا وقت يسير فاذا بالرجل يقبل فيكنع علي ليسر لي: « تسهلت الحمد لله ! » وحمدت أنا الله أيضاً ووجدت راحة نفسية ·

واذا لم يجدوا قارئاً بحثوا عن شخص يكون بكر أمه وأبيه فيأخذون منه شيئا كثوب أو نسعة فيضعونه على المرأة المتعسرة ، وهو بزعمهم يسهل ولادتها ·

الخُلْف :

تسمعه كثيراً في البادية ، وهم يقولون : ان المرأة الحامل قد تحمل شيئاً ثقيلا فيموج الجنين يمينا أو يسارا فيظل مستكناً في رحم

أمه لا يكبر ولا تلده ربما عدة سنوات! فتقوم النساء بمعالجتها بالمسد حتى يعتدل فيأخذ عدة جديدة ثم تضعه ، وقد يترك فيعتدل كما اختلف بحادث مصادف · والواقع اني رغم اصرار النساء المجربات على صدق هذا القول ، أجدني أتحفظ في الجزم بحدوثه ، والله أعلم .

٩ ـ الأمراض العصبية :

اللقــوة :

مرض يصيب الانسان في الوجه فيلويه ، ويصيب العــين التي في جهته بشلل فلا تغمض ، ويرتخي الفــك ، ويسمونه « أبو وجه » ولم يعرف الطب الحديث له غير مقويات الأعصاب فيشفى الانسان وبه أثر ظاهر من التشويه ·

غير أن الطب الشعبي أكثر نجاعة كما هو أكثر صعوبة على المريض ، فهم يعمدون الى عرق يعرفونه فيكوونه ، ثــم يدخلون المريض في مكان مظلم لا يرى الصدف فيه فيبقى هنالك مدة لا تقل عن أسبوع مع حمية عن الموالح ، فيشفى شفاء تاماً لا يبقي فيه لذلك المرض أثر .

الاختلال الذهني :

ويسمونه « الجنان » ويرجعونه كله الى مس الجن ، وقد يكون في بعضه صدق غير أنه ليس كل اختلال عقلي جنان ، وهم يداوونه لدى فقهاء يقرؤون عليه القرآن فيشفى غالباً بل ان من الجن من يتكلم قبل أن يصلوا به ذلك الفقيه ويخرج هارباً فاذا المريض معافى ·

ولكن البعض لا يشفى على أيدي هؤلاء الفقهاء ، وهو دليل على أن هذه الحالات عصبية وليست جنونا •

وهناك مرض يسمونه « الضّيقة » يصيب الانسان بعبوس وضيق في الصدر ، ومثل هذا يجعلون له حرزاً يقول الفقهاء : انه من القرآن •

وتعليق الأحراز والتمائم غير جائز البتة في الاسلام « من علق تميمة فلا أتم الله له » •

أعمال نادرة لأطباء العرب

حكى بدوي قال : سافرت على بعيري فرافقتني امرأة ليست من قبيلتي على بعير لها، وكانت المرأة حامل، وفي الطريق بتنا ، وعندما لاح الصباح قمت أحمل على بعيري ، ولاحظت أن رفيقتي جالسة لا تتحرك ، فلما استفسرت منها قالت : اذهب فانا هذا مكاني • فحاولت اكتشاف الخبر فأصرت أنها لن تبرح وأن قبرها سيكون في هذا الموضع • فاقتربت منها فاذا مولود مسجى بجانبها ، فقلت : ما دمت نفاساً نقيم . قالت : لا ، أنا سأموت بعد وقت قصير ! قال : فعرفت أو قال : أخبرتني بالذي بها فاذا الرحم قد سقط مع المولود ، فقمت فأنخت الجملين بشكل متوازيين وأحضرت من قرم السمر فدققت ذلك وطبخته وجعلته يبرد فأخذت المرأة وشددت كل رجل من رجليها الى احدى الجملين ، وجعلت جسمها الى أسفل ثم غسلت الرحم جيداً ودهنته بالسمن ثم أعدته الى موضعه ،

فشددت فخذي المرأة جيداً الى بعضهما وأضجعتها وأمرتها ألا تتحرك ، فأقمت على ذلك ما شاء الله ، فاذا المرأة قد عوفيت ·

وفي جدة طارت حبة أرز في خياشيم أحدهم فراجع المستشفيات فقرروا له عملية جراحية ! فذهب الى طبيب شعبي ، فتناول هذا مدقوق الفلفل الاحمر فأعطاه المريض وقال : انشق ! فنشقه المريض فعطس عطسة أخرجت تلك الارزة من موضعها فشفي ·

وفي القريات حدثت نفس الحالة ، وعجز مدير المستشفى وغيره عن ذلك وقرروا تحويل المريض الى جهة أخرى ، وحضر بدوي فأخذ أنبوبة رفيعة مجوفة فأدخلها في أنف المريضة حتى وصلت الموضع الذي يريد ثم مصّها بشدة فخرجت تلك الحبة والأطباء ينظرون !

وفي قرية الحناكية كان مريض يشتكي صالباً مزمنا في رأسه ، فقال طبيب شعبي : ان ما تشكو منه عرق بطرف الجبهة يحتاج الى فصد ، فلم يرض المريض وأخذ يراجع المستشفيات فقرر تحويله الى لندن، وهناك أجريت عملية استخرج بموجبها العرق الذي أشار اليه البدوي ·

من كل ما تقدم ترى أن هؤلاء الناس لا تنقصهم التجربة ولا الذكاء ، ولكن تنقصهم الامكانات والعلم المتطور الذي يجعلهم يداوون مرضاهم بطريقة أسهل ومؤنة أقل ·

وترى أن من قال : ان علاجهم هو الكي فقط فقد ظلمهم، صحيح انهم يعتمدون كثيراً على الكي ولكن ذلك بعد أن يعييهم المرض ، ومن أمثالهم « آخر الطب الكي » وهو يدل على أنهم يستعملونه مكرهين لا مختارين ·

الطب الوقائي

تقول الحكمة : « الوقاية خير من العلاج » ذلك أن الوقاية قد تمنع حدوث المرض، بينما العلاج بعد حدوثه ، ومن الوقاية الحمية ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الشفاء » · والأطباء الشعبيون يحاولون منع المرض بوسائلهم المتيسرة ، واذا حصل حاولوا تطويقه والحد من انتشاره ، ومن هذه الاساليب :

العزل : اذا أصيب مريض بمرض معد عزلوه وجعلوا من يقوم بشؤونه ويمرضه الى أن يقضي الله ما هو قاض ، فاذا توفي عمدوا الى ملابسه فأحرقوها تفادياً لانتشار العدوى بسببها ·

الحميــة :

لديهم لكل مرض حمية ، وخاصة ما يعرف بالنواقض التي تنقض المريض أي تعيده بعد ابلاله منكوساً ، وهذه النواقض المتعارف عليها لديهم : لحم ذي الخصية من الغنم وغيرها ، التمر ما عدا نوع منه يسمى اللبانة فهو عندهم لا ينقض ، لحم المضرع من الغنم وغيرها ، لبن المخيض ، وعنـد بعضهم حليب المجد ، وهي الوالد حديثاً ، الطعام المملوح ناقض لبعض الأمراض ·

الدهــان :

يأمرون الجميع بتعاطي دهن الرأس باستمرار ، وهــم يقولون : انه يقوي النظر ويمنع الرأس من الجفاف ويمنع ظهور القمل ، ويقولون في أمثالهم : « من خلى الدهان والكحل شباب رويده بالعمى ليا شاب »(1) • ومن أمثالهم الطريفة على الدهان قولهم : « ادهن وجه العبد ولا تغدّيه » ! ويقولون : ان من عادة العبيد اذا حصلوا على الدهن أن يمسحوا وجوههم به •

الكحــل :

وهم يأمرون باستعماله ، وخاصة لمن تقدم به السن ، وقد أشرنا آنفاً الى المثل الحاث على ذلك ، ولهم عليه قصص وأمثال في الجمال وحدة النظــر ، ذكرت بعضهــا في كتاب « طرائف وأمثــال » ومن أقوالهم أيضاً : « ما عميت عين تكتحل كــل مساء » •

عدم لمس الجرح باليد : اذا أصيب أحدهم بجرح يمنعونه من لمسه ببشرة اليد، فاذا كان لابد فليكن من وراء خرقة ونحوها، وهم يقولون : ان اليد تعفي الجرح اي تنقضه ، وهم بالطبع يحاولون منع تسرب الجراثيم من اليــد الى الجــرح ، ولكن علمهم بالتجربة ، ولهم قصة على ذلك طريفــة قالوا : كــان مجروح تقور عليه جرحه واتسع فلم يجد له دواء ، فذهب الى طبيب مشهور ، فرآه هذا الطبيب لا ينفك يلمس الجرح بيده، فعرف بلاءه فقال له : ليست المشكلة في هــذا الجــرح ولكن

---

(1) رويدك : أي تحر ، وليا : اذا •

المشكلة أنه سينبت لك قرن في رأسك ! فخذ هذا الدواء ضعه على جرحك ولاحظ هذا القرن فاذا خرج فأتني •

وذهب المريض فنسي الجرح وأخذ يتحسس رأسه بين آونة وأخرى ، فبرىء الجرح ولم يخرج القرن الذي ذكره الطبيب !

فذهب يخبر طبيبه بما حصل ، فضحك الطبيب وقال : كان سبب جرحك وعدم شفائه لمس يدك فأردت أن أصرفها ، وهاهو قد برىء •

منع المجروح من شم الروائح :

يقولون : ان الجرح يعفى من شم كثير من الروائح ، لذا تجدهم يعطون المجروح نقس حلتيت يظل يشمه منعاً لتسرب بعض الروائح اليه ، ودانوا أيام الحروب بينهم اذا جرحوا عدوا خطراً وأحضروه اسيراً ومنعتهم عاداتهم من قتله ـ وهي عادات مرعية لديهم ومن تجاوزها هتم وأعيب ـ اذا حدث مثل هذا جعلوا امرأة تتطيب بالبعيثران ويسمى أيضاً « البرك » وهو نوع من نبات الجبال حسن الرائحة ذكيها يوضع على الشاي ، ثم تدخل عليه تلك المرأة تمرضه فتقتله بهذه الرائحة حيث يتقيح الجرح ويلتهب كل الجسم فيموت •

منع المزكوم من النوم في القمراء : لأن ذلك يجدد مرضه • منع المسعول من أكل الحلوى • منع المصاب بالاسهال من أكل الدهنيات واللحم ومافي حكمها • منع المطحول من النوم على الجنب الأيمن : لأن الطحال في الجنب الايسر ، فاذا نام على الجنب الأيمن دال الطحال فامتد على كل البطن ، وكذلك منعه من أكل الحلويات وشرب الحليب •

نصح الانسان السمين بالمشي :

اذا كثر لحم الانسان وسمن نصحوه بمواصلة المشي كثيراً ، ويروون على ذلك قصة تقول : كان رجل من أهل المدينة قد سمن حتى لم يعد يستطيع المشي ، فجاءه طبيب بدوي من ضمن من أحضر لعلاجه ، فوجد أن ما به هو الربخ لا غير وعرف أيضاً أن هذا الرجل لن يمشي ــ وهو علاجه الوحيد ــ مالم تكن هناك مغريات ، فأمره بشرب حليب الابل التي ترعى الفلاة ، فاشترى الرجل ابلا وجعل لها من يرعاها وصار يذهب إليها ليشرب حليبها ، ولما تردد عليها أعجب بها وتولع بحبها وهي عادة مغروسة في كل من يرى الابل ويعايشها ، فصار يتابعها ويعنى بحيرانها ويحلب منها بنفسه ، وما شعر الا وهو يقطع المسافات الطويلة خلفها ، فاذا لحمه بدأ يخف ، وعضلاته تضمر وتشتد حتى شفي •

وقاية النقيه من النكسة :

والنقيه الخارج من المرض معرض للانتكاس ، وهم يجعلونه يواصل الحمية عن النواقض ، ويوصون بتغذيته تغذية خاصة نافعة كالاكثار من أكل اللحم اذا وجد عندهم ، وشرب الحليب، وخبز القمح، والسمن والعسل، وغيرها من المغذيات الجيدة ، ويمنعونه من المشي كثيراً ، وحمل الثقيل ، أي أنه يصير الى راحة مع الغذاء الطيب ومواصلة العلاج •

ابادة السوام والحشرات الضارة :

تراهم اذا وجدوا أثر حية تسير على الأرض تبعوها حتى يقتلوها ، ولهم معرفة بالأثر ، وهم يعرفون من أثر الحية أين

تسير ، فاذا دخلت في جحر وحاولوا اخراجها ففشلوا في ذلك شبوا النار على بابه فيحتـــر فتخرج أو تموت مكانهـــا • ولا يدعون فرصة لعقرب أو غيرها من هــذه السوام تعيش وهم يستطيعون القضاء عليها •

والقمــل :

والقمل من الحشرات التي تنتشر في البادية لقلة النظافة وعدم توفر ما يقضي عليها ، فـــاذا كثر في انسان أخــذوا يقتلونه قصعاً ! فاذا كثر بحيث لا يجدي فيه القصع عمدوا الى شعر الرأس فحلقوه ، وفي هذا قضاء مبرم عليه ، غير أن هناك مواطن أخرى للقمل بين طيات الثياب ، فاذا حدث هذا أخذوا الثيات فوضعوها في الشمس فيموت •

أما النساء فهن ضنينات بشعرهن ، ولذا يعمدن الى غسله بأبوال الابل ، فترى المرأة ــ وخاصة الشابة ــ تعمد صباحاً الى مراح الابل فتثوّر بكرة بكراً ــ ومن عادة الابل اذا نهضت من المراح أن تبول ــ فتضع المرأة رأسها تحت مصب البــول مباشرة وهو حار ، فيموت القمل، ويكسب الشعر مادة جمالية، ذلك أنه يصير أشقر كشعر نساء المدن اليوم المصبوغ بالاوكسوجين، ورائحة بول الابل محببة الى نساء البادية ، غير أنهن يعمدن بعد ذلك الى غسله بالماء غسلا جيداً •

* * *

الطِبّ البَيْطري

ونتيجة لاعتماد البدوي على ابله ومواشيه في زاده وترحاله ومعاشه وجميع مرافق حياته اليومية فقد نشأت لديه الرغبة الملحة في المحافظة على هذه الثروة ، فتعلم طرق علاجها ووقايتها من تجاربه وممارساته ، فأخذ يداويها ويعتني بها ، فصار لهم في ذلك أطباء بياطرة يعادون بالمرضى منها ، ومن علاجاتهم لها:

١ ـ التوليد :

يبدؤون بالحساب للناقة أو الشاة منذ يوم ضرابها(١) فيعرفون بذلك يوم ولادتها أو قربه ، فتسمعهم يوصون الرعاء بأن « فلانة » قربت ولادتها ، ولها علامات يعرفون بها قرب الولادة أيضاً مثل اندلاع البطن ، وثقل المشي وغيره • وعدة الناقة حتى تلد، سنة وجرّ ، ويختلف الجر بين كل ناقة وأخرى. فمنها مالا يزيد على أيام ومنها ما يبلغ أربعين يوماً ، ولا زيادة على ذلك •

أما اذا ولدته على سنة فقط بدون جــر فيسمونه ولادة « الغرقة » فلا يعيش أبداً ، ويعللون ذلك بأن الناقة بعد السنة

---

(١) الضراب : غشيان الفحل للبهيمة •

يبدأ رحمها في الجفاف حتى اذا خرج الحوار وجـد الطبيعة ملائمة له ، والا فلا ٠

واذا جاء الناقة المخاض يظهر ذلك على تصرفاتها ، وقد تنزح الى بلد بعيد أو تلد في مسيرها ، فاذا رأوا تلك العلائم أخذوا يحافظون عليها ، فاذا بدأت الولادة جلس اليها خبير في ذلك ــ وكلهم خبير ــ فيخرج الحوار صافاً يديه واضعا رأسه فوقهما ماداً جرانه الى الأمام، فاذا ظهر أنفه أخذ المولّد يمسحه مما عليه حتى لا يتنفس فيشرق بسبايا أمه ، فـاذا نزل الى الأرض عمد الى فك حرامه ، وهو اطعامه شيء من سَيْع أمه والا فيفقم ، والفقم : أن تصطك لحياه فلا يعـود يفتح فاه للرضاع وقد يموت ٠

والســيع :

أول لبن البهيمة حـين الـولادة ، يأتي كالصمغ ثقيـلا يضر بطون الرضع ، فيحلب ويطبخ على النار فيكون لباءاً لذيذ الطعم ، ويقال للناقة الحامل (لقحة) ولا يقال لها : حامل ، فاذا ولدت فهي « خلفة » وجمعها خلفات ٠ واذا طلبت الجمل قيل : ميسّر ويسَرَة ، فاذا لقحت صارت تشول بذيلها كلما اقترب منها أحد ، فيقال « مُعشّر » ٠ وترضع حوارها سنة كاملة ، ثم يفرد ، فيقال « مفرود » ٠

وعدة الشاة والنعجة خمسة أشهر ، ولا تحتاج الى نفس العناية التي تحتاجها الناقة ، وقد تولّد لزيادة العناية بها ، ويفك حرام وليدها ، وترضع وليدها شهرين ثم يفطم ، فيقال « مفطوم » والعنز والنعجة اذا حملت يقال لها « مضرع » فاذا

ولدت فهي والد ، واذا طلبت العنز التيس فهي « مُوضع » والحاضرة تقول « طالب » اشتقاقاً من الحـال ، واذا طلبت النعجة الفحل فهي « وبَلَـة » أو مُوبل ٠

وعدة البقرة والحمارة سنة كاملة ، والعنـاية بهما في التوليد كالغنم ، ومراحل حملها وولداتها قريبة من الابل ، غير أن الحمارة اذا طلبت الفحل قيل لها « مُشيع » ويعمدون الى الجحش حين يولـد فيعصبون رجليه لأنـه ـ في قولهم ـ حيوان رخو ، ويربطون أذنيه الى أعلى ليأتي أشرف ، لأنه اذا ارتخت أذناه وصار أهطل يصير خاملا بطيء الحركة ٠

التهجين بين الحيوانات :

قد يتزاوج فرعـان من الحيوانات من فصيلة واحـدة بعضها أكرم من بعض ، وفي هذه الحالة يعطى الهجـين اسماً خاصا ليس من ذينك الاسمين ، فـاذا ضرب حرٌ من الابـل عكنية ، جاء المولود بين بين فيسمى فرخاً ٠

والحر من الابل : الأبيض ذو الآذنين المشرفين النحيفين في أعلاهما ، ضامر الخصر ، صغير الخف ٠ ومن أشهر الأحرار الأصايل : العمانيات ، والحويطيّات ٠ قـال شاعرهم يصف حـرأ :

اذ انهْ يومْ أحليها سواة مشرّخ القـلـْمانْ

يقـال الصانع البيطارْ بايمانهْ مسويهـا

ووصف آخر ذلوله فقال :

خصرها مِثل الهلَيِّل يـوم° أحلِّي

يا كمـا خصر الفتـاة من الترايف°

والعكي : سائر الابل من غير الأحرار : حمر ودهم وصهب وحرش • الخ •

أما اذا نزى فرس على حمارة فالناتج « بغل » وذكر البغل اذا نزى على مهرة كان الناتج « نغلا » • قالت هند بنت النعمان ابن بشير تهجو زوجها الحجاج بن يوسف الثقفي :

ومـا هنـد الا مهـرة عربيـة

سـلالة أمجـاد تحللهـا بغـل

فـان ولدت مهـراً فلله درهـا

وان ولدت « نغل » فمن ذلك البغـل

أما اذا نزى كلب سلوقي على كلبة جعرية أو العكس ، فالناتج يسمى « ظئري » ويسميه أهل نجد « لوقي » ومن أمثالهم : لوقي لا كلب ولا سلوقي • مع أن السلوقي نـوع من الكلاب منسوب الى مدينة في اليمن تعرف بسلوق • كذا ورد في المراجع القديمة •

عقم الابل :

قلما تكون البهيمة عاقراً ، فاذا عقرت فغالباً يكون لسبب يعرفه بياطرتهم ، فاذا عقرت ناقة سبقت لها الولادة أحضروا

لها البيطري الذي يبدأ عملية الكشف على المهبل ، وقد يدخل يده الى داخل الرحم ، وما أن ينتهي الكشف حتى يبدأ احدى العمليات التالية :

٢ ـ عملية استيصال الوذم :

والوذم ـ على قول بياطرتهم ـ زوائد تظهر داخل مهبل الناقة فتمنع اللقاح ٠ وهم لا يعرفون أكثر من ذلك،ولكن الذي يتبادر الى الذهن أن هذه الزوائد تضغط على المبيض فتمنع نزول البيضة ٠

فاذا قطع البيطري ذلك الوذم غشاها الفحل ، فتلقح اذا أذن الله ٠

ب ـ عملية توسيع الرحم :

يغسل الطبيب يده ثم يدهنها بالسمن ، فيدخلها الى داخل الرحم فيبوكها ، فاذا أخرجها غشاها الفحل كذلك ٠

ج ـ العملية الثالثة ـ الشبحة :

وهي شيء يدخل في مهبل الناقة المتصككة من كثرة الشحم، ثم يبقى وقتا ثم يخرج فيغشاها الفحل ٠

فاذا لم تلقح الناقة ، كرروا غشيان الفحل لها مراراً بغية زيادة فرص الالقاح ٠

٣ ـ توقيت الضراب :

أملت البيئة الصحراوية ومواسم الأمطار وفصول السنة على البدوي أن يختار موعد ولادة مواشيه ، فالولادة في حمارة

لقيظ مضرة على الوالدة ووليدهـا ، لشـدة الحر ، وولادة الخريف مضرة لأن الأرض تكـون في جـدب ، لذلك تراهـم يختارون هدد الفحل« الضراب » في أوقات تجعل الولادة في آخر الشتاء أو الربيع الى أول الصيف ، وبما أن الابـل لا تلد في السنة غير ولدة واحدة فيوقتون لولادتها فصل الربيع ، حيث يكون الجو معتدلا والمراعي مخيرة ٠

وفي الأوقات التي لا يريدون فيها ضرابمواشيهم يعمدون الى صر الفحل ، وهو حزم جلدة العضو من الأمام بحزام يمنع خروجه ، أما الابل فتجعل للناقة شمالة تمنع وصول الفحل الى مـراده ٠

٤ ــ الهِيَام :

مرض خطير يصيب الابل ، وله مصدران : العدوى من أخرى مريضة ، وماء الصيف الناقع في أرض الحجاز ٠

ويقسمون أرض الحجاز الى : هـدّاد وحـدّاد ، فالهداد : ما حازت الحرة شرقاً فهذه ماؤها لا يهيم ، والحداد : ما حازت غربا الى البحر ، فاذا سقط مطر الصيف هكذا يقولون ، وهو في الواقع مطر الربيع ــ رأيتهم يمنعون الابل عن الشرب من بقايا السيول والاضاءات والغدران التي تنشأ عن ذلك ٠

فاذا شربت أو ارادوا زيادة الاحتياط ذهبـوا بهـا الى أراضي الحمض ، كالرمث والعصلاء والطرفاء ، وغيرها ، فاذا أكلت منه لا يضرها ذلك الماء ٠

ومن لم يستطع الـذهاب الى المحامض أحضر أعواداً من الأراك فيعلكها ابله عوداً عوداً ، ولهم فيه عدد معين ٠

أما العدوى فتأتي عن طريق شم القَرْحان بول أخرى هيماء ، ولها قرء معروف عندهم بعدد أيام ، ويقسمون أهل الابل في الحجاز الى : مهيدنة ومقرحنة ، فالمهيدنة الذين يربون الابل الهيم ويتحرون عتقها ، فاذا عتقت من الهيام ــ وهي قليلة ــ لا تعدي ، ولا تعود كالسليمة ، ولكن صاحبها ينتفع بها ، وهؤلاء هم بنو سليم فقط أو قسم منهم ٠

أما المقرحنة فهم أهل الابل التي لم يصبها الهيام،واحدتها « قَرْحان » وهم كل بقية أهل الحجاز،كحرب وهذيل وجهينة، وغيرهم ٠

فاذا شكّوا أن ناقة مصابة بالهيام طلبوا من صاحبها تنويخها للقارىء ، والقارىء : رجل يعرف رائحة بول الهيماء من القرحان ، فيؤتى بتلك الناقة فتعقل في أرض نظيفة ، فيأخذ ذلك يعتادها فيأخذ ثرى بولها فيشمه ، فاذا عرف فيها الهيام أعلنه ، فأخذت الى مكان بعيد فذبحت ٠ فان اعترض صاحبها على القارىء فشك فيه ، فهناك علامة فصل ، وهي أن يخرج طحال المذبوحة فيمرر من خاتم الخنصر ، فان مَر فهي قرحان وعلى القارىء ثمنها ، ولا يجعل له بعدها سبيلا على مثلها ، ويشنع به وتسوء سمعته ، وان لم يخرج فهي هيماء حتماً وتعتبر شهادة للقارىء ٠

والذي لا ينوخ ابله للقاري تجبره السلطة الحاكمة أو يرحل الى ديار المهيدنة ٠

والمهيدنة ممنوعون من نزول ديار المقرحنة(١)، والحكومة

---

(١) بابلهم طبعاً ٠

تعترف بذلك لخطره على الابل ، والهيماء غالبـا تموت حتفاً فيقولون « حَنَتَتْ » أي لفظت أنفاسها من الهيام • ولذا أكثر في أمثالهم تشبيه الكذاب بالهيماء ، لانها ـ في عرفهم وحسب تجاربهم ـ لا يستفاد منها •

٥ ـ الجرب :

الداء الثاني في الخطورة بعد الهيام ، بالنسبة للابل ، وهو مرض سريع العدوى ، يصيب الابل والمعزى والانسان •

وتنتشر عدواه بواسطة القُرْد التي كثيراً ما تكون متجمعة في مغابي الابل ، فاذا انفلت قراد من جرباء وعلق بأخرى أو عنز أو انسان سرى المرض اليـه ، وكذلك بواسطة اللمس ، والأرض التي تبرك عليها جرباء •

ولخطر عدواه يقولون : « ادّرق عن الهيماء بفن شيرة ، واقطع عن الجرباء سبعة أودية » • والجرب في منشئه حُبَيْبَات متراصة يصحبها نوع من الشراء فتأخذ البهيمة في حكه بفمها ثم ينتشر في سائر جسمها •

فاذا خرج أوله في الابل ذهبوا بها الى «المرشّة» وهي حفر من جانب البحر ، فيأخذون الماء المالح فيصبونه على جلودها ، وقد تشفى ، فاذا لم تشف وزاد انتشاره يطلونها بالقطران ، وكذلك يفعل الذين هم بعيدون عن البحار والممالح ، وطريقة الطلي : يحضرون أدوات حديدية ثم يحكون جلد الجرباء حتى يتقرح ثم يصبون القطران عليه ، والقطران علاج قديم عند العرب ، وهذا جرير يقول :

انا القطران والشعراء جرب   وفي القطران للجـرب شـفاء

وهذا العلاج مفيد ناجع ، غير أن ذوات الأوبار الكثيفة لا يصل القطران الى جلودها ، وفي هذه الحالة يعملون لها عملية « الجُرْمة » ، وهي : أن تغلى النورة غلياً ثم يجاء برقاع على رؤوس أعواد ، ثم يجاء بالجرباء من الابل فتناخ وتعقل ، ثم تؤخذ تلك النورة بتلك الرقاع التي يسمونها المجاريم فتوضع على جلد البعير حارة فينجرف وبره ويبقى جلده أملس لا وبر عليه ، ثم يأتون بالسمن فيدهنون جلده فيبرأ ٠

وان بقي بعد تلك الجرمة بقايا جرب كزوايا لا تصلها الجرمة طلوا ذلك بالخفّان والزرنيخ وتسمعهم يهوبلون :

أطـلاك يا الجرباء ولا انْتِ باريه

اطـلاك بالخفّانو(...) الجـارية !

أما جرب الغنم فهو أخف كثيراً ، ويكتفون بدهنه بالكاز أو الديزل ، بعد تعميم النفط ، ثـم صاروا يعالجونه بزيت السيارات المسترجع بعد قص شعرها ٠

أما الانسان فاذا اصابه في البادية فيذوبون له الملح ثـم يدهنون به الجرب فيشفى ٠

٦ ـ النحاز :

سعال يأخذ الابل ، فتظل تسعل ويقل أكلها فتسوء صحتها كثيراً وتقضي معظم يومهـا في بروك واضراب عن الرعـي ، وعلاجه كية في النحر على المذبح تماماً ، ذلك أنهم يقولون : ان سبب النحاز جرح في ذلك الموضع ، وهو مرض معد كغيره من

الأمراض ، ويقول بعضهم : انه هو السل ، يصيب الابل كما يصيب الانسان ٠

وأكد لي بعض البياطرة انه اذا نحر المنحوز وجدت رئته مليئة بالخراجات المقيحة ٠ ويصيب مثله الضأن فيسمونه « أبو سنْحَير » تصغير سحر ، وهو الرئة ٠

٧ ـ التجبير :

لا يختلف تجبير المواشي عن تجبير الانسان الذي تقدم معنا ، غير ان لكل ما يلائمه في اسلوب المعالجة ، ولا يجبرون الحمير ولا الكلاب ، فأما االحمير فهي بزعمهم لا تجبر عظامها ، وأما الكلاب فهم يأنفون وضع أيديهم فيها ، ما عدا ما تخصص بعض الحقراء في خصيها ٠

٨ ـ الجروح :

الحيوان لديه مناعة ضد الجروح الا ما أحدثه فيه الانسان ، ومن ذلك الدَّبَر : وهو جرح يصيب البعير من أثر الرحل ، فيكون في أحد جنبيه أو غاربه فيعالجونه بغسله بالدباغ ثم وضع طبقة من شيء ما فوقه حتى لا يتعرض للهواء أو نقب الغربان ٠

ومن علاجاته محروق النوى ، وعظام بعض الحيوانات ، غير أن البعض يكون قليل الرحمة للحيوان فيكتفي بأن يأخذ الدمن المحيل فيفتته على دَبَر البعير ، ولهم في ذلك مثل معبر « من بعره فت على ظهره » ! ولكن خير علاج للدبر أن يعفى الجمل من الرحل فيسلم ما به تلقائياً لمناعة هذه الحيوانات ٠

٩ ـ الغصي :

الضراب يهد حول الحيوانات و يجعلها هزلى ، فاذا أرادوا أن يحتفظ حيوان بقوته كذلول أو جمل رحل أو عير ريّة أو كلب حام ، عمدوا الى خصيها ، ولهم أطباء متخصصون في مثل هذه العمليات ، فخص التيس أيسرها وهو شق جلد الخصية ثم سحبها حتى تنمعص بعروقها ، ولكن هذه العملية لو أجريت لخروف أو جمل أودت بحياته ، لذا فعملية كل حيوان تختلف عن الآخر ، حسبما رووا لي ٠

أما الحمار فعسير أن تجد بين القبائل من يخصيه ، ولكن الكلب لا يخصيه عند العرب الا وضيع ، ولذا يقـوم صناعهم وبعض عبيدهم بهذه العمليات ، غير أني عرفت رجلا يخصي الكلاب ، فكان يقول لي : اذا تحدث عني قومي قالوا : مخصي الكلاب ، واذا دعوتهم للوليمة لا يتخلف منهم أحد !

١٠ ـ الوسـم :

سمة يجعلونها على حيواناتهم لتعرف بها ، ففي الابل لكل قبيلة وسم خاص ، فكان وسم الأشراف الحلق : عدة حلقات على شكل دوائر يضعونها بالكي على فخذ الناقة أو البقرة ٠

وكان الأشراف في قديم الزمان نشروا بين الناس أن من يأخذ شيئاً للشريف أو يغصبه تصيبه قارعة ، لذا تجـد ابـل الأشراف وأبقارهم تعيش هملا فلا تسرق ولا تؤخذ في ابان الغزوات ، ولذا تمسكوا جميعهم بوسم واحد حماية لمواشيهم ٠

أما باقي القبائل فقد تجد للقبيلة عدة سمات لكل فخذ منهم ، فمثلا وسم البلادية هو شكل مستطيل ناقص الضلع الأعلى فيسمونه الباب ٠

قال المطيري : « وزفينا أمهات الباب مع ضين بباريها » ٠

بينما تجد العرادات خاصة من البلادية يسمون الباكور، وهي كية على رسم الباكور العصا يضعون واحدة علىفخذ الناقة وأخرى على عضدها ٠

ولكل من هذيل وسليم وجهينة وعنزة سمات خاصة بهم ٠

١١ ـ البو والظئر :

اذا مات الحوار وأمه خلفة مجد انخلج قلبها عليه ، وأصيبت بما يشبه الهبال ، وصارت تحن حنيناً متواصلا يلين له كل قلب ، وفي هذه الحالة يعمدون الى تظئيرها على حوار آخر ، وطريقة ذلك ، يغمون وجهها ويحزمون أنفها حتى تغيب عن الوعي ، ثم يحضرون ذلك الحوار فيضعونه بين أربعها فيفيقونها من الغيبوبة ، فاذا رأته ظنت أنه وليدها فترأمه ، فتظل تسير وراءه حيث سار وترضعه بالاضافة الى رضاع أمه له ٠

أما اذا لم يوجد حوار آخر أو لم يشاءوا ذلك ، عمدوا الى عمل بَوٍّ لها ، والبَوّ : جلد حوار،وربما نفس جلد وليدها يوضع على هيكل خشبي فتوهم الناقة أنه حوارها فتظل تتابعه حيث يحمل وتدر عليه ٠

* * *

الفـــلك

أما ما يعرفون عن الفلك فهي معلومات مختصرة مركزة املتها عليهم حاجة الفلاح الى معرفـة وقت الزرعـة ونضج الثمار ، وحاجة الشاوي والآبّال[1] الى موعد سقوط الأمطار واعتدال الجو ومتى تحتاج مواشيه الى الماء ومتى لا تحتاج اليه ٠

ثم عمدوا الى تجاربهم فصقلوها ونقحوها فصارت لهم من ذلك علوم صحيحة دقيقة ٠ ولما لم تكن لديهم دواوين تحفظ لهم ما يروون وما يجربون ، فقد عمدوا ـ كعادتهم في حفظ علومهم ـ الى أشعار قصيرة وأسجاع تجعل من السهل حفظ هذه العلوم كما سترى في مناسباتها ٠

وتنحصر علومهم في الفلك ـ حسب حاجتهم ـ في علـم الأنواء ، والزراعة ، وتجدها في هذا الفصل مشتبكة لأن الزرع معتمد جل الاعتماد في الحجاز على الأمطار ، ولأن وقت الزرع والحصاد مرتبط بالانواء أيضاً ٠

وجل حسابهم في الانواء على ثلاثة مجموعات من الأنجم وما وافقها من الأنجم الصغيرة ٠ وهذه المجموعات هي : الثريا، والسُّبَّع ، والعقرب ٠

---

(١) لقد أوردت هذا الفصل في كتاب « نسب حرب » ، غير أن الاعادة هنا اقتضتها المناسبة ، وفي كل اعادة افادة ، والأبال : صاحب الابل ٠

١ ـ الثريا :

وهي مجموعة أشهر ما يعرف العرب من نجوم السماء ، ومن مجموعتها : التويبع ، يأتي بعدها بأقل من منزلة (١) ٠

ثم الجوزاء ، بعد الثريا بمنزلة وهي مجموعة أنجم شاهرة ٠ ثم المرزم ، نجم واحد بينه وبين الجوزاء منزلة ٠

ولهذه المجموعة فترتان : صيفية ، ويحسبون بها للصيف ، وشتوية ، ويحسبون بها للشتاء ٠

وتطلع الشتوية صباحا ، فيقولون :

ليا الثريا وابقت على البير   وايق من الشتاءطول رقبة البعير

ثم تأخذ في التقدم حتى تطلع عند أو بعيد غروب الشمس ٠ فيقولون : « ليا ضاوت ناوت » أي اذا ضوت مضوى الحلال فقد دخل نوؤها ٠

وهي من النجوم الممطرة ـ باذن الله ـ في الحجاز ، ثم يتبعها نوء الجوزاء ، ثم نوء المرزم،وهو غزير كثيراً ما يخرب مشاعر الحج في مكة اذا هطل المطر فيه ٠

والمطر الثريا خاصة منفردة ، هي أنه يأتي على موجات تروح ثم تعود ، ووبله صغار ، يسمونه الثروي ، وهو أكثر رواء للأرض ٠

ويقولون : اذا طلعت الثريا عشاء دوّر لعيالك العشاء ٠

ذلك أن طلوعها هذا يوافق آخر طول الليل ٠ وتجود زراعة الحبحب في نوئها ٠

(١) المنزلة ساعة من الزمن ، كانوا يحسبون بها قبل انتشار الساعات ٠

الكَنّـــة

تستمر الثريا الى أن تراها بعد المغرب مشرفة على المغيب، فيقولون لك: سنت الثريا• ويقولون:« عشرين سَنّة وعشرين كَنّة » والسَّنّة :أن تعترض بين العشاء والمغرب للغروب، فاذا أخذت على هذا الحال عشرين يوماً استكنت لا تطلع عشرين أخرى ، وهذه هي الكَنّة • حرها شديد ، ويغور الماء في الآبار، ويصلح غرس النخل ، ولا يصلح الزرع لأنه يستكن في الأرض على قولهـــم •

فاذا انتهت الكَنّة طلعت الثريا مـــع شـــعاع الشمس في الصباح ، وهذا هو القيظ وأوان استواء الرطب في الحجاز • ويقولون : « الثريا غثاء ، والجوزاء زهاء ، والمرزم جنـــاء ، وسهيل جد اد القنا » •

أي تطلع الثريا فيتحول بسر النخـــل من أخضر الى أبغث يخالطه البياض ، ثم تطلع الجوزاء بعـــد ذلك فيصير زهـــواً أبيض ، ثم يطلع المرزم فيرطب البلح فيجنى ، فاذا طلع سهيل وهو من غير مجموعتها غير أنه يأتي بعدها جدوا النخل ، فاذا لم يجدوه صـــار يتساقط ، فيقولون : « حطمـــه سُهَيل » • ويلوح البسر الذي لم يستو بعد ، فيقولون : وسم سهيل ، وهو على حسابهم بعد المرزم باربع وعشرين ليلة وثلث ، وقـــد يطلع قبل ذلك بيوم ، ويقولون : سهيل مكذب الحساب • وحره شديد يضر بالحـــيران ، ومن أمثالهم : أمحـــق من ســـهيل على الحشو • والحشو : صغار الابل • وهو نجم لامع متلألىء تراه

جنوباً بشرق عند طلوعه ، لأنه من نجوم اليمن في حسابهم والثريا من نجوم الشام . ورمّى أحد الشعراء بذلك قائلا :

أيها المنكح الثريا سهيلا يارعاك الله كيف يلتقيان

أي الثريا في آخر الشمال وسهيل في الجنوب .

٢ ــ السُبَّع :

سبعة أنجم تطلع من الشرق فتعطف فتغيب في الشمال ، ولها اسماء : اثنتان معاً يقال لهما : الأولتان ، وتتلوهما أخريان يقولون لهما: الرُبَّع ، بلفظ السُبَّع ، ثم ثلاثة يتلو كل منها الآخر ، أولها الخامس ، وثانيها السات « السادس » وثالثها السابع . واذا نظرت الى مغيبها رأيتها تمر شمالا جاعلة الجدي على يمينها ، بينما يمر نجمان يدعيان « الدخيلين » من وراء الجدي يجعلانه يسارهما ، ولهذا التشكيل لديهم أسطورة ستمر بعد هذا .

ومدار حسابهم بالسُبع على الصيف والخريف خاصة ، فطلوع الأولتين يوافق طلوع المرزم أو قربه ، وطلوع الربَّع يوافق سهيلا تقريباً ، ولذا يقولون :

الصيف لهْ لَذْةْ طلوع الأوائلْ

واذا بَدَنْ الرابعين انتهى الصيفْ

أما الخامس فيطلع في حموة الخريف ، فيقولون .

البلْ تباكى(1) من طلوعْ الخامسْ
الليــلْ ومد(2) والنهــار شامسْ

أما السات « السادس » فيقولون : انه يفسد نجوم الزحل، وهي التي لو صاب المطر فيها صارت السنة جدباً ، فيقولون :

اذا أصاب السات   كل زحل مات

أي اذا أمطر فصل السادس فان الزحول تفسد ·

أما السابع فهو دلالة عندهم على نهاية الخريف ، فيقولون: اذا طلع السابع بردت النجوم · أي طاب الجو ، وعندئذ يتفرق القطين عن الميــاه ، وتأخذ الابــل في الخمس والغنم في الغب والربــع(3) ·

ولكي يجعلوا حفظ هــذه الأنواع أكثر رسوخاً فكثيراً ما يجعلون لكل منها اسطورة تروى فتحفظ ، والأسطورة التي يروونها هنا هي : ان الدخيلين المذكورين آنفاً اعتديا على ابي السبع فقتلاه ، وان السبع هؤلاء كن سبع بنات ففزعن لطلب الثأر ! فكان العذارى الاول سبقاً ، وهما الأولتان ، ثم لحقهما الرابعان ، وهما تو متزوجان ، ثم الخامس فالسادس وآخرهما السابع كان لها اطفال كثيرون انشغلت بالاهتمام بهم ! غير أن الدخيلين سبقا فدخلا على ملك النجوم « الجدي » فصارت السبع تطيف بالجدي لاخذ الثأر من الدخيلين ، والدخيلان يحتميان بالجدي ، فلا تلتقي · والجدي يسمى النجم القطبي ، وهــو

(1) الابل تبكي ·
(2) الومد : شدة الحر بلا هواء ·
(3) من الأظماء ·

ثابت على القطب الشمالي لا يبرحه، أما السبع فيسميها بعضهم وخاصة العسكريين « الدب الاكبر » ولا شك أن الاسطورة السابقة أبعد ما يمكن عن التصديق ، ولكن أملتها المناسبة • واذا صادف طلوعها أمطاراً فأولها وسم وآخرها خريف . في حسابهم ، وهو أبكر الأمطار في الحجاز ويتباشرون به لأنه يكون صلة الى أمطار الشتاء ، وموصولا بما بقي من ريف الربيع فيعتبرونها سنة مخيرة •

٢ ـ العقرب :

من أشهر النجوم عند العرب بعد ما تقدم ، ولهم عليها حسابات شتوية ، ودورها في الأنواء بعد الثريا • والعقرب تتكون من فم وقلب وشولة ، الفم نجمان في أول العقرب ثم القلب : نجم لامع بين نجمين ، ثم الشولة نجمان متأخران وحولها مجموعة أنجم أخرى صغيرة • ومدار حسابهم بها على « الخُلُط »والخلاط عندهم : أن يقترن القمر بفم العقرب • فيقولون : خلاط واحدة أو خلاط ثلاث الخ •

فاذا كان شهر محرم ــ مثلا ــ خلاط واحدة أي خالط القمر العقرب الليلة الأولى في الشهر فان الخلاط المقبل يكون في التاسعة والعشرين من ذي الحجة ثم في السابعة والعشرين من ذي القعدة ، وهكذا يحسبونه حساباً تناقصيا رجعيا •

ونوؤها يوافق اربعانية الشتاء ، فاذا وافقها زحل كانت في اعتقادهم سنة جدباء • ولا ينزل الغيث الا الله جل وعلا •

وهناك نجوم يعتقدون انها اذا حدثت لا يكون في السنة مطر ، ويسمونها :

٤ ـ الزحول :

والزحل في عرفهم الذي يحسد من حوله أو قرينه ، وهناك نجمة حمراء لامعة يقولون لها « زحل فيقولون :اذا اقترن بالعقرب[١] ٠

اذا جاء مع الفم خاب الفم،واذا جاء مع القلب شاب القلب، واذا جاء مع الشالة شال الذئب في العالة !

أي اذا طلع ذلك النجم مع فم العقرب فان السنة تكون محلا فلا يجد الفم ما يطعمه ، واذا جاء مع القلب كان الانسان في هم من المحل حتى يشيب قلبه ! أما اذا جاء مع الشولة فانها تكون مجاعة حتى يأكل الذئب من العيال ! مبالغة منهم في تصوير الحالة ٠ ولكن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ولا يعلم مغيبات الكون سواه جل وعلا ، ولكنها علومهم نكتبها كما نسمعها ولا نصدق بعض اعتقاداتهم المخالفة للدين الاسلامي ٠

ومن الزحول نجم يسمّونه « الثلث » ويقولون : ان مدة نوئه ثلاثة أيام وثلث ، وهو من نجوم الخريف ، ويزعمون أنه اذا أمطر فان تلك السنة تكون محلا على الأرض التي يمطر عليها ! ولهم في ذلك شعر نتركه ٠

٥ ـ الميـزان :

نجمان يريان في أقصى الجنوب بعيد صلاة الصبح ، متوازيان أحدهما أكثر لمعاناً من الآخر ، يؤقتون بهما لطول الليل والنهار ، فاذا دال الغربي منهما وهو اللامع أكثر كان

---

(١) وزحل : أحد الكواكب الفلكية المشهورة ٠

الليل أطول من النهار ، واذا دال الشرقي كان النهار أطول ، فاذا صارا ككفتي الميزان فالليل والنهار سواء ٠

وقد عاينت ذلك بنفسي فكان كما قالوا ، وهذه حكمة الهية جعل الله الناس يهتدون بهـا قبل أن يخترعوا الساعات وآلات الحساب ٠

٦ ـ النجم القطبي :

نجم ثابت في الشمال ظاهر لامع لا يتغير عن موضعه ، وتسميه العرب الجدي وتقدمت معنا اسطورة عنه في السُّبع ٠

هذا النجم يهتدى به في السرى ، وتجدهم اذا وصفوا لك طريقاً تسريه ، قالوا لك : خذ جدي ٠ أي ضع نجـم الجدي أمامك ٠ أو قالوا : حط الجدي على حجاجك الأيمن أو الأيسر، أو يمينك ، الخ ٠

قال تعالى : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ٠

٧ ـ السِّمْك :

واحدها سماك : نوء ربعي ، وهم يسمونه صيفياً ، اذا وافقه المطر حدوا الابل عن الكرع في غدران ذلك المطر لأنـه يصيب بالهيام على حد قولهم ، وقد تقـدم معنا الحديث عن الهيام في البيطرة ٠

والسمك أو السما كان يوافقان العقرب في طلوعها في ١٧ منها ٠ والفلكيون يعرفونهما بالسماك الرامح ، والاعزل ، ولهم في ذلك أشعار لطيفة ، غير أن هـذا الفصل هـو مختص بالحساب الشعبي فقط ٠

٨ ـ الزبرة والصرفة :

نوءان خريفيان يعتدل فيهما الليـــل ، ومطرهما وسم . وتكثر في العرفة الرياح المثيرة للغبار في تهامة ، وحرهما هناك شديد لأنهما يطلعان في السنبلة ٠

٩ ـ الذرع :

جمع ذراع ، وهما الذراع الشتوي والذراع الربعي ، واذا انتهى وقتهما جاءت النفرة ، ولهم حساب لزرع الدخن في تهامة بهذه الأنجم فيقولون :

يا زرعة بين الذرع والنفرة   يا ظفرة الزراع كـــل الظفرة

ذلك أن طيراً يسمى « الفـِر ق » يأتي أجيالا سحاحة فيأكل الحب في الحجاز ، فاذا جاء الوقت الذي يحصد فيه مازرع بين الذرع والنفرة،كان ذلك الطير قد انقضى،فيأتي الحب غلة صافية قليلة الكلفة ٠

١٠ ـ دورة القمر :

دائرة ترىأحياناً ليلاً حول القمر ولها فتحة في جهة معينة، هذه الدائرة يسمونها«دورة القمر»فيتفاءلون بها وبالرقيطاء٠ ويقولون :

بشر الشاوي ليا وجهـه كشر   بالرقيطـاء ودورة القمـــــر

والرقيطاءغثاثمن المزن يجعلالسماء رقطاء اذا انتشر فيها ويقولون:ان هاتين الظاهرتين دليل على قدوم أمطار،وبتعبيرنا

تكون دليلا على تشبع الجو بالرطوبة ثم ينشأ السحاب باذن الله، ولدورة القمر فتحة من جهة معينة يتفاءلون بها ٠

١١ ــ الطل صباحاً :

اذا تكاثف الندى على أوراق الاشجار صباحاً في فصل الخريف تفاءلوا به ، لأنه دليل على تشبع الجو بالرطوبة كما تقدم ٠

وهذا التنبؤ كان معروفا عند قدماء المصريين لحساب فيضان النيل ، فلربما انتقل الى الحجاز عن طريقهم ٠

١٢ ــ دقتهم في حساب الفلك :

ان دقتهم في حساب الفلك كدقتهم في الطب ، ولكن ليست لديهم الآلات المساعدة ولم يتلقوا الدراسات المؤهلة ، ومع هذا فهم يأتون بمالم يأت به الحاسبون ، ومن ذلك :

ان رجلين منحاسبيهم جلسا والمطر يهطل ، فقال أحدهما: هذا يوافق نوء كذا ٠ فقال الآخر : ليس كذلك ، ولم يدخل نوء كذا الى الآن ٠ فتماريا،فقام الأخير فجعل اناءً في المطر حتى صار فيه الماء فناوله صاحبه وقال : اشرب ٠ فشرب فوجده هامجاً ! ثم مكثا والمطر مستمر فجاء له بماء آخر من المطر فشربه فوجده عذباً ، فقال له : الآن دخل نوء كذا ٠ وفي غير هذه الحكاية لم أسمع أن ماء المطر كان يوما مالحا ، وقد تكون الرواية مبالغاً فيها ، وهي شائعة مسموعة في جهات ينبع والصفراء ٠

ويعللون ذلك بأنه السبب بأن يكون نوع كـذا يصلح لزراعة معينة ، وآخر لا يصلح لها ، لان الزرع أنواع ولكل منه ما يوافقه من الماء ·

وهذا مشاهد فعلا ، فالآبار ذات الماء المالح أو الهامج تصلح لغرس النخل والحمضيات ونـوع من الخضار ، ولكن كثير من الخضار والفواكه لا تقبل ذلك ، وهي لا شك حكمة الـهيـة ·

وحكى لي شيخ لا زال حياً كان حاسبا لجهته فقال :

كنت قد عملت مشاعيب في مزرعتي لأزرع فيها خربزاً فلما أصبحت حسبت أنزرعة الخربز قد بدأت فسرحت الى تلك المشاعيب أزرعها ، فلما زرعت ثلاثة منها مر بي فلان ، شاب يتعلم الحساب « حساب الفلك » فقال : ماذا تعمل يا عم فلان ؟ قلت : أزرع خربزاً ! قال : انتظر حتى تصلي العصر أو قال الظهر · فقلت : بل أزرع الآن ·

فتجادلنا فحلف علي لا يثمر خربزك هذا حبة واحدة ! فتظاهرت بعدم تصديقه ، فلما ذهب قلت في نفسي : ما الذي يمنعني من الانتظار ساعات ؟ وهكذا كان ، فوالله ما قطفت مما زرعت اول النهار خربزة واحدة !

والرجل معروف لدي وثقة من الثقات ، فترى أية دقة في هذا الحساب ، وأي مرشد زراعي يستطيع الوصول الى هـذا الفهـم ؟

ولهم في الزراعة حسابات بعضها ثابتة مسجوع كقولهم في صيف النخل :

« شهرين طلع وأبار ، وشهرين ويشبع الصغار ، وشهرين وتجني كل مشهار ·

أي : أن النخل يستمر طلعه وتأبيره شهرين ، واذا جاء شهران آخران وجد الأطفال ما يأكلون ، وهو نوع من البسر يسمونه « الغـَمـَق » يصير كالرطب وهو لم يتغير لونه أي قبل الاستواء ، يأكله الناس في المجاعات ، وبعد شهرين من ذلك يوجد الرطب في أولات النخل وهم يسمونها المشاهير · وبهذا الحساب تستطيع أن تعرف متـى يستوي رطب نخلك وأنت بعيد عنه اذا علمت متى بدأ طلعه ، وهم هذا قصدوا ·

وفي غرس النخل يقولون : « كل تمر واغرس » والنخل يمكن غرسه في غير هذا الوقت كالربيع والخريف ، ولكنهم لابد قصدوا أن البدوي لا يحضر النخل الا وقت صيفه ، ففي امكانه في هذا الوقت أن يضرب طيرين بحجر · حصاد وغرس ·

ويحسبون في تهامة لزرعة الذرة ثلاث مرات في السنة :

الأولى في آخـر الربع وتحصـد أول الصيف ويسمونهـا الشبـّيـّة، والثانية تزرع حال حصاد الأول أو تقوم منمقاطعها خلفة فيسمونها الخرفية ، لأنها تحصد في الخريف ، وهي أقل في وفرة المحصول من الأولى ، والثالثة خلفة الخرفية تقوم من مقاطعها لا تزرع ، هي ضعيفة النمو قليلة المحصول لا يعتني بها غير رقيقي الحال ، يسمونها المجينينة ·

وفي الجلس[1] والعالية قد يحسبون لزرعة القمح مرتين ، وقال لي بعض أهل الجلس : ان المرتين تجودان بالغلة ·

---

(١) ماسال ماؤه الى المدينة أو شرق السراة كالطائف والمهد ، وغيرة الغور· انظر « معجم معالم الحجاز » ·

وكذلك لهم في الخضار حساب لكل نوع منه ، كالبامية والملوخية والكوسة والدباء ، وغيرها · أما في العيون فلهم حساب في الماء :

١٢ ـ حسابات الماء :

كان قبل انتشار الساعات لهم حسابان :

أحدهما بواسطة القدر : وهو آلة كالمغراف مثقوبة من أسفل ثم توضع في اناء آخر مملوء بالمـاء ، فيدخلها المـاء من أسفل فاذا امتلآت غطست ، وهذا « قدر » ·

والساعة اثنا عشر قدراً ، والوجبة اثنتا عشرة ساعة ، والعين مقسمة على عشرين وجبـة ، أي يدور الماء فيها بعـد عشرة أيام وهو ما يسمونه « القِلْد » ·

وهذا حساب أهل الشمال ، الفرع والصفراء وينبع ، وما حولها ·

أما الحساب الثاني فهو حساب المنازل والظل : وهو أن بعض الحاسبين عندهم يعرف متى من الليل ـ مثلا ـ يطلع القمر ، فاذا ارتفـع مسافة كان على منزلة ، وهي ساعة ثـم يستمر يحسب بواسطته أو أي كوكب آخر حتى يصل أربع منازل ، عندها يفقد السيطرة على الحساب به فيعود الى آخر طلع تواً ، وهكذا حتى تطلع الشمس فيعود يحسب بها ، فاذا صعدت السماء صار يحسب بالظل بالأقدام ، فاذا مالت الشمس نحو المغيب صار يحسب بمنازلها لأن الظل يطول كثيراً فيصعب الحساب به ·

وهذا حساب أهل سر الظهران ومن حولهم ·

وقد اكتسب حاسبوهم خبرة حتى صار أحدهم يعطيك الحساب وهو نائم في غرفته في ليلة ظلماء داجية لا تظهر فيها النجوم ، وقد امتحن أحدهم بعد انتشار الساعات فكان حسابه دقيقاً جداً ، غير ان هذه الحسابات انتهت الآن واستعيض عنها بالساعة ٠

١٤ ـ التخييل :

وهو النظر الى السحب ومعرفة المطر منها وغير المطر وأين يمطر ، فاذا برق البرق نظر اليه من له علم بهذا الفن وقال لك : هذا على موضع كذا وكذا ٠ ومن قوة لمعان البرق وامتداده يعرفون غزارة مطره ، فيقولون : هذا يسيل ، وهذا ديمة ، وذاك سقي ٠ الخ ، ويقدرون بعده تقديراً دقيقاً ، وجرت في ذلك رهانات ومماريات اثبت عارفوهم دقة حدسهم ٠ وكان شيخ مغرم بزراعة الحبحب ، فكان يرى البرق فيصبح حاملا زاده ومتاعه ،فيقال له : الى أين؟فيقول:قد سال البارحة موضع كذا ، فأنا ذاهب اليه ٠

وقال لي من رافقه مراراً : انه لم يكذب قط في التحديد ٠

أما في النهار حيث لا يرى البرق عن بعـد فهم يقدرون بعد المطر بمنظر السحاب ، ومن لونه الداكن أو الأقل بياضاً يعرفون غزارة المطر وعدمها ٠

ويتوقعون وصول المطر اليهم ويستعدون له قبل أن يكون فوقهم شيء من السحاب ، وذلك لمعرفتهم بسير الرياح ، فاذا رأوا المزن في وجهة مقابلة لهم من الجنوب مثلا وهبت هبوب الجنوب ويسمونها « الأزْيَب » كان في تهـامة الحجاز المطر

محتماً ، غير أن هذا يخضع لمشيئة الله عز وجل ، فقد يكون كذلك فتأتي ريح مرسلة فتصفقه عنهم فيذهب الى بلد آخر ٠

واذا تجاوزهم السحاب الى الشمال ثم هبت هبوب الشمال، قالوا : جاءكم كسير الشمال ، أي الذي تعرضت له هبوب الشمال فكسرته عائداً من حيث أتى ، وهو غزير المطر ، باذن الله ٠

واذا هبت الصبا صيفاً تفاءلوا وتباشروا بالمطر، ويقولون في ذلك :

« هبوب الصبا للصيف أصدقْ من الوبلِ »

أي مجرد هبوبها أصدق من وقع المطر الذي تراه بعينيك!

ولكن الصبا في غير ذلك هبوب مكروهة في الحجاز تثير الغبار ، وفي بعض المناطق قد تعطل الأعمال أياماً ، ولا يكاد الناس يحسون نسيسها حتى ترى على وجوههم علامة عدم الرضى ٠

* * *

اللهجات في إقليم الحجاز

أهل الحجاز خاصة وأهل الجزيرة عامة ظلت لغتهم سليمة بعيدة عن العامية الواغلة ، وكل ما طرأ على لهجاتهم هو لحن في مفردات فصيحة أصيلة ، أما ما دخلها من مفردات أجنبية فهو قليل معروف ويكاد ينحصر في الحاضرة دون البـادية ، ذلك لاختلاط حاضرة الحجاز بالحجاج الذين يفدون من كل مكان ، وقد يتخلف بعضهم في الاقليم • وهذا الفصل من هذا الكتاب ليس استقصاء للهجة الحجازية بقدر ما هو مفتاح لفهم نصوص كتاب « الادب الشعبي في الحجاز » •

وكانت النية تأليف كتـاب مستقل يشمل كـل لهجـات الحجازيين ، غير أن صعوبة الطبع في هذا الزمن وبالتالي عدم وجود قراء لمثل هذا اللون جعلني أختصره في هذا الفصل ، راجياً أن تتم به الفائدة ، والله من وراء القصد •

(أ)

أبْدَارَك : استفهامية مع الرجاء يقولون : أبدارك ما تقدر تجي بكرة ؟! أو أبدارك ما تعطيني كذا وكذا ؟!

أَبْك : أظن أصلها ويبك ، ومعنى ويبك أو ييه أصابه ويل وبلاء • وهم يقولون : أبك لا ، للنهي ، وأبك هات للأمر، وأبك خذ • وترى أنها زائدة في كل هـذه المواضع ، وغالبا ما تكون مع عدم الرضا •

أبْلَة : أصلها قابلة ، وهي المرأة التي تقبل الأخرى عند الولادة ، ثـم اطلقوهـا على من تستقبل صغـار الطالبات في المدارس ، فجعلها المصريون (ابلة) بابدال القاف ألفاً وهي لهجتهم ، فأخذت عنهم فخففوا الهمزة ، وصار يطلق على كل مدرسـة •

أبُو : تعني (ذو) ويكثر أطلاقها على الأماكن ، مثل : أبو حليفاء : واد يصب في خليص ، أبو الحنشان : واد أيضاً يصب في حقل •

وهي لغة قديمة كأبي قُبَيْس : جبل بمكة •

أبو زَنَّة : اسـم للقِرْد ، ويسمونه أيضاً سَعْدان ، ورباح •

ابْرَح : اذهب ، وكثيراً ما تقال في المزاح •

اتْشْ : صوت سوق الابل ، وكذلك دِهْ •

أحال ، ومحيل : انتقل لطلب النجعة •

اخْتْ واخّ : صوت سوق الغنم « الماعز » أو طردها

أخرق وخرقاء : كثير الثرثرة لا يحفظ السر ، ولا يؤتمن عليه •

أرْيا :   آراء : قال شاعرهم :

كم شايبٍ يلعبْ بمذلـوق الاولاد

لا قرتْ الوزنهْ وحارن الأريا[1]

أزْقَـم : ملموم الفم ، والزُقـُم : فم الكلب أو السبع ٠

اسْتنـَّى : انتظر وتحر ٠ وأصلها : استأنى ٠

اسطافر : استغفر ، يقولون : أسْطَـافِـر الله ، أي استغفر

اسطوانة . كل شيء دائري القصر كأنبوبة الغاز الطبيعي، والصحن المسجلة عليه الأغاني والأحاديث وغيرها ٠

أسْلَـت : من لا تبرز له مؤخرة ، وهي عندهم من عيوب المـرأة ٠

اسْمَـهَـلّ : تطلقت أسارير وجهه وهدأ غضبه ٠

أشّ : صوت يقال للحمار لايقافه أو حديه عن جهة ما ٠

اشّ أو اشْوْهْ : صوت سوق الضأن ٠

أشْكَـل : أكثـر ٠

أُعـْقـُص : تهذيب لكلمة « أعقب » أي أسكت واخرس ٠

أفـا : أي عيب ، لا ينبغي أن تعمل كذا ، أو هل أعمل أنا هذا العمل المشين ، ينطبق عليها المثل « ما هكذا يا سعد تورد الابل » ٠

---

(١) يلعب : يغلب ، مذلوق : جميل الطلعة ، الوزنة : ترجح الأمور ، حارن : من الحيرة ٠

أفنْطَس : الأفطس ، ذو الأنف المنفرش ، وهي صفة تكثر في المولدين السود ·

ألنْوان : هيا ، مع الاستعجال، كقولهم : تَوّك ·

اللّي : الذي أو التي ، وهي اليوم لهجة مشتركة لجميع الأقطار العربية ، ولم يعد أحد يجهلها(١) ·

أُمّ : بلفظ الأم الوالدة : تعني «ذات» ويكثر استعمالها في الأماكن ، كأم السلم وأم الدود : قريتان على الطريق بين مكة وجدة ·

أُمّ حُبَيْن : نوع من الحرابي يشبه الضب ولكن ذيلها ليس كذيله ، وله فهم عجيب لكلام الناس ، وكنا نتابعه فنقول:

أبا الحبين أبـا الحبين   لعب الصبايا كيف كيف!

فيهز رأسه يميناً وشمالا في طرب وغطرسة ! ثم نقـول نفس اللحن مع ابدال الصبايا بالعجائز ، فيهز رأسه الى أعلى وأسفل في حركة مضحكة تدل على الضعف والعجز ! ·

أمْرَج يمرج : الشـيء لا يثبت في مقـره ، كالمسننات والأعواد المثبتة ·

أُنْقُـل : التنقيل الطرد ، والتنقيل : تلييس الجدار بطبقة من المؤنة المخلوطة كالطين والنورة ونحوها ·

انْقَلَع : ذهب مغضوباً عليه ، ويقال للمغضوب عليه : انقَلِعْ ، أي اذهب · مأخوذة من الانقلاع ·

---

(١) واعتقد أنها قديمة مهجورة ، وانها مفرد اللائي الواردة في القرآن الكريم بمعنى اللاتي ·

أنْقَـرِيّة : كلمة عسكرية من مخلفات العهد التركي ، معناها فرد أو أفراد يرسلون في مهمة مؤقتة لتحميل شاحنة أو تنظيف مكان ، عربناها في الجيش (مهمة) ولكن الألسن تعودت على الكلمة القديمة ولم يأخذوا بها الا في النادر ٠

ان كاد : في لهجة شمال حرب وجهينة « ان كان » مع اخراج الكاف من طرف اللسان بين النواذج فيشبه الشين ٠

أوَىَ يأْوِي : يشفق ويرحم ٠

أوْزَم : أحوجه الى كذا والجأه الى عمل كذا ٠

أَهَا : نعم ، وأها : أغر ، وتَوًّا ، وأها : احذر ٠

ايْدَع : سَوْق للغنم ونهيها عن الشيء في لهجة هذيل ، والدع في الفصحى : الدفع ٠ قال تعالى : « يوم يدعّون الى نارِ جَهَنّم دَعّاً » ٠ الطور ١٣ ٠

أيْش : في الأصل معناها « أي شيء » وقد تعددت اليوم مشتقاتها أو أخواتها ، فهي : أيْش ووَيْش ووَشُو ووَشَنْهُو ، وشُوْ ، عند أهل الشام ، وأيه عند أهل مصر وحاضرة الحجاز ، وشْنُهْ ، عند السودان ،

وهي من أقدم ما وصل الينا من اللحن ، جاء ان أمير المؤمنين المهدي قال :

ويحك أيْش الحيلة فيها يا ربيع !؟(١) ٠ والمهدي هو أبو عبد الله محمد بن المنصور الخليفة العباسي من سنة ١٥٨ هـ الى سنة ١٦٩ هـ ٠

---

(٣) المناسك ص ٣٤٤ ٠

ايقاف : اذا كرر فهو أمر للجمل بالوقوف ، وكأنه قولك: وقوفاً وقوفا ٠

ايـْقـَهْ : لصد الجمل عن طريق أو جهة معينة ، وكأنك تقول له : هنا ؛ ولا يقال للناقة ، وانما يقال لها « يـَتْ » ٠

أيـْوَهْ : نعم ، وأيوه : استمر ، وأيوه : وبعد ؟

(ب)

باغي ، أبـْغـَى ، مقصور : هي لهجتهم في أبغي ، بالياء ٠

باقــة : وعاء يعمله الرجال خاصة ، صغير ذو نقوش ، يعتلقه البواردي(١) ، يوضع فيــه رصاص البندقية ، يقول شاعرهم :

كم صبيٍ يومْ حِنـّا عند اهلنــا
ينقشْ الباقهْ وقالاته خفائف(٢)

باهشة : بهيمــة ، لا يفهــم ، كالعنز أو دواب الأرض ، ويستعيرونه للأطفال والرعاع

بـُخـْتـَشـْتـَة : محفظة نقود،وأظن أصلها تركياً أو فارسيا٠

بـَخـَص : البـُخـْص ، العلم والخبر العميق ، يقول لك :

---

(١) البواردي : حامل البارودة ،وهي البندقية ٠

(٢) صبي : رجل ، قالاته : أموره ، خفائف : ليس كما يدعي الشجاعة ، تافهة ٠

أنا لا أبخص كذا ، أي ليس عندي منه خبر أو علم ، وفلان أبخص مني في كذا ، أعرف وأخبر ٠

بُخْنُق : خمار تغطي به المرأة أو الفتاة وجهها ٠

بَدّايَة : زائرة زيارة قصيرة ، والبَدْوة من بدا يبدو : زيارة ذوي الأرحام ، والبَدْوة : بروز الرحم من المهبل ، ثم يرجع باليد ، مرض ٠

بدن : شقتا الثوب الأمامية والخلفية ، والجنوب تسمي الحواشي ، ويطلق على مفرد الانسان ٠

بِدْنَة ، وجمعها بِدَن : قبيلة من الناس ، فرع من من قبيلة كبيرة ٠

بدِيْدَة ، وجمعها بدايد : فرع من قبيلة كبيرة ٠

بِدّي : معناها بودي ، من الود ، أو من البد ، كقولهم : شيء لا بد منه ، أي لازم ، وتعني أريد كذا ٠

بَذْبَذَة : ثرثرة وهذر ٠

بُرّاد : اناء يقدم فيه الشاي ، والبَرّاد ، بالفتح : آلة تبريد الماء « ثلاجة » ٠

برضو أو برضه : تعني أيضاً ، فيقول لك : فلان برضه جاء أي أيضاً ، وأنا برضي أريد كذا ، أي كذلك ٠

بَرِيم : البريم ، حزام من الأدم من عدة حبال رفيعة مبرومة ، تحتزم به المرأة ، فهو كالنسعة للرجل ٠

بَزَى يبزى ، بالقصر : ربى وحضن الطفل ٠

بَزْقَة : يعنون بها الطفل الخبيث ومعناها أن الشيطان بزقه من فيه في رحم أمه ، فجاء شيطاناً !

بَسّ : كفى ، والبس ، بالكسر : من اسماء القط ٠ وبَسَّ الشيء : بلّه بلاً خفيفاً فذلك المبلول بسيسة ، وهو أقل رخاوة من المعجون ، والبسيسة من الثرى والطحين مالا يتماسك لعدم بلوغ الرطوبة التي تجعله عجينة ٠

بُسْطَار : حذاء ذو رقبة طويلة تغطي جزءاً من الساق ، يستعمله العسكريون ٠

بَصّ : البصّاص ، من يتتبع عورات الناس فيخبر بها ، والبصيص : الضوء الضعيف ٠

بِطَان : البطان نسج عريض يربط به وثر البعير على صدره خلف الحِنَّة ٠

بطَانَة : البطانة ، سند الجبل مما يلي السفح ، وكأنه بطنه ، والبطانة : المقربون الى الرئيس أو القائد ، وبطانة البدلة أو الثوب : طبقة رقيقة داخلية ٠

بَطّانية : غطاء منسوج من الصوف أو القطن ، وتجمع بطانيات أو بطاطين ٠

بَطْبَط : البطبطة: لعب الطفل في الغدير أو الماء الضحل، اذا صار يحدث صوتاً من تخبطه فيه،وبط فلان فلانا : ضربه، في حالة التندر ٠

بَطَّة : الطير المعروف ، والبطة : اناء نحاسي يملأ ماء فيظل يغلي على النار في المقاهي يعمل منه الشاي٠ومن نوادرهم

اذا رأوا شخصا لا يكاد يرتوي من الشاي ، قالوا : « يا قهوجي حل البطة ! » أي اجعل البطة كلها شاياً ، والقهوجي صاحب المقهى و « جي » في اللغة التركية علامة النسبة ٠

بَطُول : كذوب منافق ، كثير المكر والخداع ٠

بُقْس : جمع اليد ، لعلها مأخوذة من الانكليزية « صندوق » لأن جمع اليد يشبه الصندوق ٠ والبقس أو الصالون : سيارة مصندقة ، وهي كلمة دخلت من الانجليزية ٠

بَقَّص : أخذ الشيء قليلا قليلا ، واقتصد في النفقة ، ويقولون :

« من بقّص صار يرقص » ٠

بقط : كبقص ، غير أن هذه أكثر دلالة على البخل ، فهو يبرض الشيء برضاً ٠

بالحيل : جداً ، يقولون : فلان ضرب فلاناً بالحيل ، أي ضربا قاسيا ٠ وشرب بالحيل ، أكثر من الشرب ٠

البل : الابل ٠

بَلَس : البلس أو البيلسان ، ماء البشام ، والبلاّس : جامعه ، والبلاّس كالبصاص ، وكثيراً ما يكون مسؤولا عن متابعة أشخاص « يبلس عليهم » أي يخبر عن أحوالهم وما يضمرون ، أي أنه عين لشخص أو سلطة ماء ٠

بَلْكِي : في لهجة الحاضرة، تعني: ربما او يمكن ويقولون للغائب : بلكنّه أو بلكنها و بلكنهم ٠

بَنَاجر : أسورة ذهبية أو فضية خفيفة تلبسها المرأة ، وواحدتها بُنْجرة ، توضع منها في الذراع عدة أزواج ·

بَوْش : فنجان شاي ·

(ت)

تَبْهِيرة : مقدار ما تبهر به دلة القهوة من الهيل وغيره ، كالقِرْفة ، والعويدي والزنجبيل ·

يقول شاعرهم :

الدلّهْ اللي ما تبهّرْه من الهيل
مثل العجوز اللّي خبيث نسمها

تَحَتْرَك : تَحرّك ·

تَحَمْصَق : المتحمصق ،الذي يريد أن يعمل شيئاً فيمنعه منه أمر آخر ، وينتظر فرصة مناسبة ، أو يريد الذهاب في طريق فمنع ويحاول أن يسمح له ، فهو في اضطراب لا يستقر ·

تَرَى : تنبيه بمعنى « اعلم » يقولون ·· ترى فلان جا ، أو ترى الوقت راح ·

تَرْبَس : التربسة ، صوت يخرج من بين الشفتين بمساعدة اللسان ، نداء الغنم لشرب الماء ، وتربس الباب : اغلقه بالمزلاج · والمتربس : المغلق باحكام ·

تَزَافِيف : عدول من حرير كانوا يضعونها على صدر الثوب ، للرجال والنساء ، نسختها ملابس الحضارة اليوم ·

تـَز ْعنـَف : تعفف في تيه و بطر ٠

تسهـَّك : أعاد الضحك مرات من الفرح ، فهو يتسهـّك من الضحك ٠

تـَشلـْبـَى : رقى الشجرة أو السيارة في اعتباط ٠

تـْشـِي ْ : نداء الحمار ٠

تـَعـَقـْرص : الحبل والخيط ، تعقـّد فلم ينفك ، والحية انطوت وتكومت حول نفسها ٠

تـَعـْه : نداء البعير ، وله نداء آخر لا ينكتب ، هو احداث صوت من اللسان على اللثة ، يشبه الطق والنقرضة ٠

تغرشى : كتشلبى ٠

تقـَحـْبـَن : شرب السائل دفعة واحدة ولم يبق منه شيئاً ، يقحبن : يشرب بمبالغة ٠

تلـْبـِينـَة : الحليب الذي تخلط بـه القهوة ، ويقال : لـِبـْنـَة ٠

تـَلـّيك : شبشب ، حذاء خفيف للحمام ونحوه ٠

تمرقص : تلوى من الألم ٠

تـَنـَا َمى : تنامى الشيء : أخذه شيئاً فشيئا حتى أنفده والتنامي : نقيض ذلك التكثير من النماء ٠

تـُو ْد َاه ، والجمع توادي : العود الذي يوضع على ثـدي الناقة فتصر عليه ، يجعل في أحد رأسيه فرضاً ثم تربط فيه شطيبة فتلف على ثديين من أثداء الناقة الأربعة ، فهو الصرار ، وجمعه أصر ّة ٠

تورسل : تورسل فلان فلاناً : تابعه متابعة من لا يتخلص منــه ٠

تَـوّك : أسرع ، عجّل ، من التو ، وهو الحين والتعجيل ٠

تَـهَـو : تعني جهة ، يقول : أتيت على تهو المكان ، وهو لا يراه ولم يره ، وانما على الوصف والاتجاه ٠

ثَـغّ : ثغ فلاناً يثغه ، أمسك به وضغط عليه أو خنقه خنقة خفيفة ، فهي ثغّة ، مأخوذة من ثغ القربة :اذاضغط عليها حتى يخرج ما فيها ٠

ثفَـالَـة : قطعة من خصف أو قماش أو نطع ، توضع تحت المطحنة أو الرحا لحفظ المطحون ٠

ثَـنْوَة : الغلية الثالثة للقهـوة ، وتسمى الغليـة الأولى « ألبكر » والثانية « الرّدّة » ٠ والثنوة : وفل البن:المتبقي بعـد الغلي ٠

(ج)

الجادل : الفتاة الغضّة البضة ذات الجدائل المترادفة ٠

جَـاعَـد : جلد خروف يدبغ دون أن يزال صوفه فيتخذ مفرشة على الأرض أو المطيـة ، ومن دعواتهم على العروسين « فراشهم جاعد والشيطان بينهم قاعد ! » ٠

جَـحْلُوطي : تهامي لا يقوى على تحمل البرد ٠

الجَدْي : القطب الشمالي ٠ والجدي : التيس الصغير ٠

جِذَع : شاب مكتمل، والجذع من الابل : الذي أتت عليه أربــع سنوات ٠

وجذع النخلة ، بسكون الذال ، معروف ٠

جُرَّة : أثر ، وجُرَّة : اذن ، يقولون : ويش جرتك على كذا تأخذه ؟ أي باذن من ؟ ٠

جَعْدَنة : كثرة الخصام في التوافه واختــلاق الأسباب ، يصفون فاعل هذا بأنه جعيدي ، وللناس منــادع كثيرة على « الجعدة » منها : « سبعة شياطين ولا جعيدي واحد ! » ٠وقبيلة الجعــدة تتحاشى النسبة فتحذف ياءهــا ، فيقولون : « فــلان الجُعَيْد » ٠ والجعدنة هذه منسوبة اليهم لكثرة خصامهم على التوافه ٠

جِعْرِي : كلب الماشية والزرع ، وهو غــير السلق كلب الصيد ، فاذا تزاوجا نتج منهما « ضِيثري » كما ينتج البغل عن تزاوج الحمار والمهرة ٠

جَعُوب : امرأة لا تشبع ، وشاهده في « اللاّش » ٠

جعُود : جدائل المرأة ٠ وجاء تعدد أسماء جدائل المرأة من كثرة تغنيهم بها ، فهــي : جعود ، ورجــود ، وعُضبان ، وقرون ، ولكل قبيلة اختصاص من هذه الكلمات ، وقلة شعر رأس المرأة وصغر ردوفها من العيوب عندهم ٠

جَغَر : صاح من الألم فجأة وبشدة ٠

جَلَنْكاكي : دخلت عن طريق الافريقيين السود ، وتعني مشياً على القدمين ٠

جَمْ : بدل من جاءوا ، يقولها بنو عمرو والحنانية من حرب ، وبعض هتيم[1] ٠

الجَنَا : الشيء الذي لم يسم ، يقولون : خذ هذا الجنا ، أي هذه الحاجة ، وخاصة عندما يغيب عن ذهن الانسان اسم تلك الحاجة ، والجنت : مؤنث الجنا ٠

جنزبيل : بدلا من زنجبيل ٠

جُوَاز : زُواج ٠ وجَوْز : زوج ، وعلى ذلك جميع مشتقاته ٠

جَوْدَرِيُّ : لحاف من القطن ، يلبّد القطن فيه خفيفاً بين قطعتي قماش بحيث يغطي شخصاً أو شخصين ، وبه سمي شارع الجودرية بمكة ، حيث كانت تباع ٠

جَهَام : جموع من الناس حلول في مكان واحد ، قال شاعرهم :

ولا شاف الجهام اللّي صلاة الصبح لِهْ رَنّهْ

كما رنّةْ مني لَيْنك موايِقْ ثِمّ تُوحيها[2]

جَهْلُوط : الجهلوط ، الجلد الذي نزع وبره ، والانسان العريان ، خلع ثيابه وبقي بجهلوطه ٠

جُهْمَة : غطاليس الصبح مع انبثاق الفجر الأول ٠

---

(١) والميم عندهم تلحق بأكثر افعال الماضي ، فيقولون : أكلم وشربم بدلا من أكلوا وشربوا ٠

(٢) توحيها : تسمعها ٠

جاب : بدلا من جاء بكذا ، ويجيب ، مضارعه ٠

جيفة : الشيء الذي لا يصلح ، ومن أمثالهم : « رملة تظيفة ولا جوز جيفة » ٠

والجيفة : جيفة كل حيوان ميت ٠

(ح)

حامي : اسم للكلب ٠

حِبَّة : قُبلة ٠

حَجَب : الحجبة ، خباء توضع فيه الفتاة ليلة عرسها ، فهي محجوبة ٠ ٠

حَدّ : يقال للعبير في حالة السَّوق ، وتعني « حل » ٠

حَدَب : أحدب ، منحني الظهر ، وحدل في الشيء : ذاقه فأخذ يعاوده ، فهو حادل ٠

الحَذِيّة : الشُبرة مما أتى بلا ثمن ، كأن يغزو قوم قوماً فيأخذون حلالهم فيطلبهم من يحضر القسمة الحذية ، أو يعطي الملك شخصاً مالا ، فيطلبه آخر الحذية ٠

حَر : يقال للحمار في حالة السَّوْق ٠

حُرّ : الحر من الابل ، الذلول النضو ، ويكون غالبا أبيض وله صفات خاصة ٠

والحر من الناس : الحساس الذي لا يحتاج الى حث على العمل ٠

حِرْفَة : عمل البيت ، والحرفة : العمل الذي يكسب منه الانسان •

حِزْب : الحزب ، الدور ، والمحازبة : أن يتناوب أناس عملا بالدور •

والحزب : نصف جزء من القرآن، والحزب : القوم الذين يتشايعون ويتحزبون بعضهم لبعض •

حَزّة : وقت من الأوقات •

حَشَد : حياء ، متحشّد : مستحٍ •

حشف : الحشف ، بسريبس قبل أن يصير زهواً ناصعاً ، فهو يابس ماتك الطعم ، يعطيه الناس الحيوانات ، واذا جاعوا بلّوه بالماء وأكلوه •

حْفَا ، الحفا : الجزاء السيء من الله في عرفهم ، كأن تسخر من مصاب بعاهة فتصاب بها ، فهذا الحفا • يقولون :

الحفا ما عاد يبطي   والهجر جِنّيّة

والهجر هنا : الأوقات •

حفاظة : ما يوضع للطفل الصغير أو المرأة الموعودة •

حِفَّة : شعر تتركه المرأة ينزل على الجبهة فتقصّ مقدمته فيصير محفوفاً من الأمام •

حكرت البَرّادِي : أي عملت الشاي عملا طيباً متقنا •

حِلْس : وثر الحمار •

حِلَّة : البيت وما حوى من أثاث ، وجمعه حِلاَل ٠

حَمَص : اذا وقع سائل الليمون على شقوق اليد ونحوها ، قالوا : حمصه ٠

وحمص البول الصبي : آلمه في موضع الختان ، وحمص الأمر الرجل : خاف عاقبته ٠

حَمْحَم : الحمحمة ، صوت الكبش عند الانتشار ، كهدير الجمل عند الهياج ٠

حَمُّودِي : عمامة حمراء من نوع خاص يحزم بها البطن ، وتسمى ـ أيضاً ـ شرقية ٠

حِنّا : نحن ٠

حَنْتَم : قال قولا كثيراً غير واضح ٠

حنس : تَحنّس الفقير بالغني ، أو الصبي بأبيه ، لمّح أو تمسّى الهبة ، فهو كالمعتر ٠

حِنْشولي : متلصص ٠ والحنشل : مجموعة سُرّاق يتلصصون لاخذ الغرات والهرب بما يجدون ٠

حنط : لم يحنط فلان كذا : لم يتقبله ولم تمل اليه نفسه ٠

حُنَيْنة : قرص من الطعام صغير ٠

حَوَب : الحوب ، قلة الآنية في البيت ، ويستعيرونها للعنين ، فيقولون : « هو حوبان » ! ٠ كناية عن عدم وجود الحاجة لديه ٠

حَو َان : شيء يرى من بعيد يتحرك فــلا يدرك كنهــه ، ويسبون بها بعض الناس فيقولون : « هو حِو َان » ! وفصحاها بفتح الحاء والياء ·

حَيْــه° : صوت تنبيه لكلاب الماشية اذا ظُن أن ذئباً يحوف المرحان ليلا ·

(خ)

خاشوقة : ملعقة ، وهي تركية الأصل ·

خاطر ، وجمعــه خواطر : نفس الانســان ومعنويتــه ، وانكسر خاطره : انصدم نفسياً من اجراء معين ·

وخاطر وجمعه خُطَّار : ضيف ، قال شاعرهم :

ذا مركز الشلفا وذا مربط الفرس

وذا مفرش الخطار يوم يجون

وخطر له خاطر : تذكر شيئاً ، وهم بشيء ·

خافت مخافته : حادثة بصوت منخفض جداً ، وكثيراً ما يكون الكلام صباً في الأذن بحيث لا يسمع الجليس ·

خُبْو َة : برقع أسود تضعه بنات شرق الحجاز ونجد على وجوههن في الصغر لغرض حمايته ، من تلويح الشمس والهواء فتصير وجوههن بيضاً ·

ختمة : الختمة ، المصحف من القرآن ، والختمة : حفل يقام للصبي اذا ختم القرآن ، أي أتم دراسته ·

والختمة : قلادة فضية ذات لوح مربع ، وتسمى اللَّبَّة ٠

خدن أو خدين : الصاحب الملازم ، والمرأة المخادنة : التي تتخذ خدناً من الرجال ٠

خَذَم : الخَذْم ، شق أذن البهيمة بالعرض الى قرب المنتصف ، فهي مخذومة ، وهو وسم للغنم ، وضده الشرق ، شق الأذن طولياً ، فهي مشروقة ، وسم أيضا ٠

خِرَاش : خفة وعدم استقرار ، وهو داء للابل ، ومن أمثالهم : « عاقل البل خريش » ! ثم يستعيرونه للانسان فيطلقونه على من به خفة لا يستقر في مكان ٠

خَرطْ مَرطْ : كلام فارغ .

خرف : الخرائف ، أحاديث الطفل في أول كلامه ، والخرائف : بث الاسرار بين المحبين والأعزاء ، وخرّف العَوْد : كبر سنه وكثر كلامه بما لا يفيد فهو مخرّف ، والخرف : عدم الادراك في كبر السن ٠

خَزْوَة : عمل مخجل يتحاشى صاحبه الظهور أمام الناس، ومن أمثالهم : « اشتهر ولو بخزوة » من باب الطنز بمحبي الشهرة بأي شيء ، وقولهم : « أزرى عن جزاه قام وخازاه » ، والخزي : الكلام القبيح ٠

خشم : أنف الانسان والحيوان ، ونعف الجبل ٠

خِصَار : من حبال وثر البعير يجعل على الخصر على شاكلتي الجمل ، والحبال التي تمسك الوثر على الجمل : الخصار ،والبطان واللباب، تحت الرقبة على الثغر ،والذناب، تحت

ذنب البعير • والخِصَارة : أكل البقل كالبصل والكراث والفجل ونحوه مع الخبز •

وخَصَارة : لغة بعض زبيد في خسارة •

خلاش : ما خلاش ، ما خلّى شيئاً ولهم طرفة تقول : ما قلت(١) لك خن نشرب الرايب •

يوم الرخم غايب يا خليفـة ماش

جاه أبو دنقور خش في القنبور(١)

شربه وما خلاّش !

الخلاصة : عجينة من طحين توضع في الزبدة عند تمييعها فترسب بها الأوشاب فيخرج السمن خالصاً نقيا •

خَمبة : عمل مخجل مسكوت عليه أو يُحاول التستر عليه.

خَمْرَة : الخمرة من الدلال ، ما تغلى فيها القهوة ، وتظل دائماً قرب النار ، ولا يصب منهـا للضيوف ، بـل يصب من المصفاة ، وهي دلة أصغر تصفى فيها القهوة •

خَوّارة : نوع من الابل التهامية لها ملامح خاصة ، يقال: إن حليبها أحلى حليب الابل •

خَوْد : امرأة ، وخَوِيَ : رفيق ، وخوي الأمير: مرافقه، وهي اليوم رتبة كالحرسي •

---

(١) وتلفظ القاف : من « قلت » جيماً عند بعضهم وكذلك القنبور ، وخن : خلنا ، خليفة ماش : لاشيء •

خِرْنق : الخرانق ، صغار الأرانب ، وتصغيره « خُرَينق » ٠

خير وخاتمة خير : دعاء تأسف فيه ، طلب لحسن العاقبة ٠ ويقولون : ان خَيراً كان يهودياً أسلم عند وفاته فصارت خاتمته نقيض عمله ٠

(د)

دَبْدُوب : جِنْسُ حشرة تدب على الأرض كالعقرب والشبث ونحوهما ٠

رَمّ : رَم الشيء : أكله برمته « كله » ٠

دَبَش : أغنام ، والدَبَش : جهاز العروس ، والدَّبْش: الحجر غير المشذب ٠

قال الشريف بركات يوصي ابنه :

واحفظْ دبشك اللي عن الناسْ يغنيكْ
واللي ليابان الخللْ فيكْ يرفاكْ

دَجّ : دج الطفل : ليس له حاضن ، ودج الحلال : سرح بلا راع ، والدجّة : العيلة ٠

دَحْلَس : دحلسه : خادعه حتى أرضاه ٠

دَحين أو ذحين : الاولى للحاضرة ، والثانية للبادية ، بمعنى ذا الحين ، وهي من الابدال ، وقد ذكر الابدال في باب خاص ٠

دَرَه : بَلَه وفجع ، ودره قلبه : جعله هبيلا .

دِسْمال : عمامة كبيرة ، وكانت سوداء ، قال السُّلَمي :

أبو رجودٍ ينفحّها على متنهْ وتزهاهْ[1]

وليا نكشها كماالدسمالفي بيتالبضوعي[2]

دَشّ : الدش، تكسير الحب والنوى، ونحوهما ، والدش: استمرار اللحى في العلج ، ودش الحلال : دج .

دَشِيشَة : الحب يكسر تكسيراً بالمطحنة أو الرحا ، تعمل منه الشربة في رمضان ، ومنه بعض علف الغنم ، وكانت الدشيشة من الصدقات المقررة لأهل مكة في العهد التركي .

دِعْب : شعيبخده السيل عميقاً فكستهالأشجار الكثيفة.

دَعَث : « دأث » وهي الأرض الرخوة تنغرز فيها قوائم الدواب .

دَعْفَس : دعفس الشيء ودنفسه : عمله بطريقة مزرية بعيدة عن الاتقان .

دَفّ :دف الشيء:دفعه الى الأمام،ومنها ـ اليوم ـ دفوا فلاناً ، نجحوه بعد أن كان على شفا الرسوب !

دَفْع: عند أهل شرق الحجاز ونجد:مايدفع للعروس من مهر ونحوه .

---

(١) رجود : شعر الرأس .

(٢) البضوعي : بائع البضائع .

دَقِيش : عند العسكريين (بديل) في النوبة أو الخط الأمامي ، وداقش فلان فلاناً : خلفه في النوبة ، والمداقشة : التبديل ·

دَك : دك فلان على فـلان أو على الصبيـان : توعدهم فخوفهم أو أراهم أنـه يريـد ضربهـم وليس صحيحاً ، ومن أمثالهم : « الدك ينفع في الرجال الذ لّ » الذليلين ·

دَكّنَ : اتخذ دكاناً ، فهو مُدكّن ·

دكّة : رباط السروال ، والدَّكة ، بالفتح : بنية مرتفعة عن الأرض يجلس عليها ·

دلوبج : وسيع بال ، قليل احساس ·

دَلّة : اناء القهوة العربية ، وانواعها : الخمرة ، ذكرت والمصفاة أو المبهارة وهي التي تبهر فيها القهوة ومنها تصب للشاربين ·

دمس : في لهجة أهل شمال الحجاز : الحجر الذي يدق به أو يخذف به ·

دَنْدَكة : لعب ولهو ·

دَنْدَنة : عند زُبَيد من حرب : تمام ، ممتاز ·

دوادي : الدوادي ، الاحاديث التافهة ·

دَوْرَق : وعاء فخاري كالشَّربة غير أن قاعدته مخروطية مدروبة ، يستعمل كثيراً في المسجدين يملأ بالماء السبيل ·

دُوْن : انسان ناقص ، نذل ·

دُوَيْدار : رائح جاءٍ بين جهتين ، وكانت من وظائف المحمل المصري .

دَيْدَبة : الديدبة ، أناس ذاهبون في طريق واحد وراء بعضهم بعضاً في مسيرة لا تكاد تنقطع .

دِيْر : فعل أمر بمعنى زح أو ازحف وراءك .

دهْ أو دِيْهْ : صوت لسَوْق الابل ، وتسمى الوَيدَهة ، ولا تقال للجمال .

ذا: يجمعونه ذَولي، للقريب، وذوليك أو ذَولاك، للبعيد، للنساء : ذَنّك وذَنّيك وهَذَنّيك . وذكر في هذا .

ذاك : يقولون : ذاكهْ ، وذيك ، للمؤنث ، وهَذِيك ، وهذي ، لجمع غير العاقل .

ذَحِين : بدل ذا الحين ، وتقول الحاضرة : دحين، بالدال، وحرب : ذِوان .

ذَرُوق : شديد الجبن ، وكأنه يذرق من الخوف .

ذماه : في لهجة هذيل والأشراف ذوي حسن : لا خير فيه .

ذناب : من ربائط وثر البعير ــ ذكر في خصار ــ ومن عيراتهم : « فلان ذناب » أي امّعة تابع لا رأي له .

ذِوِان : الآن ، وهي من لهجات حرب ، محرفة من ذا الآن أو ذا الأوان .

ذيّ : هذه ، ويقولون : « ذيه » وذِيّك .

(ر)

راحلة : الراحلة عندهم : الحمار ، وجمعه رواحل .

راس : اسم لشعر المرأة ، ويقولون : ما عليها راس أي أن شعرها قصير، والراس : الواحدة من الماشية ، والرأس : الذي لا يتبع غيره ، وهو قران أيضاً، والراس: متن من الجبل بارز، والرأس : حبة بصل أو حبحب من نوع النموس .

رَامَّة : العنز الدجون التي تدخل البيوت فترم مافيها، أي تأكله برمته ، وانظر الرامة في باب القصة من هذا الكتاب .

رُبَاح : اسم للقِـرد .

رتيلاء : فرخ العقرب ، له لدغة خفيفة ولكنها سامة .

ر جَّال ، وجمعه رجاجيل : رجل ، ورجال .

رجُوْد : جدائل شعر الرأس . لها شاهد في « دسمال » .

رِدَافة : نوع معمول كاللحاف يوضع فوق وثر البعير ليقي عنه الحمل فلا يؤثر فيه .

رَدْعة : زكمة مع الحمى .

الرَّهْ : نداء الضأن ، ويسمى الدَّرهشة ، والمنادي يُدرْهِش .

رَسَل : ما يكوّن حلقة على الحوض من الغنم ، وجمعه أرسال ، فاذا شرب قالوا للراعي : أرسل .

رضيضة : الطحين على المطحنة له ثلاثة أدوار : الدَّش ، ثم الرض ، ثم السلت . فيكون صالحاً للخبز .

رَقَع : رقع الثوب والخيمة : معروف ، ورقع فلان فلانا : ضربه ضربة قوية ،وتراقع الرجال: تضاربوا بالكراسي ونحوها من أشياء ثقيلة .

رَكْوة : هندول أو محملة أو ميزب ، مسميات لاسم واحد، وهو ما يبزى فيه الرضيع وتحمله أمه فيه أو تعلقه به .

رُمَام : الرمام : اسم للبهم المختلف الأعمار .

رِمَّة : دنيء لا خير فيه .

رَوْد : امرأة ، جنس الأنثى .

رَوْسَاء : الروساء من النساء ، والأروس من الرجال : من لا يطيع أحداً ، ولا يسمع الا من رأسه أي يتصرف بما يمليه عقله .

رَهَش : راهش الطفل يرهش : مد اليك يديه يطلب مامعك أو يريد أن تحمله .

(ز)

زَبَاد : من اسماء القِط ، والزباد : نوع من العطور معروف ، ويضعون منه في القَهوة .

زَبَع : زبع يزبع الشيء : حمله بمشقة مع استمرار .

زبْعَر : زبعر فلان لفلان : تحداه ، وكذلك زعتر له ، فهو يقول له : « زِبْعِرْك ، وزعتَرّك » !

زَبَن : التجأ ، والزابن : الملتجىء ، والزابن : جدار يسند به الجبل أو الكدوة لئلا ينقض على المزرعة ·

زَحَط : زحف ·

زَحْلَق : زحلق فلان فلاناً : تخلص منه وصرفه بخدعة أو ملاطفة ، مأخوذة من الزحلقة ، وهي التزحلق على الصفا أو الانزلاق من الطين الرطب ·

زَحْمط : الزحمطة : بلع الشيء بلا مضغ ، وعليه طرفة لطيفة[1] ·

زَرَط : ازدرد ، وبلع ·

زَغْنَغ : حسنت حالته بعد فقر ، والنور جعل العين تجهر من النظر اليه ·

زُقْن ، وزُقَين : في لهجة بني سُلَيم : زين مع التعجب يقولون : يا زقين هذا الرجل ! أي ما ألطفه وما أحسنه ·

زُمَالة : مطيّة ·

زَمل : مجموعة من الجمال ليست فيها ناقة ·

زُنْقرة : شيء توعد به ولم تحصل عليه ، وقد طال انتظارك · يقولون : زنقرة في رأس عود ! أي لا أعلم أتحصل أم لا ·

---

(١) في كتاب » طرائف وامثال « ·

زَوْل : انسان تراه من بعيد ولم تتأكد أرجل هو أم امرأة ، والزول : أحد ، تقول : ما في المكان زول ، أي لا أحد في المكان ·

زَهَاب : أثاث ، وزهاب الطرقي : زاد المسافر ، ويقال : مزهب الطرقي ·

زُهْبَة : تعميرة بندقية ·

زِهْلَة : طعام بسيط بغيض ·

زِير : وعاء فخاري كبير يسع عدة صفائح من الماء، يوضع في البيوت لتبريد الماء، والزير : طبل كبير من آلات الموسيقى·

زيطَة : اتّسخ المكان أو الشيء بأقذار مختلطة ·

زِيق : صدر الثوب تجعل له خياطة خاصة ·

زِينة : حفل زواج ، عرس ·

(س)

سانِيَة : عدة اخراج الماء من البئر للزراعة ، على الحيوانات ·

سَبَط : محراث يجره ثوران أو بعيران لحرث الأرض ·

سبقة : يعنون بها الطفل الخبيث ، أي أن الشيطان سبق أباه عند الجماع ، فجاء شيطاناً ·

سَحَلة : طاسة ، اناء لشرب الماء أو الحليب ·

سحيلة : منسوج من شعر الغنم أو وبر الابل يجعل ذرى على البيت من الرياح يُتَذرّى به ، وقد يجعل لحافاً .

سَدْو : ما يُسْدى من شمال وبيوت الشعر .

سِرَا : السرا : الدور ، فاذا كان عمل ما على أناس بالتتالي فذلك سرا .

سَرَارة : السرارة : الذي يحج أو يزور المدينة لأول مرة ، والسرارة : خشبة تجعل بها أرجوحة عند قرب قدوم ذلك الحاج أو الزائر ، فيغنون فيها :

حجّاجنا حَجّوْا وجَوْا زاروا القُرين وعَوّدوا[1]

أما اصبحَوْ والا امْسوْا والا شرَيْق الشمس جوا

سَرْبَت : صار سربوتاً ، صاحب أعمال دنيئة .

سَرْسَر : صار سرسريا ، صاحب أعمال خبيثة ، ولا يتحرج من القبائح ، وفعله « سرسرة » .

سِرْوال : لباس داخلي شبه البنطلون طويل الى الكعبين ، وأقصر منه التبّان .

سَطْل : جردل للماء من معدن أو فلين « بلاستك » .

سعدان : من أسماء القِرد .

سعفة : مصوغ من الفضة خفيف تضعه المرأة في يدها قبل شيوع البناجر ، لعله شبه بسعفة النخل .

---

(١) القرين : جبل عرفة .

سفلة : سافل خسيس ، يقول كلاماً يوجب الخجل .

سِكْ : صوت سَوْق المعزى عند الحاضرة .

سَلْتَة : آخر أدوار الطحين على المطحنة،ذكر في رضيضة .

سَلْف : قد من أدم ، والسلف ، بالكسر : عادة ومذهب ، ومحرك ابتداء السيارة ، والسلف ، بالتحريك: نقداً الى أجل .

وسَولَف : قص قصة ، فهي سالفة ، وجمعها سوالف ، والسوالف : حكاوي أي تحتمل التصديق وغيره ، والسالفة : شعر الصابر .

سَلَق : كلب صيد . وكلب الماشية والزرع : جعر أو جعري ، فاذا تزاوجا أنتجا « ضئرياً » .

سَمْلَل : السملول : قمع حبة الدخن والذرة ونحوهما ، فاذا هب الهواء انطلقت السماليل مع الريح على وجه الارض في سرعة هائلة ، ذلك أنها مخروطيّة الشكل ، فيطلقون هذه الصفة على من انطلق بسرعة « سملل » .

سَمُوت : غذاء يبقي على الحياة ، ومن أمثالهم فيه : (سموت لا تموت) اي يمسك الرمق فقط .

سِنَّارة : حديدة معقوفة الرأس ، توضع في خيط وفيها طعم ثم تلقى في البحر فيلتقمها السمك فيصطاد .

سَنْبُوك : زورق لصيد السمك أو حمل البضائع الخفيفة .

سَوِيق : طحين الحب المحموس .

سَيْع : أول حليب الوالد من الحيوان ، يكون أصفر جامداً،فاذا غُلِيَ صار عصيدة لبنية شبه صفراء تسمى لباء .

(ش)

شابُور : حذوة من حبحب أو خربز ، يحذونه شوابير على شكل أهلة ٠

شاجُور : الشواجير ، عودان في مقدمة عدة البعير يربط بينهما عود خاص منحن يسمى النظام ، والعدة من وثور الجمال أطول من المسامة والشداد لحمل الشقادف والطرود ٠

شاذلية : من اسماء القهوة العربيــة ، منسوبــة للشاذلي صاحب الطريقة ، ولا أدري ما العلاقة بينهما ؟! غير انهم ـ في تهامة ـ كانوا يبدؤون القهوة ـ بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ـ بقولهم : الفاتحة على نية الشاذلي والخامري وكل صالح ولي ! ٠

ويقول شاعرهم :

الشاذلية يومْ تصرَى من الهَيْلْ

مِثل العَجُوْز اللّي خبيث نسمها[1]

شَافَ : رأى ، والشوف : النظــر ، والحاضرة تقول : شايفاني ، بدل شايفتني ، ومثلها باغياني ورايداني ، وقس على ذلك ، ومن امثالهم : « شاف وعاف » ٠

شَالَ : َحمَل ، والشال : نوع من العمائم ٠

---

(١) وقد تقدم البيت بنص آخر ٠

شامَة: معنوية، وكسرت شامته أو شاماته: حزن وكسرت معنويته وانخفضت .

شايَعَ : المشايعة : نداء الابل ، وهو أن يقول لها : « يَهوْ » مع امالة الياء ومدها .

شُبَارَة : شُبرة ، وهي أعطية من محصول الزرع أو المال الوفير ، وهي قريبة من الرفدة والحذية .

شِبَاب : الشِّبَاب : عود يوضع في فم ولد العنز لمنعه من رضاع أمه .

شبشب : حذاء مكشوف الأعلى يستعمل في البيت .

شَبْوَة : انسان لا تستطيع التخلص منه ، وخاصة الطفل الذي يشبو عليك شبواً فتدافعه ، أو الشرير الذي لا تستطيع الخلاص منه .

شداد : بالتخفيف ، وثر له عودان خلف الراكب وأمامه يسميان الغزالين ، يوضع على الركاب خاصة .

شِنْب : دلو قديم مفري من وسطه غير ذي عراقي .

شَرَّب يشرب : حقن الدلة بما يكفي من ماء ، وذلك الماء تشريبة ، وشرَب : بال ، وكذلك طيَّر الشراب .

شَرْبة : شربة الماء : واحدة الشُرْب ، والشربة : اناء فخاري يوضع فيه الماء للتبريد أصغر من الزير ، وكانت — في مكة والمدينة — توضع في النوافذ من الخارج ليبرد ماؤها أكثر .

شَرِع : الشرع : المائق الذي لا يستحي ، والشُرْعَة : نصة العروس ، والشُرُع : جمع شراع ، خيمة في مقدمة

السفينة الشراعية ، وشارع فلان فلاناً : اشتكاه الى المحكمة الشرعية •

شَرَق : انظر : خذم •

شرقية : حَمُّودي •

شَرُود : جبان ، خَوّاف ، فاذا بالغواني ذمه قالوا : ذروق •

شَطْن : شغل ، والمشطون : المشغول، والأشغال، شطون، وهو ما ألهاك عن غيره •

شَطَّة : كيّة خفيفة ، وشطته النار : لذعته في يده ، ونحوه ، والشطة والشُّطَيطة : الفلفل الأخضر والأحمر ، لا الأسود ، والشُّطَّة : عدم الراحة والمشقة •

شُظَام : أسنان بارزة •

شَعْطُوط : شعر المرأة اذا قل وقصر ، والغنم القليلة •

شُقْدُف : آلة تشبه زوجاً من السرر مصنوع من حبال وله عضائد من خشب ، يحمل على جنبي الجمل ، وكانت الشقادف الوسيلة الرئيسية لانتقال الحجاج بين الحرمين •

شَلْبَن: الشلبنة: التقطيع، وشلبن الرجل الآخر:أحدث به جروحاً بالسلاح ، والشلبنة : تقطيع الذبيحة بسرعة •

شَمْشُول : غنيمة قليلة •

شِنْد : حاجة ، وجمعه شنود ، واحفظوا شنودكم ، أي احفظوا عوائزكم •

شَنُون : شراب العشي ، كما أن الصبوح شراب الصباح ، والغبوق شراب المساء ، ومن شواهد قولهم : « البل ما فيها عذرب[1] ، اللي ما تصبح تغبق ، واللي ما تغبق تشن » ٠

شُوْن : عصا غليظة طويلة ٠

شُوْه : تحريض الكلب على جهة معينة أو أحد أو سبع ، وشَوت للكلب ، قال له « شوه » ٠

شِيْد : سِيْد ، أي سيّد ، وهي لهجة بعض بوادي زُبَيْد ، وذكرت في الابدال ٠

شِيَرَة : شجرة ، والجمع شِيَر ، وشيرات ٠ ذكرت في الابدال ٠

شيلة : بامالة الياء ، خمار أو بخنق أو مسفع ، أسماء لمسمى واحد ٠

(ص)

صَاب : أصاب ٠

صُبَاحَة : ما يعطى للعروس صبح العرس ، ومن عاداتهم أن يقدم لها ذووها وذوو العريس هدايا ذلك الصباح ٠

صَبْخَاء : سبخاء ٠

صَجّة : ضجّة ٠

---

(١) قليلة الحليب ٠

صدى : يقولون : لا رحم الله صـــداه ، كقولهم : يلعن شكله أو جدفه ، وهي من لهجات بني عمرو من حرب ·

صَدَّر : عن الماء بعد الورد،وتصدر المجلس أي أجلس في الصدر ، وقولهم للضيف : تصدر ، وأمرق ، أي تفضل ·

صرار : الصرار ، صرار الناقة ، انظر : تودّاه ، وصرار النقود : خرقة تصرفيها ، والنقد : صر وصرار ·

صريمة : خطام من حبلين يلتقيان عند حنك المطية ، ويكون كل منهما في جانب ، يستعمل لترويض العسائف ، والصريم : كمية من الحشيش تعطى للجمل ·

صَعْفَقَة : الصعفقة ، ثني الانسان أو الدابة عن كـل طريق يريد أن يسير فيه ·

صَمْعَك : صمعك الانسان راسه : ظل وحيدا حائراً ، واذا حلق الصغير رأسه مازحـوه قائلين : يا صمعكة هـات العكة[1] !

صَقَع : الصقع ، بالفتـح : الضرب على الرأس ، وهم يقولون : صقع ، أي صرخ ، الصَّقَع : أثر ضربة على الرأس أخلت بدماغ الانسان فهـو أصقعَ ، ومن أمثالهم : « دجاجـة صقعاء » دلالة على عدم الفهم ·

صَكْصَك : الصكصكة : صوت يخرج من بين الأضراس، يقصد به سَوْق البعير وحثه على المشي ·

---

(1) هذه الكلمة سبق ترتيبها المعجمي سهوا ·

صَلْبَخ : الصلبخة : كثرة الأوساخ ، فالوسخ مصلبخ في الثوب ونحوه ، وصلبخ فلان على فلان : أكثر عليه الكلام مع خصام وإقناع شبه قسري ٠

صَلَخ : سلخ ٠

صَلَمَ : قطع الشجرة فلم يترك منها فرعاً ، وصلم أذنه: اجتثها من قاعتها ٠

صُمْعَة : اسم للعنز ، ويسبون به العبيد لتحقير شأنهم ٠

صميل : الصميل : القربة ، وجمعها صملان ، والصميل: العصا الغليظة ٠

صَنْدل : حبل معدني تسحب به السيارات ، والصنادل : سنابيك صغيرة للصيد والتنزه في البحر ، والصندل : حذاء مكشوف من أعلى ، من نوع الشباشب ٠

صَنْقَل : سوار الساعة اليدوية ٠

صَيْد أسعد : يقول الناس هنا : ان صيد أسعد هذا حيوانات تشبه بني آدم ، بل يؤكدون أنها من نفس الفصيلة ! ومع هذا فهم — على حد قولهم — يصيدونها ويأكلونها !! وتقول أسطورة شائعة في الجزيرة : ان رجلين ذهبا ليصطادا صيد أسعد، وكان أحدهما لم يره ولا يعرفه ، فقال الذي يعرفه لرفيقه : اقعد هنا وأنا أنفّج عليك الصيد فتمسكه ٠ فذهب فنفّجه فمر من أمامه رجل كأي الرجال ! فاذا برفيقه يناديه ويقول كلاماً لا يستطيع سماعه لبعده ، فسأل ذلك الرجل الذي يمر من أمامه : أتسمع هذا ما يقول ؟ قال : نعم ، يقول لك : خل الرجل يتعدى ! فلما جاء المنفج صاح في رفيقه غاضباً :

كيف أنادي وأقول لك : امسك الصيد فتدعه يمر وأنت واقف !
فقال ذاك : أين الصيد ؟ انما مر من عندي رجل كسائر البشر!
قال : هذا هو صيد أسعد !

ولا أرى تصديق هذا من السهل على العقلاء · ويقولون : ان موطنه الربع الخالي · ومن أمثالهم « صيد أسعد » دلالة على الجبن والضعة · وهذه الاسطورة قديمة شائعة ·

(ض)

ضاين : واحدة الضأن ، وجمع الكثرة « ضَيْن » ·

ضَبَح : صوت الثور عند الفراق يسمى ضباحاً ، وكذلك صوت القِرد ·

ضَرَب الغَدْوَة : تقول الحاضرة : ضربت الغدوة ، ودقّيت النَّوْمة ، أي أكل الغداء ، ثم استغرق في النوم ·

ضُعْفَان : أطفال صغار في لهجة أهل شمال الحجاز ·

ضِمْد : من ضمد يضمد : ثوران يعملان معاً يجران محراثاً ، أو لوحا لتسوية الأرض، أو غَربَيْن لسقي الزرع·

(ط)

طاح : وقع ، وطاح السعر : رخص ، والطائح من الناس: الساقط لا خير فيه ، والطيحة : الوقعة على الأرض ·

طاسة : الطاسة ، اناء معدني دائري الفوهة ، أسفلها أصغر من أعلاها ، تستعمل للماء واللبن ، والطاسة : مايغطي مفصل الركبة ، عظم دائري معروف ، والطاسة : ما يغطي مسامير عجلة السيارة من الخارج ، والمثل « الطاسة ضائعة » يدلل به على الفوضى وغياب السلطة والأمر أو اهمال المنفذين لاعمالهم لعدم مراقبتهم من رؤسائهم • وقبل انتشار المستشفيات كانت في بعض القرى طاسة نحاسية بداخلها كتابات متشابكة اذا شرب فيها من في بطنه ألم كالسموم وغيرها يشفى ، ولا زالت هذه الطاسة في الخوار يتوارثها نفر من الأشراف ذوي عنان ، وقد شربت فيها في صغري •

طاقة : نافذة •

طاقِيَّة : قبعة تلبس تحت العمامة ، وتسمى الكوفيّة •

طبخة : الكِميَّة من البن اللازمة لعمل دلة قهوة ، ويقال لها أيضاً : تلقيمة ، والطبخة : تآمر قوم ضد غيرهم ، مستعارة من طبخ الطعام •

طِحْرِير : سار الناس طحارير : كل يركض في شأنه لا يلوي على غيره •

طُرّاحة : فراش وثير من قطن للنوم ، وصار اليوم يعمل من الاسفنج •

طَرَبيزة : منضدة صغيرة •

طِرْبيل : عنين •

طرش : سافر سفرة قصيرة، والطارش: المسافر، وطرش: تقيأ ، والأطرش : الذي لا يسمع ولا يرى ، والطُرْشِي : مزيج من الخضار والخل والملح يعمل سلطة ، وطرطش الشيء: جعله مبتلا بالماء •

طَرْطَع : أكثر الخصام السطحي ليس فيه تفاهم رصين ، مأخوذة من الطرطعة وهي الأصوات الخفيفة من المعدن وغيره ، ومنه الطرطعان أو الطرطْيَع : بارود محشو في حوافظ صغيرة يشعله الأطفال فيحدث صوتاً قريبا من أصوات البنادق ، يكثر استعماله في الأفراح والأعياد ، وله فتائل اشتعال ولو ربطت بعضها ببعض ثم أشعل فيها أعطت صوتاً كصوت الرشاشات ، وقد يكون مفزعا •

طرقاس : قرطاس : وهي لهجة سبيع والبقوم ومن جاورهم •

طُرْقيّ : مسافر •

طِرْمَامَة : في لهجة حرب ، تَعِب ينعس ، يقول : ما أمسيت الا طرمامة ، فنمت فلم استيقظ الا وقت كذا •

طُرَمَة : سبة للعبد ، بمعنى امَّعة أو بهيمة لا يفهم •

طرنبيل : (أتومبيل) : سيارة •

طَسَّ : فارق وانقلع ، تقال للذهاب مع عدم الرضا عن الذاهب •

طَعّ : طَعَّه طعّة : ضربه ضربة في رأسه •

طَعَز : طعن الشيء بأداة ليست حادة ولكنها تخترقه ، وطَعَز الفتاة : افتضها •

الطَّفَّة : الطفة ، أعلى الجبل المشف كأعلى سطح الدار ، وبها سميت الأرض التي بالعراق مما يلي الشام ونجد لأنها مشفة على سهول العراق « الطف » •

طُفَاق : الطفاق ، اللقافة مع الخفة وقلة التعقل ، فالمرأة المطفوقة : كثيرة تكسير الأواني وتخريب المؤن ، وكذلك الولد وغيره •

طفش : الطفشة ، وعاء من خصف يوضع فيه قنو النخلة قبل الجداد لئلا يتساقط رطبها ، والطافش : الذي لا يفهم أو المغرور •

يقال : طفش الطفل ، أي ذهب على غير هدى ، فهو يتطفش • طَقّ عليه : طرده • وطق الباب : طرقه ، وطُقْطُقة : يغضب لاتفه الأسباب •

طمج : المُطمّج : الطعام أو الشراب البارد المبطىء •

الطناف : أعلى الجبل المعترض عسر المرتقى • وكان مرة عندي بدوي فأشف أحد الاولاد من شرفة الطابق العلوي من القصر فقال : « أبك الولد على الطناف لا يطيح » !

طنبر: المطنبر: الدكان المليء بالبضائع فهي مطنبرة فوق بعضها ، والطنبرة : صوت الدفوف ، والدف طنبور ، وجمعه طنابير •

طَخّ : طخه طخة : ضربه على وجهه بالكف ونحوه ، والطخيخ : الهاربون بغير انتظام •

طَنْقَرة : الطنقرة ، تكبر الضعفاء . يقولون : ناس في في طنقــرة • أي متكبرون لا يــردون على أحــد ، والطنقــرة كالطنبرة : صوت الدفوف •

طهر : الطهار : قطع غرلة الصبي أي قلفة رأس العضو ، والطُّهْر : انتهاء حيض المـرأة ، والطُّهر : ابن الحــلال ، ويقولون : فلان ولد طهر ، ومطهّر به ، والطهارة : المرحاض، والطهور : ماء الوضوء •

طَيّر : طيَّر صاحب الدكان : أفلس ، وكأنه طار رأسماله ، وطيّر الشراب : بال ، وطَيّر فلان فلاناً : يجعله يهرب من المكان ويعافه ، والطّيار : الجفال ، ناقة بها طيار ، أي بهــا جفال . والطّيار : سائق الطائرة •

طيَّس : اذا نسي القارىء القــرآن قالــوا : طَيَّس ، والتطييس : النسيان •

طِيسَة : كزيطة ، انظره •

(ظ)

ظَاهَر : ظاهر الوادي الآخر : اقتسما المــاء من مكان واحد وسارا في اتجــاهين متعاكسين ، والظاهِرة : الحــرة ، والظاهرة : ناشرة القوم أي مواشيهم •

ظهَرَة : أطفال يخربون كل شيء ، ويعيثون في الأرض فساداً ، وقــد يطلقونها على كثرة الجراد والذباب والبعوض وغيره ، والظهرة في لهجة جنوب شرقي الحجاز ــ سبيع ومن

جاورهم ــ : الأرض البــور المتصلة بالمزرعة ، فهــي من حق صاحب البلاد ٠

(ع)

عادة : العادة : الحيض لأنه يعود كل شهر ، وعاده في لهجة بني حرب : تسبق الفعل الماضي في قولهم : عــاده عملت كذا وكذا ، أي ليس بامكاني تصحيح الخطأ فقد انتهى كل شيء ، وعاده جاء ، أي كيف ترد انساناً قد حضر ، فهي زائدة ٠

عائل: العائل، كثير الخطأ، والحلال العائل: الذي ليس له حاضن ، والعَيْلة : قلة من يقوم بالعمل ٠ والعائلة : الزوجة ٠

عام الأول : العام قبل الماضي ٠

عاني : العاني : هدنة كانت تقام بين القبائل المتحاربة ، مدتها سنة وشهران ، تحدثت عن تفاصيلها في فصل القضاء ٠

عَبْدِنّه ، وعبدنّك ، وعبانّك ، وعظنّك : كلهــا بمعنى: أظن أنه ، وأظن أنك ٠

عَجَم : نوى ، في لهجة شرق الحجاز ٠

عِدّة : وثر الجمل الذي تحمل عليه الأثقال ، أكبر من المسامة ، يشمل كل ظهر البعير ، والعدة : أدوات العمل ، كعدة معلم البناء ، وأدوات السيارة وغيرها ، والعدة : عدة المطلّقة أو المتوفى زوجها ، وعِدّة : عدد من الأشياء ٠

عِذْرِب : ناقة قليلة اللبن ، وقد يطلق على كل أنثى لايكفي حليبها وليدها، وعَذْرَبَ في الشيء: عابه وانتقصه. وأكثر عذاريبه : أكثر عيوبه .

عَرْبَجِي : سائق العربة التي تنقل المتاع ، وكانت تُجر بالخيل والحمير ، و « جي » في آخر الكلمة تركية .

عزبة : وهم يسكنون الأول ويكسرون الثاني : المرأة التي سبق لها الزواج ثم ترملت بالطلاق أو الوفاة ، ولا يطلق على الفتاة البكر ، وعَزَب : الرجل غير المتزوج ، شاباً أو كهلا . والعِزْبَة : سكن العُزّاب ، والعزوبية : حالة غير المتزوج . فهو عزوبي ، والمُعزب : المضيف . وجمعهم معازيب . وقد يقال للأهل معازيب (مجاز) .

عُصْقُول : الانسان أو الحيوان ذو العصقول : قليل لحم المؤخرة ، كثيراً ما يقال في حالة النيل من امرأة تطرى .

عَصَم : بالتحريك ، حبل يحمل به الهندول والقربة ونحوهما ، كعروتي الزنبيل ، ولكنه أطول .

عِضَادَة : العضائد ــ عضادتان ــ عودان غليظان طويلان يجعلان على جنبي عدة البعيرة ليزيدا في شدها وعدم انفراطها، تتصلان من الأمام بالنظام ، وتربطان في جنبي العدة بحبلين رقيقين يسميان النتائش ، الواحدة نِتَاشة ، واذا سبوا رجلا لعدم مرونته وتفاهمه قالوا : « عضادة » .

عُضْبَان : جدائل المرأة وقرونها : قال سُلَمي :

الـَحـْلـيِلي ما يفوت الفـَلـْفـِليه°[1]

مالـَها عـُضـْبان يـَو°م الله° َقر َدها

رأسها يـُو ِمي° كما راس غـْلـشيـّه°

ما تشـــاوي كبـــده الا من بعدهـــا

عطني وعطه ، الخ : بدل من أعطني ، وأعطه ، بحذف الألف ٠

عـَطـيف : العطيف في لهجة هذيل وقريش ومن جاورهم : فأس صغيرة ذات عود لطيف حادة جداً، لايتورعون عن الاقتتال بهـــا ٠

عِـفـْش : كبير جسم قليل معرفة ، والعـِفـْش : ولد النعجة الجذع اذا كان غير سمين، ويقال له: هـِمـْر ، والعفش : المتاع والعـَفـْش : المتاع المختلط كأثاث البيت ٠

عـِقـَال : عقال البعير وعقال الرأس معروف ، والعـِقال : قرى الضيف ، ولا يعقل في عرفهم الا أن يكون فيـــه سمن أو سمين « ذبيحة » ، ومعنى العقال : يعقل الضيف فلا يضيف أحداً يومه كله ، وما يقدم قبل العقال فهو الفأل ٠

العكـّة : وعاء صغير من جلد لحفظ السمن ، فاذا كبرت فهـــي قربة ٠

---

(١) الأمة السوداء كأن شعر رأسها الفلفل ٠

عـكـّي : الابل عندهم تنقسم الى عكـّي ، وهو سائر الابل بألوانها ، وحـُرّ : الأبيض اللون ، ويسمى الذلول ، وجمعه ركاب ، وربما كان العكّي منسوباً لقبيلة « عـَكَ » ٠

علفة : خليط من ورق الشجر المخبوط الميبس والنوى ، تخلط وتعجن بالماء فتعلف البعير تلقيماً في فمه ٠

عَـلـْقـَة : ضربا مبرحا ٠ وعِـلـْهِـب: امرأة عجوز مشاكسة « شهربـّة » ٠

عِـلِـيتْ : سلمت ، لا أصابك بأس« دعدع » وكثير ما تقال من باب الشماتة ٠

عَـلَـيْكُـو : في لهجـة بعض حـرب : عليـكم وعليهـْو : عليهم ٠ وعند بعض سُلَـيم : علاهم ، بابدال اليـاء ألفاً ٠ وكذلك في لهجة شمران ٠

عليـّه : عَـلـيّ ، وهي موغلة في تأريخ اللحن ، فقد قال حمدان بن أبان بن عبد الحميد اللاحقي يهجو عبد الصمـد المعذل :

قل لعبد الصمد الأحمق   لا يغضـب عَـلَـيّـه

عِـمَـامـَة : رداء يوضع على الرأس يقيه من الحر والقر ٠

العوائد : جمع عادة ، هـي عندهم ما يستحقه الانسـان حسب الوضع القديم الموروث بالأمر الواقع ، كمسقي البلاد ، أو الطريق في الأملاك ونحوه ٠

عوباء : امرأة قليلة حياء أو مسترجلة ، وكأنه مأخوذ من العيب ٠

عَوْد : شيخ مسن ، قالت منيرة الروقيه :

العـود لا منه بلـغ سن ستين　　　يسير مخه مثل مخ الجرادة(١)

عَيْبة : وعاء واسع من الادم توضع فيه مؤنة أهل البيت من تمر وغيره .

عِيْك : رجل بطر ذو جثة ضخمة مع عدم لياقة في تصرفه .

(غ)

غَبَّب : عبب الذئب الشاة : عضها في حلقها، فهي مغببة، وغبب اللبن : خمر الحليب حتى يخثر ثم يخض فهو المخضوض أو المخيض ، وغبّ الرجل : داخل ثوبه من الجنب ، وقد يقولون : عبّه ، بالمهملة ، وغبّ الجبل : تجويف في أسفله ، والغِبّ: شرب الماشية يوماً بعد يوم، أو أي أمر يعمل كل يوم بعد يوم .

غتر: الغترة : عمامة من نوع خفيف، والغترة : القترة ، والغُتْر جمع غتراء : الابل لونها بين البياض والحمرة ، ويقال : المغاتير ، وهي المغر جمع مغراء .

غُدْفَة : لباس الفتاة على الوجه ، نوع من البراقع يكون قماشه أسود بينما براقع التهاميات يكون قماشها أحمر .

غَرْب : كلفظ الجهة : دلو كبير ذو شكل خاص تجره الدواب على السانية لسقي الزرع .

(١) يسير يصير .

غَرْبَط : انهمك في عمله محاولا الاسراع في إنجازه قبل حدوث شيء أو قبل وقت معين ·

غرضان : الغرضان : سفائف تتدلى من شداد الذلول ، تعمل من شعر ملون ، يقصد بها تزيين الذلول ·

غَرْهَد : غرد ، وغالبا يطلق على تغريد القمري ، يقول قائلهم :

لا غرهدْ القمري وعَمعم براسه

غرّز بحق العَير يا راعي الضان(1)

ذلك أن القمري لا يبدأ بالتغريد الا في أول الحميم وهو وقت تغرز فيه الضأن أي يجف حليبها ·

غُزّيَّة : ملعقة ، وكذلك خاشوقه ·

غَشِيم : جاهل بالشيء ، غير مجرب ·

غضارة : اناء للماء والحليب (طاسة أو سحلة) ·

غضُفَة : غرلة الطفل الذي لم يختن ·

غَطَّة : نومة قصيرة عميقة ·

غفطة : كالذي قبلها ·

غُلْفَة : الأغلف الذي لم يختن ، وهو أغضف ·

غَلْفَص : الغلفصة : عمل الشيء بطريقة غير فنية ، مثل : مرمس ، ومرطس ، ويقول : لغفص ·

(1) غرز : احتزم على ، حق العير : هنه ·

غِمِرْ : انسان . ومن أقوالهم :

الماء مع العافيةْ للعمرْ سلكٍ جليل ، والغمر : حـزمة قليلة من الحشيش والمرعى ونحوه ، فاذا كثرت الغمور صارت حزمة .

غـمـَق : بسر دخله التخمر حتى صار كالرطب ، ولونه أسود ، وهو لم يزه بعد ، يأكله الأطفال في المجاعات ، طعمه ماتك .

غـَنـْدف : انهمك في الشيء مغتنماً الوقت مسروراً بما وجد ، وغندفت الغنـم : هبطت روضاً معشبا وهـي جياع ، وانهمكت في الرعي خوفاً من اخراجها منه ، وغندف الأولاد : استغلوا غياب من يمنعهم عن أكل شيء معين فانهمكوا معاجلين في الاغتنام .

غنوج : امرأة غنوج : متدللة ، وشاة غنوج : أليفـة ، ورأيت من كتبها بالفصحى بالعين المهملة ، تصحيف .

غـَو َج : الغوج : التدلل والدلع غير المستحب، والغـَوْج ، بسكون الواو : قليل الفهم كثير التمكر والتهكم بالناس .

(ف)

فاج : فاح ، فاجت الرائحة : فاحت ، والفوج : تشكيل عسكري مكون من خمس سرايا ، والسرية : مكونة من خمسة فصائل ، والفصيل : خمس حظائر ، والحظيرة : تسعة جنود .

فاح : فاح القدر ، غلى وفار ، وفاح جهنم : فوحها ، يقولون اذا اشتدت السموم : « أعوذ بالله من فاح جهنم » ٠

فاروع : نوع من الفؤوس تعزق به الأرض ، يستعمله الفلاح وعمال الطرق ، وفرع : أعلى الأرض من حيث يأتي السيل ، والفُرَعَة : وهدة وسق الجبل مستقرة كالروضة ، كذلك الفارع ، وجمعها فُرَّع ، والفرّاع أو الفارع : الذي يحجز بين المتضاربين ٠

فاعوس : خاطر الانسان ومعنويته ، يقولون : منكسر فاعوسه لعدم حصوله على كذا ، والطفل انكسر فاعوسه من كثرة النهر والخصام ٠

فال : الفأل الحسن معروف ، والفال عندهم : طعام يقدم للضيف قبيل القرى ، ويقولون له : مرحبا بك على الفال وطريقه العقال ، وفال الثرى : فات وقت الزراعة فيه ، وفَوَّل فلان فلاناً : لم يوافق على قوله أو عمله ٠

فبريكة : مصنع ٠

فَتّوت : بسر دخله التخمر حتى صار ليناً يتفتت وهو بعد لم يزه ، يؤكل في المجاعات ٠

فَخَم : الفخم ، تضييع النعمة ، أو الاستهانة بها كالدوس على الطعام أو رمي الفاكهة أو الطعام تبذيراً واسرافاً ٠

فَخّ : فخ فلان فلاناً أو الحيوان نظيره : أذله بعد عراك أو منازعة ، فجعله لا يفكر في مثل ذلك مَرَّة ثانية ، والفَخ : مصيدة للسباع والفئران ونحو ذلك ٠

فَرَح : حفل زواج أو ختان ، والفَرَيْحة : داء يصيب العريس ليلة الزواج فلا ينتصب قضيبه ، يا فَرْحِيَّك : يا سعدك وفرحتك بي ٠

فَرْخ : الفرخ : الطير الصغير غير قادر على الطيران ، والفرخ : ولد العبد ، والفرخ : ولد الذلول من العكّي أو عكسه ، والفرخ : لوح من ورق الكتابة ، وأفرخ بكذا : أهمله بعد أن استعد بحفظه ، وفَرَّخ في ذهنه: فجعه فجعة لاينساها ، وفرخت الدجاجة : أخرجت الفراخ من البيض ، ومن أمثالهم « لا تفرّخ للعبد فيفرخ لك » أي يقول لك كما تقول له ٠

فِرْفَيْرة : شيء من الورق على شكل مروحة صغيرة ، يلعب بها الأطفال ٠

فَريق : مجموعة من بيوت الشعر أو مجموعة من الناس يلعبون ، وكل جماعة هدفهم واحد ٠

فَشْوَل : الفَشْوَلة : جعل الشيء المعبأ فيه فراغات داخلية ، وضده الرص ، وهو احكام التعبئة ٠ ومن أمثالهم : « الكذب المرصوص خير من الصحيح المفشول » ٠

فَطَس : مات ، والفطيسة : الميّتة بلا ذكاة ، والفطيسة: الضعيف تظلمه فلا يستطيع أن ينتصر ، وكأنه فاطس ، والأفطس : المنفرش الأنف ٠

فَطَّه : الفط ، الخصام مع الاذلال ، وفطه : خاصمه محذراً اياه بعدم عمل شيء معين حتى يذل المفطوط فيذعن ، وتدل اللفظة على مقدرة الفاط على السيطر ٠

فَقْص : تقال للطفل في حالة سبه وعدم الرضا عنه ، والفقْوص : الحبحب الذي لم يستو بعد ، وفَقّص : لغتهم في فقس ٠

فَلاّل سَيّئة : الفلال ، الذي يحجز بين المتضاربين فيفرقهم ، وكذلك الفرّاع ٠

وفَلْفَل الشيء : نقضه وبعثره ، وولد الفلّة : سبة للشخص بأنه غير حاذق ٠

فلان أو فلانة : كناية لمن لم ترد تسميته ٠

فَلّح : كعرّد ، ولّى مسرعاً ، أطلق رجليه للريح ٠

فَلْقح : فلقح الرجل ، انسدح على ظهره ورفع رجليه الى أعلى مع انفراج ، وكذلك تفلقح وافلنقح ، وفلقحت المرأة وتفلقحت : انفرشت للرجل ٠

فلكة : آلة مكونة من عود وحبل تربط بها رجلي الصبي الدارس فيضرب على قدميه ، ولنا معها ذكريات بغيضة ، لا زالت مستعملة في المدارس ، وفي الجيش نجعلها من البندقية والحمالة ! والفلكة : وهم يضمون اللام ، عود محزوم الوسط يوضع في المغزل ٠

فنجال : فنجان ٠

فُنْكَة : الفنك ،محاولة الصغير أو الضعيف الحيلة القيام بعمل فوق طاقته ، ثم يصر على ذلك رغم الفشل المتكرر أو العجز الظاهر ، كما ترى الصبيان يتجمعون على شيء ضخم محاولين ازاحته عن مكانه ٠

فُوْطَة : ازار مفتوح الطرفين ، دخل الى الحجاز عن طريق الحضارمة واليمنيين ، والفوطة : المنشفة ، وتفوّط : لبس الفوطة ، وأهل البادية يستعيبونها ·

فَيْن : أين ولعل أصلها في أين بمعنى في أي مكان ·

(ق)

قائش : حزام عسكري عريض من الكتانأو الجلد ·

قارش : القارش : الحمار في لهجة حرب ، وأنثاه قارشة ، والجمع قوارش ·

قازخانة : محطة لبيع الوقود ، وخانة بالتركية تلحق اسم المكان مثل : كتبخانة ، وشفخانة ، للمكتبة والمستشفى ·

قائمة : احدى أربع البهيمة ·

قُبْقَاب : حذاء من خشب لها عصم من جلد يمسكها بالقدم ، وكان وقفاً على النساء بمدن الحجاز ، فاذا سرن على البلاط سمعت له قعقعة وجلبة ، وقد استبدلنه اليوم بالشباشب الربل اللينة ، غير أن بعض العجائز لا زلن يتمسكن به ·

قَحِيطَة : عجينة حضّر حبها وطحن على عجل ، أي قحط قحطاً ، وعادتهم تخمير العجين بعد طحنه ليصلح للخبز ويلذ طعمه ·

قِذِع : خذف بحجر ونحوه ·

قَنْدَّة : دعوة ، يقولون لمن يستعطي : الله يعطيه قدة ، وخاصة الأطفال ، والقَنْدَّة : سيور مقددة يضعها الفقراء على عورة الطفلة العريانة لعدم القدرة على كسوتها ، وقذذ الرأس والفراسن: شواها في النار وحك عنها شعرها، وكذلك قذقذ .

قَرّ : شق الشيء شقاً بالغا ، انقر الثوب : انشق ، وقرت الغنم البيت : شقته .

قَرَاع : يدخل بين المتحاربين فيقول : مقروعين بوجهي أو بوجه فلان ، فيقفون عن القتال أو يظلون يضربونه حتى يلغي قرعته ! وفي عرفهم ليس في ذلك ضير .

قُرَاعَة: بقايا الطحين في الثفال وماسقط تحت المطحنة، يجمع مرة ثانية وغالباً ما يعطى الصبي المدلل فيختبره .

قَرْبَط : أمسك بالشيء وتشبث به في اصرار ، فهو مقربط فيه .

قَرَد : المقرود ، المكشوح ، قليل الحظ ، والقَرَادة : سوء الحظ والطالع .

قَرْدَن: قردن فلان فلاناً: خادعه وحسن له بعض الطرق حتى استماله ، ماخوذة من قردنة الابل وهو اخراج القُرد من مغابيها ، فتستلذ لذلك فتمتنع عن أية حركة ، القردنة : الملاطفة والمخادعة .

قَرَش : القَرْشَة ، جمع الحطب والفحم وبيعهما ، والقَرَّاش : فاعل ذلك ، ومن امثالهم : « لا تفنى الهيشة ولا يغتني قرّش » .

قَرَطَ : حذف ، ومن توصيفاتهم : قرطة عصا ، دلالة على القريب ·

قَرْطَع : قرطع يقرطع : اذا شرب السائل دفعة واحدة، وما بين الشرب والتنفس قرطوع ·

قَزّ : قز الدابة أو الولد : جاء به يسوقه في حثث ·

قَصّ : قص الأثر : تقفاه ، والقصاص : خبير الأثر ومتقفيه ·

قَصِير : بلفظ ضد الطويل : جار ، وقاصر فلان فلاناً : جاوره · والقاصر : ضد الراشد ، الطفل الذي لم يبلغ رشده، أو الضعيف ونحوه ، وهو لا يجوز الاتفاق معه ولا البيع أو الشراء في الامور العظام ·

قَطّ : قط الثوب يقطه: شقه، وقطقطت الأعواد : حكت بعضها بعضاً فأحدث صوتا يسمى القطقطة ·

قطْلَة : عصا غليظة قصيرة ·

قطماء : المرأة القطماء والرجل الأقطم : من أنفه قصير، وكأنه مقطوم ·

قُعْرة : قعرة الشيء : قاعته وجذره ·

قَنْفَة : وعاء من سعف النخل يشبه الجونة ، يجعل للصبيان وقت رطب النخل يجمعونه فيه ·

قَلْبِيه : في لهجة بني عطيه (قلبي) يقولون : عينيه وسيدِيه وراسِيه · في عيني وسيدي ورأسي ·

قلط : مرق ودخل المحل ·

قمـد : القمد ، شدة شهوة الشيء ، كالقـرَم للحم ·

قملح ، يقملح قملحة : يتملّق تملقاً ·

قُنْشوط : قطيع صغير من الماشية ·

قَنْفَش : الأثاث والبضاعة ونحوها ، جعلها مقنفشة غير مرصوصة رصاً محكمة ، فهو كالفشولة ·

قَوْطَر : في لهجة بني عطية وعرب الشمال : ذهب

قَيْروانة : قصعة لطعام الجنود الجماعي «صحن» قصعة·

(ك)

كائن : وقعة بين قوم بالبنادق ، واذا سمعوا كثرة الرمي قالوا : كائن ، مشتقة مما كان فهو كائن ·

كـار : أهل الكار : العارفون بقوانين المدر ، والكار : احترام الشيء ، والمحافظة عليه ، يقولون : « لا يعرف لكذا كار » · والكار « الكور » العبد ، نسبة الى قلة فهمه بزعمهم ، والكار أو الكَرَ : عربة لنقل الأمتعة ، انجليزية الأصل تستعملها الحاضرة تمييزاً عن السيارة ·

كَبْشَة : مغرفة ذات يد لغرف الطعام ، وغالباً تكون ذات ثقوب لتفريغ الماء عن الطعام ·

وكَبَشَهُ أو كَفَشَهُ : فاجأه فأمسكه بعمله ، أو كمن له فألقى القبض عليه ، وكبشة من شيء : ملء اليد أو اليدين، وكَبَعه : صده عن طلبه فرده خائباً ٠

وكبسة ، ومحلها قبل هذا : طبخة الرز واللحم مخلوطاً ، وهي أكلة شعبية معروفة ، وكَبْسَة : هجوم قوات الأمن على منزل أو مخبأ والقاء القبض على من فيه ٠

كَبُوس : ذرور يذر في عين الأرمد ، والكبوس في المدن : تهميز الشخص حتى ينام ٠

كُتْني ، أو كدني : حمار أسمر قصير ، وهو خلاف الشهري والعجمي والمصبحي ، والأنواع الأخيرة للركوب كالذلائل في الابل ، أما الكتني فلا يصلح الا لحمل الرية ونحو ذلك ، وهو غالب حمير أهل الحجاز ٠

كَتَّه : أفرغه ، وكتة واحدة : دفعة واحدة ، والمكتة : مرمدة السجائر ، والكتكوت : فرخ الدجاجة ، وكت الوعاء ما فيه : أفرغه من ثقب ونحوه ٠

كَجَّم : جلس الشخص أو القوم سكوتاً بلا أكل ولا شرب ، فهم مكجمون كالحزانى ٠

كَدّ : الكد : تمشيط شعر الرأس وتسريحه ، والكد : كراء السيارة ونحوها ، وكد الرجل على عياله : اجتهد في جلب النفقة لهم ، وكد القدر وكره : أخرج ما لصق بقاعته من كرارة ٠

الكِرَارة : ما لصق بقاعة القدر من طعام ٠

كرتون : صندوق من الورق المقوى تعبأ فيه البضائع ، فهي مكرتنة ، وكرتن الناس : حبسهم عن أشغالهم •

كَرَجَ : كرج الماء أو اللبن : شرب فوق اللازم ، كرج من القهوة حتى امتلأ بطنه : أكثر منها •

كَرْفَس : كرفس الرجل الآخر : طرحه أرضاً ، وغلبه، والمتكرفس : النائم ضاما يديه ورجليه ، وكرفس الخيال : ربط يديه ورجليه •

كَرْكَر : الكركرة : الضحك المسموع أقل من القهقهة ، وغالباً ضحك الاوانس والصبيان •

كَرَنتينَة : محجر صحي : وهي مأخوذة من «كاراتينا» ومعناها أربعون يوماً ، حيث كان الحجر الصحي على المرضى •

كُرَيك : آلة لجرف الأرض باليد يستعمل لنزف التربة•

كسَاب : الناقة تلقح في سنة ولادتها ، والعادة أن تلقح على الحول ، وفي معلقة زهير : كشاف ، ولعلهما مترادفتان ، لأن مثل هذه الكلمة في لهجة باديتنا ثابت أصلها ، أو أخذوها من الكسب ، أي أن لقاحها هذا غير العادي يعد كسباً لأهلها •

كَعْب : اسم نوع من الأحذية النسائية ذي مؤخرة مرتفعة على شكل دعامة ترفع الحذاء والقدم عن الارض ، فاذا كان دقيقاً سمي كعب الغزال !

كُعْدَة : مجمع الزبدة في لهجة سُبَيْع وشرق الحجاز •

كَلا : لهجة سُبَيْع في أكل •

كل أبوه : كله • قال شاعرهم :

واسيدِي اللي بين منصحْ وعِمليطْ

والنَّوْبَهْ اللي فوقها كل أبوها[1]

كَلْبَه : كمّاشة لنزع الضروس ٠

كلجة : أعجمي لا يفصح ، وفي مثل أعجمي وأعور وأحمر ، يحذفون الالف ٠

كلسون : تبان ، وهو سروال قصير لا يصل الى الركبة ، وكانت العرب تنتقد من يلبسه ٠

كُلَّش : كلّه ، أي كل شيء ٠

كَمَر : حزام من جلد له جيوب توضع فيها النقود ونحوها ، ومتكامِر كَمْران : خجل مع احترام ٠

كمع : تَكَمَّع الشهر أو البرْد أو الدخان : أخذه من أوله ٠

كُنْدَرَة : حذاء جلد تدخل فيه الرجل فيربط برباط ٠

كَوْر : عبد رقيق ٠

كَهْكه : قهقه ٠

كُوفِيَّة : طاقية ، ولعل أصلها منسوب الى الكوفة أو الى التكويف فوق الرأس، وكاف الشيء كالحبل والخيط ونحوهما: لفه حول بعضه فهو مكوف ، والكُوفَة : واحدة من المكوف ، ومن حجاياهم : « كوفهْ فَوقْ كوفهْ واللي ما يحجاها لحية أبوه منتوفهْ ! »

---

(1) منصح وعمليط والنوبة : جبال كلها من الفرع ؛ وعن جميع الأماكن في هذا الكتاب انظر « معجم معالم الحجاز » ٠

(ل)

لا : اذا ، بالاضافة الى جميع اللاءات المعروفة في اللغة ، يقولون : « لاخَتْ من قــوم تحلى وجيههــا » أي اذا أخــذت ــ تزوجت ــ من قوم تتحلى وجوههم في أبنائك

لاش : لا خير فيه ، وكأنه لا شيء ، وهجت احداهن زوجها قائلة :

أنا جعوب أكبّـر القرصْ بالحيلْ

واختلْ عوُد اللاشْ يوم انتظر فيهْ

لباء : اللباء ، أول حليب الوالد من الحيوان يغلى فيصير عصيدة تسمى لباء ·

لِبْد : وثر الثور تحت السبط وغيره ·

لَبّة : لوح من فضة ، تقدم في ختمة ·

لَسْك : َتلَسَّك يتلسّك : أكل الشيء فصار يتلمض لطلب المزيد · وما يلسّه : لا يحصل عليه ·

لطافة : ما يؤكــل من طعام خفيف بين فترتي الغــداء والعشاء ، وهو لطوف ، وتلطف الرجل : أكل اللطافة ·

لطلط : اللطلطة : خصــام الضعيف ، أو نبــاح الكلب الضعيف أيضاً ·

لفوة : الذهاب الى شخص لترضيه بشأن خصام مع آخر ، واللفوية : أناس من علية القوم يذهبون جاهة لحل نزاع بين طرفين ، واحدهم لفوي أو وجهي ·

لَوْذَة : مكان يتخذه بعضهم في مؤخرة الدكـان دونـه قاطع ، يجعله لما يخفي من شئونه وحاجاته •

لهدة : ضربه ضربة لاهدة أي واثية ، ولَهَد البطن : أكل طعاماً غير مفيد ولكنه مسكن للجوع ، واللهيـد : قليل الطاعة اللكيع •

لهزة : لكزه بشيء أوجعه •

لَهْمَد : اللهمدة : الأشياء بعضها فوق بعض دون نظام، والانسان لبس ملابس كثيرة خوف البرد •

لِهْوَة : ما يوضع باليد في المطحنة أو الرحا ، واللهوة : ما يلهي من لعبة ونحوها ، والتّلْهُوَّة : الطفل ترزق به المرأة البكر تتلهى به وتستأنس ، خاصة اذا فارقت أهلها •

اللّوْيحَسة : لم يخرج الا باللويحسة ، لم يكد يخرج من ذلك المأزق ، وحصلت عليه باللويحسة : لم أكد أحصل عليه

لِيَا : اذا، ليت : الأول : الليلة قبل البارحة ، ويقولون: ليلة الاول ، والليلة الأولى ، وليت ألالا : قبل الليلة الأولى

(م)

ماذق : كثير الضحك والطنز ، قلة الأدب مع الغـوج والتميّع •

ماقف : موقف ، وماقط : مكان الاقط ، وهـو المضير •

مانِ : ماء ، في لهجة شمال الحجاز : « وردت لي مان يسمى النقيعة » شاهد تقدم .

مانع الصلاة : الحيض .

مَبْنَى : حصل على مبنى : تزوج ، والمبتني ، المتزوج ، من بنى بها يبني .

مبسط : مكان يتخذ لبيع البضاعة على الشارع .

متْلِي : الناقة المتلي : التي تلد في آخر الربيع أي تاليه ، يضرب المثل بحلا حليبها ، « كما در الخواوير المتالي » شاهد .

مجاهيم : ابل سمر ، من الجهمة ، آخر الليل . وجهم عليه : ادعى ظلماً مع الاصرار والاندفاع .

مَجْغ : تمجّغ يتمجّغ : اذا أكثر المزح الثقيل غير المرغوب فيه ، فيقال له : « بلا مجاغة » . المجاغة : كثرة المزاح السامج .

مَجّل أو محماس : اناء معدني تحمص فيه القهوة .

مِجْمَع : اناء صغير تجمع فيه الزبدة ، فهو الكعدة .

مَحَش : المِحَش ، حديدة خاصة كالمنشار معقوفة الرأس يحش بها الضَّرَم والبرسيم(١) .

مِحْمَلَة : هندول من ادم له عصم تتعلقه المرأة في جنبها وتحمل فيه الطفل حيث سارت .

مَخَدّة : وسادة ، من الخد .

---

(١) الضرم : شجر الشملم .

مُخَنْطُمَة : نوع من خطم المطايا ليس فيه رسن .

مُخَلْوان : مكان للاختلاء بالنفس أو الجليس السرير ونحوه .

مُدْرَيْهة : مع امالة الياء : أرجوحة الصبيان

مِدَقّ : حجر يدق به المنساب ونحوه .

مِذْنَابَة : اذا سرى الترطيب في رؤوس البلح سمي مذانيب ، الواحدة مذنابة .

مَرْزُوز : بيت ينصب ليلة العرس ينصاه الضيوف ، معلم عن بقية البيوت بأنه مجرد من أي أثاث يدل على أنه مسكون ما عدا فراشه ، وفي تهامة يضعون فوقه راية حمراء .

مرطس : المرطسة كالغلفصة ، عمل الشيء بلا احسان .

مرغل : في لهجة هذيل وجنوبهم ، من لم يختتن ، وكانوا لا يختتنون الشاب حتى يبلغ ، وختانهم أن يسلخوا كل جلد العانة من تحت الحزام الى رأس العضو ، انظر قصة طريفة في العادات على ذلك .

مَرَق : مر مسرعاً ودخل البيت ضيفا واذا زهم الضيف حول البيوت قالوا : أمرق أو مَرق ، أي تفضل ، ويقولون : أقلط .

مَرمَص : مرمص الشيء عمله عملا غير متقن والمرموص : من به خفاف وشعاف .

مرة : امرأة .

مَر يرة : حبل من الشعر يعمل طنباً للخيمة أو بيت الشعر .

مَزْمَز : المزمزة : صوت يخرج من بين الشفتين يقوله حلاّب الابل بقصد استدرار الناقة ، فاذا سمعته فسحت رجليها ودرت .

مُزنَّد : ثوب كمه ضيق مدور حول اليد ، وخلافه المرودن : ذو كم واسع ينتهي بمثلث طويل يصل الركبة .

مِزْوَد : ما يوضع فيه زاد المسافر ، والمُزَيْوِدة : البنكرياس .

مِزْهَب : عود قفلة منحوت يجعل وعاء للبارود والرصاص ابان استعمال بنادق المقمع ، والقفل ، بالتحريك : عود البشام اليابس . والمزهب : المزود .

مساعفة : مساعدة .

مِسْحَاة : حديدة على شكل مستطيل أو مخروطي ، يوضع في مؤخرتها عود قدر متر ، يستعملها الفلاح لسقي الزرع وقلع النباتات .

مِسْطَح : نوع من البسط كان يتخذ من الخصف .

مسع : المسع: قليل الحياء يتطفل في أو يظهر عنه ما يخجل فلا يستحي من ذلك .

مَسْكب : المكان الذي تصب فيه الغروب من البئر .

مَسْكَة : مصوغ من الفضة يشبه البنجرة تضعه البنات في معاصمهنّ .

مسلتة : نفس المطحنة ، انظرها ٠

مِسْوَاط : عود خاص تحرك به العصيدة وغيرها من الطعام ، وساط العيش يسوطه : حركه بالمسواط ، ومن امثامهم « ساطهم بذنب كلب » اذا شتتهم ٠

مِسِيد : لهجتهم في مسجد ٠

مشاط : ذرور ذو رائحة طيبة تضمه النساء على الرأس بعد عجنه ، ومشاط الرأس : الشعر الذي يبقى في المشط بعد مشط الرأس ٠

مَشحا : ديرة الانسان ومرباه ، قال شاعر بلادي :
« يا لائمي كل مولّعْ بمشحاه » ٠

مَشْرب : المجرى الذي يسقي البلاد من السيل ، ومِشْرب : اناء يشرب فيه ٠

مِشْعاب : محجان قصير غليظ ٠ ومن أقوالهم: « بالمشعاب» أي بالقوة والقسر ٠

مِشْلح : عباءة للرجال ذات الوان عديدة ، غالباً ما تلبس للتزين ٠

مصباح : سقيفة مفتوح لها ضلع من المربع ، وهي لهجة جنوب شرقي الحجاز و نجد،وعامة أهل الحجاز يسمونها سقيفة ٠

مُصبّحي : حمار أبيض طويل ، ويقال له « عجمي » نسبة الى العجم ، والعجمي خاصة : ما كان فمه أدغم ، وكذلك الشهري ٠

مُصَدَّع : عمامة كبيرة عند هزيل ومن جاورهم ، تستعمل لحافاً ومعلفاً ٠

مصرّ : المصر : نوع من لباس نساء حرب ، يكون فوق الرأس وينزل الى القدمين ، وفوقه القناع ، والمصر لا بد عنه يبدو للغريب ، وكأنه من الملابس الداخلية ٠

مصفاة : كل شيء يصفى به شيء آخر ، والمصفاة : الدلة التي تصفى فيها القهوة بعد غليها ثم تصب منها ، وغيرها الخمرة ، ذكرت ٠

مُضَرَّب : جودري ٠ وهو لحاف قطني معروف ٠

مِضْرَنْطِي : كلمة سخرية للمتين البدين ٠

مِضْني : من الضنى ، نفساء ٠

مِطْحَنَة : حجران أحدهما يدهك به الحب فوق الآخر بطريقة مد وجزر متكرر بسرعة باليد ، وطحنها يزلق بالماء ، وخاصة الذُرَة والدخن ، وهي من أواني تهامة ٠

مِطْرق : عصا رفيعة من خيزران وغيره ٠

والمطرقة : حديدة تدق بها المسامير ونحوها ٠

مَظْهُور : الجمال تحمل حلل القوم ونساءهم ، ولا يقال للتي تحمل الزاد والحطب وغيره : مظهور ، وقد يقال للمظهور: ظعينة وأظعان ٠

معاه : معه ٠

مَعَج : معجت الرياح الأرض : كشطت طبقتها العليا ، ومعجت الأنعام المزارع : دهكتها وفرستها، والأرض ممعوجة: اذا أكل مرعاها حتى درست معالمه •

معضَد : سوار من فضه أو غير ذلك تلبسه المرأة في عضدها ، شائع بين الموالي •

مَعَط : نهب • المعائط : النهائب •

مغاتير : ابل عفر مفر •

مِغْراب : آلة حديدية صغيرة في مؤخرتها عود قصير جداً يعمل باليد لمن يُغَرّب جالساً،ويسمى القعّادي، وطويل يستعمله من يعمل قائماً يسمى وقافي ، وهي آلة لجز الحشيش والمرعى •

مغْزَل : عود في رأسه فلكة تغزل به البدوية غزل الشمال والبيوت من الشعر والوبر والقطن ونحوها، ثم أدخل اسمه في مصانع النسيج فأطلق على آلة الغزل في المصنع ، والغزل : المغزول بالمغزل من المنسوجات ، والمغزول في لهجة زهران : به مَس •

مقام : حفل زواج ، والمقام : قدر الانسان ومكانته ، ويقال لمن أتى أمراً غير مستحب : ما هذا مقامك ، أو مقامه ، أي ليس من اللائق به وبقدر •

مِقَشَّة : مكنسة •

مقصب : المقصب : عقال ملفوف عليه قصب أو معدن أبيض ، كان شائعاً في الحجاز ، لا زال يلبسه كبار السن من

الأشراف ، كان عقال الملك عبد الله بن الحسين وفيصل ابن عبد العزيز ـ رحمهما الله ـ من هذا النوع ٠

مَقْصُور : وثر الذلول دون الشداد ، يوضع للركوب ، وخاصة على العسيف من الهجن ٠

مِقْطَرِير : قطار طويل من الخدور أو الجمال أو الناس ، للمبالغة في كثرتهم ٠

مقَمَّع : نوع من البنادق يوضع فيه البارود من الفوهة له رصاص على شكل كرات صغيرة يسمى الدرْج ، يصببه البوادي بأنفسهم في قالب خاص ، لا زال معروفاً ٠

مِقْوَد : يتكون خطام الجمل من : رسن ، وهو الجزء الحديدي الذي يتصل بالرأس ، ومقود ، وهو حبل يوصل في الرسن ثم يمد ليقاد به البعير أو يقطر به في غيره ٠

مِكَشّة : كتلة من أدم يضعها أهل جنوب مكة في مقدمة الحذاء ويسمونها المنشة أيضاً ، يقولون : انها تنش الهوام أمام القدم !

منجوبة : مطية يرسل عليها نجاب ، وهو رسول لابلاغ الأوامر ونقل الرسائل ، وقولهم : « البنت منجوبة من حجر عمتها » أي تلحقها بالعرق فتأتي مثلها ٠

منساب : وتد البيت ٠

منْلاَ : يا له ! يقولون : منلاّ رجّال ، أي يا له من رجل، في حالة المدح ٠

مَوْيَة : ماء ، في لهجة حاضرة الحجاز ٠

مِهَنْدِبَاني : مستعد للسير مع أي كان ٠

مِهْرَاس : اناء مجوف الداخل من حجر أو خشب ، وقد يصنع من مزيج من الصفر والرمل ، الأول يستعمل لرضخ النوى وقرف السلم ونحوه ، والأخيران يدق فيهما البن والبهارات ، وهو الهوند والهاون ٠

مِهْرَجاني : محب للمجالس والهرج ٠

مَهَفّة : مروحة تعمل من سعف النخل على أشكال ، منها الدائري والمربع ، ويزركشونها بألوان يصبغون بعض السعف فيدخلونه في صناعتها ٠

مَير : بامالة الياء ، تعني لكن ، يقول : كنت أريد كذا وكذا مير هونت ، أي عدلت ٠

ميزب : هندول من أدم تحمل فيه المرأة طفلها ، تعلقه بعصم في كتفها ، وهي لهجة شرق الحجاز ونجد ٠

مِيسَم : حديدة يكوى بها ، والأصل ما توسم به الابل ٠

مِينْ : لهجة الحاضرة في مَنْ الاستفهامية ٠

مَيْ : ماء في لهجة شمال الحجاز والأردن ٠

مِيْهْ : ماء ، في لهجة بني عطية والحويطات ٠

(ن)

ناب : الجمل أو الناقة برزت أنيابها ، ويقولون : شق نابه ، وهو البازل في الفصحى ٠

نادرة : الأرض الموات أمام البلاد ، ويعتبرون صاحب البلاد أحق بها أو هي ملك له بالوضع .

ناقل : امرأة حامل ٠

ناموس : عز وشهامة، وناموس عند الحاضرة: البعوض٠

نَبّ : نب عليه: نده عليه وأخبره أو دعاه ، ونب التيس ونبنب على العنز : استباء عليها ، النبنبة : صوت التيس عند الانتشار كهدير الجمل عند الهياج ٠

نَبَز : نبز الشيء : حمله بسرعة ، ونبز فلان فلاناً : عيره بنبزة له ، النبزة : العيرة ، المنابزة : المعايرة ٠

نَتَش : النتش : أخذ الشيء بسرعة كالخطف ، ونتش كذا من كذا : أخذ قليل من كثير ، كنتش اللحم بالأسنان ، ونتش المسمار الثوب : أحدث فيه ثقباً صغيراً بانقطاع سلك أو أكثر ٠

نِجْر : خاص بدق البن للقهوة ، والبهارات ٠

نَزْلة حيّ حلول في مكان واحد ، ونَزْلة : طريق في انحدار : ونِزْلَة ، بكسر أوله : قرية صغيرة ٠

نزوح : المرأة التي لا تألف الفراش ، والناقة أو الشاة التي تبتعد عن اخواتها في المراح ٠

نِسْعة : حزام للرجل من سيور دقيقة تنسع نسعاً فيربط بها وسطه فوق الثوب ، والنسع : دمج عدة سيور بطريقة التداخل لا الفتل ٠

نِسيّة : لبن مخلوط بالماء يشربه الصائم ٠

نَصْتَص : النصنصة : نداء الكلب من قريب كأن يريد لزمه أو استمشاءه ، وهو صوت يخرج من وضع رأس اللسان على الثنايا الأمامية ٠

نضد: النضد: بناء من الخشب أو أغصان الأشجار يوضع عليه ما يراد رفعه عن الأرض ، وهو الوهد أيضاً ٠

نطح : نصا ، وقابل ٠

نطش : النطاش والناطش : الرائد الذي يذهب يرود المراعي ، ويقال له أيضاً : عاس وعساس ، وجمعه عسوس ٠

نَص : النصة : تشريع الفتاة ليلة عرسها ، حيث تلبس أحسن ما أوتي به لها ثم تجلس ينظر اليها الأقارب والعريس والمدعوات ٠

نعمة : كثير ٠ قالت شاعرة :

تليمت نعمــة عوادينْ عرجــانْ

وتخالفتْ ما بينهــنْ عرجهــنّ

نَفَر : شخص ، وجمعه أنفار ، ونفر جلده حباً : خرجت في الجلد حبوبا كالجرب والحساسية وغيرها ، ونفرت الابل أو الغنم : جفلت ، والنفرة : الانفضاض يوم عرفة ٠

نقرض : النقرضة : صوت يخرج من إلصاق اللسان على أحد طرفي الفلك العلوي من الفم ، فيخرج صوت كالمطمطة أو التربسة يسمع ولا يكتب ، وهو نداء المعز أو السخال من قريب ، وقد يقال : نَقَّضة ٠

نـِقـْس : قطعة من ملح أو سكر ، ومن أمثالهم في المبايعة « نقس في ماء » أي لا يرد البيع كما لا يعود الملح أو السكر اذا وضع في الماء • واذا اختفى عنك شخص بسرعة قالوا : فص ملح وذاب •

نقوط : مايعطى للنفساء من نقود أثر النفاس، وهي عادة عندهم تتجمع النساء عند النفاس يرفدنها ، والنقوط أيضاً : ما يعطى لأم العروس ليلة الزفاف من المدعوات ، يمثلون بذلك النقط من الشيء •

نُكْتة : طرفة مضحكة ، ونكت فلان فلانا : عمل بـه مقلباً ، ونكت الشيء : قلبه دفعة واحدة ، النكوت والمنكت : صاحب الطرف المضحكة •

نـِمْس : نوع من الحبحب مستطيل ، تزيد حلاوته على غيره ، ومن امثالهم : « الشحم في الروس ،والحلا في النموس »، والنمس: الانسان الخبيث صاحب الحيل الشيطانية، والنامس: حشرة كالبرغوث تدب على الأرض فتقرص من ينام عليها ، والحاضرة يقولون للبعوض نامس ، وهو خطأ •

نَوْب : حين ، ونوب ونوب : حيناً كذا وحينا كذا •

نوبتشي : خفير ، حارس، وهي كلمة ممزوجة من العربية أي صاحب نوبة « خفـارة » وألحقت بهـا النسبة التركية « جي » ثم حرفت الى شي ، من أمثالها : عربجي ، وقهوجي ، وسكرجي •

نوبة : مرة واحدة،والنوبة في الجيش: الحراسة،والمناوبة: تبادل الحراسة •

نـُو ْح : دعاء للتخلص من محتقر ابتلاك فظهر لك أنه أقوى مما كنت تتوقع ٠

نـَهـَج : مشى ، وأنهج : عجّل ، ونهـّجنا : أنه ِ أمورنا لنسير ٠

(و)

واحـَيـّاه : تعجب تدل على أن شيئا مضى من زمن أو آن مكاناً بعيداً ٠

وَازَق : الموازقة : الاحـراج وعـدم إتاحـة الفرصة للخلاص من الموازق !

وَبـّر : لهجتهم في أبـّر النخل ، من التأبير ٠

وَبـّز : جلس جلسة غير مستقرة أو جلس على شيء مرتفع كالحجر ونحوه ٠

وِ ثـْر : الوثر : ما يوضع على الجمـل تحت الحمـل ، كالوقاية ، ومن أنواعـه : العدة ، والشداد ، والمقصور ، ووثر الحمـار : الحلس ، ووثر الثـور : اللبـد ، كالسرج للحصان ٠

وِ شْ لـَو ْن : كيف ، وش لونك : كيف حالك ٠

وجِـهِـي : تقدم في لفوة ٠

وخـّر : لهجتهم في أخـّر ٠

وذن : لهجتهم في أذّن ٠ وكذلك معظم الافعال من هذا النوع تبدل ألفها واواً ٠

وَرْس : مسحوق طيب الرائحة أصفر تصبغ بـه نساء البادية ثوب النـوم ، والمورّس : الثوب المصبوغ بالورس ، مخصوص لفراش العروسين أو الزوجين ٠

وَرْش : ورق الشجر كالسمر والسلم وغيره ، والوَرشة : محل الاصلاح ، للسيارات والأواني ، وتورش : تلمض ، والسكين حسن حدها فهي تتورش ٠

وِرْع : صبي ، لعلها مأخوذة من الورع ٠

وِسَل : ذو رحم ، وجمعه أوسال ٠

وطّر : قسر وأرغم ٠

وطوط: الوطوطة: صوت الطيور، والضعيف من الناس٠

وَقْم : مقدار من شيء ، وقم الكيلة : مقـدار يساوي كيلة من غير أن يكال ٠

وكيد : أكيد ، وقد تقدمت الاشارة الى امثالها في وذّن ٠

ولد : في حالة النداء يقولون لكل رجل : يا ولد ، وقحطان وجيرانهم يقولون : يا صبي ٠

وليف : أليف ، وانظر الابدال آخر هذا الفصل ٠

وَنّ : أنّ ، من الأنين ٠ قال الهذلي :

ونّيت ونّه° وانا معطي كرا وارتجْ نعمان

وارتجْ من ونّتي كبكب وقصر العابديّه°

وَيْدَح : ويدح في الشيء : أخذ فيه ، وويدح في الرجل: أخذ يضربه بلا انقطاع ٠

وَيْن : أين ٠

(هـ)

هَابَ : خاف وجفل ، هاب عمل كذا : خاف ألا يحسنه ، والابل هابت الوادي : جفلت وامتنعت عن هبوطه ، ومن امثالهم : « الهَيْبَة خيبة » ٠

هاك : دونك أو خذ ، واذا كرر « هاك هاك » فهو نداء للكلب ٠ وهك الشيء واهتكه : داوم على استعماله ، فالشيء مهكوك ، أي مكثر استعماله ، وهك الرجل الآخر : أذله ، وهَكَب : طمن وانخفض ، وهكّب الشيء : أرخاه الى أسفل٠

هَبْهَب : مشى وذهب ، وهبهب : تبعثر لا بركة فيه ، ومن أمثالهم : « ذر هبهب ان أرسلته ما نفع وان أكّلته ما شبع » وهبهب : هباء ٠

هَبْر : اللحم بلا عظام ، ومن أقوالهم : « اللسان هبرة » أي لحمة قد يخطىء ٠

هَبَز : الهبزة : الأخذة من الحب والتمر التي يظهر موضعها واضحاً ٠

هَبيص : لحم كثير قليل العظام ٠

هَبيل : خبل لا رأي له ، وأهل القلوب الهبائل والهبيلة: الذين لا يعقلون ٠

هَجّ : هرب ، وهج الابل أو الغنم : طردها ، والهجيج : الهاربون ٠

هدف : أهدف ، محدودب الظهر ٠

هـذا : اسم اشـارة معروف عندهم ، ومن تحريفاته : « هـَذَه » عند بني سليم ، وهذاك ، عند حرب ، وذا ، عند بعضهم ، مجرد من هاء التنبيه ، وذَان ، عند البلادية خاصة، واذا أشاروا الى جمع الرجال قالوا : هـَذَوْلي ، واذا أشاروا الى جمع النساء قالوا : هـَذَنّي ، وهذنيك٠ وهـَذه° ، للمفرد أيضاً عند بعض بني سليم ومن جاورهم ، وهـَذَه° ، عند غيرهم ٠

هـَذِيك : تلك ٠

هـَرْج : كلام ، والهرجة : السمرة ، والحديث الخاص ، ومن أمثالهم : « ما عنده ذيك الهرجة » وذيك هنا كناية عن المروءة والكرم ، ومثلها : « ما مر على رابغ ! » ٠

هـِردْة : قرون صفر من التوابـل ، وجمعهـا هـِرْد ، اذا أضيفت الى الطعام صار لونه أصفر كالزعفران ٠

هـَرْط : الهرط في لهجة شمال الحجاز : الشق ، وهرط قماش : وصفهم للطريق المستقيم ٠

هـَرْع : صغار القمل ، واحدته َهرْعَة ٠

هـَرَف : جشع ، والهرفي : زرع من الذرة بين الخريف والصيف ، بدليل قولهم : « هرفي لا صيف ولا خرفي »، والهرفي: خروف جذع ، أي لا صغير جداً ولا كبير فحل ٠

هَرِيد : جدي قد فطم ولم يبلغ أن يكون فحلا كالهرفي من الضان ٠

هِشَيرَة : اسم لجنس الابل دون تمييز ، فاذا ميزوه فهو ناقة أو جمل ، واذا ميزوا السن فهو بَكْرة أو قعود ، أو ثلب ــ جمل بازل ــ ، أو فاطر ــ ناقة مسنة ــ ، وهناك تسميات كثيرة كحوار أو حاشي وغيرها ٠

هَضَل : جاء بعد هود من الليــل ، وَهضّل القــوم : اجتمعوا جلوساً على غير عمل أو أكل وشرب ، وكذلك الغنم ، الهاضل : الآتي ليلا ، فاذا ولد مولود بالليل سماه بعضهم هاضلا ٠

هَفَّتْ نفسه للشــيء : اشتهاه ورخصت له نفســه في ضعف ، وهف : انصرف وانقلع ، تقال مع عدم الرضا ، ومن أمثالهم : « هَفّ هفة حربيٍّ على حصانه » ٠ وهَفَ : وقع من مكان عال مشف ٠

هَقْوةَ : ظن وخمن ، أو حزر وتقدير ، وش هقوتك في فلان : ما هو ظنك به ٠

هَكَع : عثر فوقع ، وتهاكع يتهاكع : تمايل في مشيه لخلل في قدميه أو حفا فيهما ٠

هِلاّب : كلب ذو ذيل كثيف الشعر ، وهِلاَب ، بتخفيف اللام : خيط يخزم أنف الجمل فيوضع فيه لقهره وتطويعه ، أو لجعله مقاوداً يقاد بالهلاب ٠

هَلَف : الهلف : قطع الشيء ، كالتجليف ، والهِلْف من الناس : الجلف قليل المعرفة والمرونة ، وهَلّف الصخرة : كسرها كسراً كبيرة ٠

َهمَج : غوغاء الناس وأوباشهم ، والهَمْج : الماء الذي تظهر عليه الملوحة ، فهو همج وهامج وهماج ، وهماجة همجية : قلة فهم وسوء تصرف ٠

هَمْد : الخلق الذي ظل في الشمس حتى أهمدته بحرها فهو هامد ، وَهمّدَت النار : خبأت وخمدت ، وهَمَد حيله : ضعفت قواه من الحمى والمرض ، والهميد من نبات الأرض : كالهشيم ٠

هِمْر : عِفْش ٠ انظره ٠

الَهنا : كالجنا ، وهَنّ : مالم ترد تسميته أو نسيت اسمه ، ومؤنثه « هَنَة » وهو كقولهم : فلان وفلانة ، قالت شاعرة :

يا مرسلي قُلْ لَهْ تُقْل لَك فلانهْ

وَجْدي على لاماكْ يا هَنَ ابن هَنْ

فلم تسمه لئلا يعرف ٠

هَنْدس : همهم بالغناء ، ويقولون : من هندس غنّى ، لأنه لا يلبث أن يرفع عقيرته بالغناء ، وهو من امثالهم على من يفكر في شيء فانه لا يلبث أن يمارس ما يفكر فيه ، وهندس : ذرع بالهنداسة ، والمهندس : فاعل ذلك أو مصلّح الآلات ، وكذلك المخطط ٠

هُورِي : سنبوك ، قال شاعر الكسرة :

ومِنَ الركايبْ ثمانِ رْكابْ

ومن الذهبْ شَحْنَة الهوري

هَوْش : الغنم والبهم ، وهو الدبش ، والهَوْشة : المضاربة ، وتهاوش القوم : تخاصموا وتضاربوا ٠

هَوَّن : عدل عن الشيء، والمَهُونة: الاهانة والاحتقار٠

هَوَنْد : مهراس أو نجر ٠ ولعل أصله هاون ، والهاون: قصبة كبيرة مجوفة سمي بها المدفع الهاون وبالانجليزية « مَوْرتر » ٠

هُوَهْ : هُوَ ، وهي لهجة قديمة ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ولي صاحب من بني الشيصبان

فطوراً أقول وطوراً هُوَهْ[1]

هيا بلا أكل فصي : أي رح بلا غلبة ونزاع ، والفصي : النوى ، والجملة من لهجات الحاضرة ٠

هِيْهِيَ ، وهي أيضاً قديمة في الشعر العربي ٠

هَيْلَم : غالطه فأقنعه بغير حق ، وهي كقولهم « غِفَّص الحلم على عيونه ! » ٠

هَيَم : أهيم : كذوب، ويقولون: «الكذب هيام الرجال».

---

(١) بنو الشيصبان : قبيلة من الجن ٠

(ي)

يا زَنْ : يزن . يا زِي : يدخل ، يلج .

ياما وياما : تقال اختصاراً لياما حدث وحدث ، أي كم صار علينا وصبرنا ، ونحو ذلك ، ومن أمثالهم : « ياما سار على الحاج وحج » وسار : صار .

يا هَم لِلِي : كأنها « متى يكون هذا » مع الاستبطاء ، فهم يقولون ذلك اذا قيل لهم : إن كذا سيحدث بعد سنة أو مدة طويلة نسبياً ، وغاليا ما يلحقون بها : واحَيَّاهْ .

يا هُوهْ ! : استفهامية أو انكارية ، فهي بمعنى أحدث هذا حقاً ؟ أو كفى لعباً أو كفاك عبثاً ؟ ونحو ذلك ، وقد تكون للتنبيه مع النداء كقولهم : يا هنا .

يبغي : يريد ، ييَهْ : يا أبي ، يَبَّهْ : يا أبي أيضاً ، يا بَيّ : تصغير يا أبي .

يَبي : يريد أيضاً .

يَتْ : لصد الناقة عن جهة أو طريق معين ، ولا يقال للجمل : يت ، وانما يقال له : ايقَهْ .

يتحادى : يسير الى جهة جانبيه يمنة أو يسرة عن الطريق لغرض في نفسه ، وكذلك يحدى .

يَتَحّ : للغنم كالحداء للابل ، أي استمشاء .

يحيْ : مع امالة الياء : نداء للمعزى خاصة ، وغالباً عند حرب ومن جاورهم .

يَزْمُط : يبلع في حتث .

يَشْدَى : يشبه . قال شاعرهم : « يَشْدَى سواة المشاهيب » . أي مثل المشاهيب .

يطْحِر : يقنت من الثقل أو ملء البطن ، والطَّحَر : الوَمْد ، وهو حر مع سكون الهبوب .

يمام : امام .

يَمّ : جهة ، يم الشام : جهة الشام ، ويَمّ : يا أُمّ ، يا أميّ . ويَمّ عند عرب الشمال : زائدة(١) .

يَمَّهْ: يُمَّهْ : يا أماه، يا أمي، ودخلت الحاضرة اليوم: ماما ، ومامي ، وكلها للأم .

يهَوْ : مع امالة الياء : نداء الابل ، وهي المشايعة ، شايع الراعي للابل ، قال : « يهَوْ يهَوْ » .

يَيْ يَيْ : بتكرير « يي » في لهجة هذيل : نداء للغنم كالحداء للابل ، تستأنس به في المرعى .

* * *

---

(١) يقول : اشتريت السيارة فوجدتها « يم خالصة » أي تالفة . وتزوج الفتاة فوجدها يَمّ مَرَّة ! أي ليست بكراً ؛ وعدت من السفر وأنا يم تعبان .

الابدال ومخارج الحروف

لا شك أن عرب الجزيرة اليوم هم أقدر العرب على اخراج الحروف من مخارجها الأصلية ، غير أن اللحن الذي طرأ على اللسان العربي غير مخارج بعض الحروف ، وجعلهم يبدلون بعضها ببعض ، واذا عدنا الى أصول اللغة العربية وجدنا أن ذلك كله ليس غريباً ، بل أن هـذا يكاد يكون جـله امتداداً لماضيه ، وفي هذا الفصل الصغير من كتاب « الأدب الشعبي في الحجاز » حاولت أن أعطيك لمحة عن هذا الابدال والتغيير في مخارج الحروف ، ولا يعني أن هذا استقصاء دقيق لذلك .

الألف : تبـدل واواً في : أذّن ، وأنّ ، من الأنـين ، وأخّر ، الخ • فتنطق : وذنّ ، ووَنّ ، ووخّر • وقس على ذلك •

ويبـدل ياءاً في : بدأتُ ، واتكأت ، وإمام • فتنطق : بديت ، واتكيت ، ويمام •

ويبدل عيناً في : د أ ث ، وسأل أو سؤال • فتنطق : دعث ، وسعل أو سعال •وتحذف أو تزحلق في : أكل ، وأخذ ، فيقال: كَلْ أو كلا ، وخَذَا •

التاء : تبدل طاءاً في : سَطّعْش وَسبْعطَعْش وثمان طعش ، بدلا من ستة عشر الخ ، وفي اسطغفر أو اسطافر ، بدلا من : استغفر •

الثاء : سيناً في : غيث وعليثة وحديث الخ فيقولون : غيس، وعليسة، وحديس، وتبدل تاءاً في : ثول وثامر وثلاثة، ونحو ذلك ، فيقولون : تول وتامر، تلاتة، وهي لهجة الحاضرة خاصة ·

الجيم: تبدل ياءاً في: مسجد وشجرة ، فيقولون : مِسِيد: وشِيَرَة، وشِيَرَ للجمع، وتبدل زاياً في : زواج ، فيقولون: زواز ، وهي لكنة وليست لهجة ·

الدال : قد تبدل طاءاً في : مدرسة ومدر ، فيقولون : مطرسة ومطر ، وهو نادر · وتاء · انظرها في الزاي ·

الذال : تبدله الحاضرة زاياً في : ذلك وأذن ، وذكي الخ ، فيقولون : زلك ، وزن ، زكي · ودالا مهملة في : حذاء وذنب، فيقولون حداء ، ودنب الخ ·

الراء : تخففها الحاضرة حتى تبدو وكأنها مكسورة دائماً·

الزاي : تبدلها البادية سيناً في : مزدلفة ومزداد ، فيقولون : مستلفة ومستاد · وجيماً في زواج ، فيقولون : جواز وتجوز ومجوز ، أي تزوج ومزوج ·

السين : تبدل صاداً في : المريسيع ، وسمراء ، وخسارة ، وسلخ الخ ، فيقولون : المريصيع وصمراء ، وخصارة ، وصلخ ، وشيناً ــ وهو نادر ــ في : سِيْد بمعنى سَيِّد ، فيقولون : شِيدك ، وشِيده · وزاياً في : سَلاَم سَلاَمْ ،

فيقولون : زلام زلام · وهـي للتسليم بالشـيء ، فيقولون : كذا حلال ، زلام زلام ، أو حرام ، زلام زلام ·

الشين : يعطشها بعض بادية حرب حتى تكاد تسمع لها صفيراً بين الثنايا، وقد سمعت نفس اللهجة منشيخ باكستاني درس تجويد القرآن في ندوة العلماء بالهند،فأعتقد انها شائعة هناك ·

الصاد : تبدل سيناً في : صار ، وصحراء ، وصفر الشهر، فيقولون : سار ، وسحراء ، وسفر ·

الضاد : تبدلها الحاضرة هي والظاء زاياً في : العظيم ، والظلم، والظهر، والضرب، فيقولون:عزيم، والزلم،والزرب، وكل ضاد أو ظاء عندهم يبدل زاياً معطشا مضخما ·

وتبدلهما هذيل لاما مضخما فتقول : اللُّهر واللَّهيرة ، فتنطق اللام كما في لفظ الجلالة ·

الغين : الذين تثقفوا من أبناء البادية فتغير عليهم نطق القاف صاروا ينطقون الغين قافاً والعكس ، فتسمعهم يقولون : القنم بدل الغنم ، والغرآن بدل القرآن ·

القاف : ينطقها الحضريون والقرويون من وراء اللثـة ودون الحلق ، وهي القاف المعقوفة ، وينطقها بعض البوادي كحرب وجهينة قريبة من الجيم المضخمة ، ولذا غلط بعض الكتاب فكتبـوا : جليب وورجـان بـدلا من قليب ــ بئـر ــ

وورقان ، جبل ، وينطقها عرب شرق الحجاز قريبة من الزاي بحيث تخرج من بين الرباعيات ، وحتى هذه غلط فيها بعضهم فكتبها زاياً ، وعامة العرب اليوم يخرجونها مخرج الحرف الانجليزي (G) اذا لم يكن بعده حرف علة أي كما ينطق في (Glass) و (Gard) الخ •

الكاف : تنطقه حرب وجهينة قريباً من الشين ، وكذلك الجحادلة جنوب مكة ، وعندما سألت أحدهم عن وادٍ هناك قال : اسمه ششيل • وبعد محاولات واستفسار مضن عرفت أن اسم الوادي « شكيل » ! وشرق الحجاز ينطقونه قريباً من السين ، فاذا قال لك أحدهم : كذا ولا هو بكذا • ظننت أنه يقول : سذا ولا هو بسذا ، مع عدم وضوح السين وضوحاً ظاهراً •

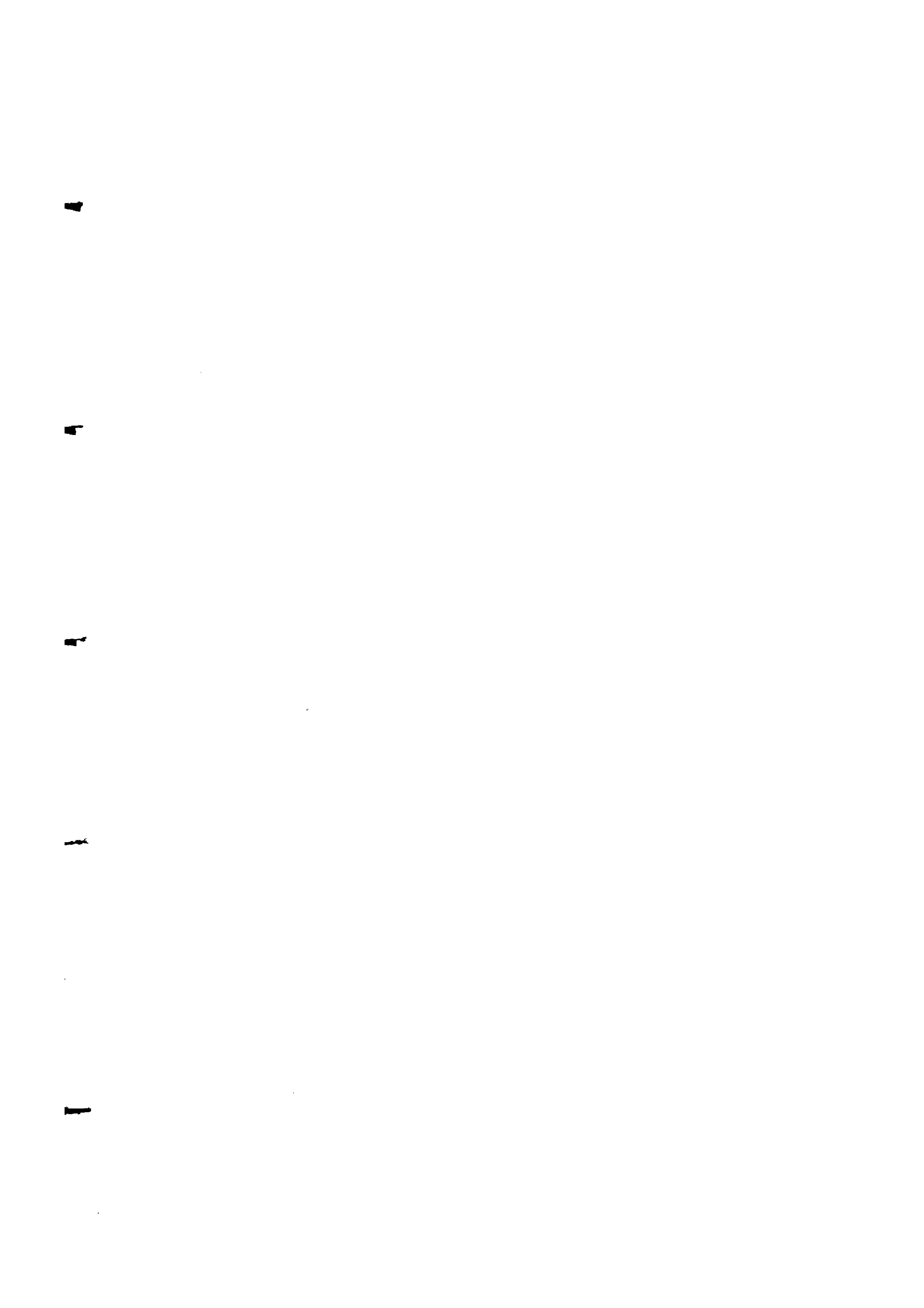
الميم : يقلبها بعض زُبَيد باءاً في قولهم:مكان، فيقولون: بكان •

الواو : بعض حرب وهتيم يقلبونه ميماً في جاءوا وأكلوا، فيقولون : َجم ، وأكَلَم ، وحَضَرَم الخ ، ويبدله أهل شرق الحجاز كعتيبة وسبيع ألفاً في : عوضة ودولة ، فيقولون : عاضة ودالة ، ونحو ذلك ، ويقلبه عامة أهل الحجاز بل وكل العرب الا من لم نسمعه ياءاً في الثلاثي المسند الى ضمير مثل : دعوت ، وغزونا ، ومحوت ، فيقولون : دعيت فلاناً وغزينا بلد كذا ، ومحيت الكتابة •

الهاء التي تنطق تاءاً مربوطة: يبدلها بعض الحاضرة ياءاً في مثل : عربية ، وبنَيّه ، فيقولون : عربيّا وبنيّا ، وهي عامية تشبه اللكنة وقد أخذت هذه في الانقراض مع تقدم التعليم .

الياء : تقلب ألفاً في مثـل : السويرقية ، وشويحط ، وصُفَينة ، فيقولون : السوارقية وشواحط ، وصفانة ، وهي لهجة قديمة جداً ، ولكن أهل تهامة وشمال الحجاز لاينطقونها، ولو لم أسمعهم يقولون : السويرقية وشويحط لأهملتها لقدمها عند العرب .

تم بحمد الله تعالى في ليلة الخميس الموافق ١١/٣/١٣٩٦ هجرية الموافق ١١ آذار/مارس سنة ١٩٧٦م في بلدة « رابغ » ثم روجع في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٩ آذار سنة ١٩٧٧م في مدينة جُدَّة .



دليل الموضوعات العامة

الدليـل العـام

الأعلام ، والمواضع ، والقبائل والأمم ، والكتب ، وغير ذلك .

كتب للمؤلف

١ ـ الأدب الشعبي في الحجاز •

٢ ـ طرائف وامثال شعبية : طبع للمرة الثانية •

٣ ـ معجم معالم الحجاز : كتاب جغرافي أدبي تأريخي ضخم • تحت الطبع • طبعت منه سبعة أجزاء .

٤ ـ نسب حرب : كتاب يتحدث عن قبيلة حرب « تأريخها وأنسابها ، وديارها » ط •

٥ ـ معجم قبائل الحجاز : كتاب يستقصي جميع القبائل والبطون التي سكنت الحجاز من فجر التأريخ الى يومنا هذا ، فروعها وتأريخها وديارها • مطبوع.

٦ ـ على طريق الهجرة : رحلة في وسط الحجاز . مطبوع

٧ ـ الرحلة النجدية : من المدينة الى الرياض الى مكة ،مرورا بالقصيموالزلفي والمجمعة، ثم شقراء وعفيف والطائف• طبع للمرة الثانية .

٨ ـ رحلات في بلاد العرب في (شمال الحجاز والأردن) طبع

٩ ـ ألحان وأشجان : ديوان مخطوط •

١٠ ـ معالم مكة التأريخية والأثرية . مطبوع

١١ ـ بين مكة وحضرموت . معد للطبع .

١٢ ـ المعالم الجغرافية في السيرة النبوية . معد للطبع

دار مكة
للطباعة والنشر والتوزيع
مكة المكرمة - ساحة إسلام
هاتف: ٥٤٢٧٤٦٨
ص.ب: ٢٩٩٢
برقيًا: دار مكة

هذا الكتاب

معائن عذبة ، وينابيع ثجاجة تخرج من أعماق صحراء الحجاز . كنوز دفينة من شعر وقصص ولغة بادية لم تختلط بالأعاجم ولم تعوج ألسنتها بلكنة غريبة . تلك هي بادية الحجاز التي لا تزال مفرداتها سليمة وشعرها اتصالا غير منقطع من الشعر الفصيح .

عادات الحجازيين وأفراحهم وأتراحهم، وعلومهم ولهجاتهم.

كل هذه مجموعة بين دفتي هذا الكتاب بلا اطالة مملة ولا ايجاز مخل . نصوص مختارة من الشعر الذي ضربت به الأمثال ، والطرائف المسلية المعبرة ، والطب العربي والنجوم وحسابها .